

فلسفة الاتزان اليومي

366 تأملًا حول الحكمة والمثابرة وفن الحياة

عرض ترجمات جديدة لكل من سينكا، وأبكتيتوس، وماركوس أوريليوس



ريان هوليداي

مؤلف الكتاب الأفضل مبيعًا العقبات هي الطريق

وستيفن هانسلمان

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
... ليست مجرد مكتبة

فلسفة الاتزان اليومي

فلسفة الاتزان اليومي

366 تأملا حول الحكمة
والمثابرة وفن الحياة

ريان هوليداي
وستيفن هانسلمان



لتتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarir.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublishments@jarirbookstore.com

تحديد مسؤولية / إخلاء مسؤولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والنانجة عن تقديرات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة للكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن ويكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسؤولية ونخلي مسؤوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بعلاوة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملائمة لغرض معين. كما أننا لن نتحمل أي مسؤولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠١٨

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.

Copyright © 2018. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى .

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاء شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاء عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

بينما بذل المؤلف كل جهد ممكن لتقديم أرقام هواتف وعناوين مواقع إلكترونية دقيقة وصحيحة وقت النشر، فإن المؤلف والناشر لا يتحملان أية مسؤولية عن أية أخطاء أو تغييرات تطرأ بعد النشر. وعلاوة على ذلك، فإن الناشر ليس لديه أي تحكم أو يتحمل أية مسؤولية عن أية محتويات أو مواقع إلكترونية مملوكة لطرف ثالث.

Copyright © 2016 by Ryan Holiday and Stephen Hanselman

All rights reserved including the right of reproduction in whole or in part in any form.

This edition published by arrangement with **Portfolio**, an imprint of Penguin Publishing Group, a division of Penguin Random House LLC.

THE DAILY STOIC

**366 Meditations on Wisdom,
Perseverance, and the Art of Living**

**RYAN HOLIDAY
AND STEPHEN HANSELMAN**

كتب أخرى من تأليف ريان هوليداي

العقبات طريق النجاح: تحويل الانكسارات إلى انتصارات *

إهداء

من ستيفن إلى عزيزتي جوليا؛ من ساعدتني على العثور على البهجة

"من بين كل الناس، إن من يملكون رفاهية توفير الوقت من أجل الفلسفة، هم وحدهم من يعيشون بحق؛ لأنهم غير راضين بأن يبقوا يراقبون أيامهم تمر، ولأنهم يربطون كل عصر بعصرهم، ويُضَاف حصاد الماضي إلى متجرهم. إن الجاهد فقط هو من سيفشل في أن يرى أن واضعي تلك الأفكار العظيمة قد ولدوا من أجلنا وصمموا طريقاً للحياة لنسلكه".

— سينيكا

المحتويات

١	مقدمة
	الجزء ١ ، نظام الإدراك
١٠	يناير: الوضوح
٤٤	فبراير: الشغف والعاطفة
٧٦	مارس: الوعي
١١٨	أبريل: الفكر غير المنحاز
	الجزء ٢ ، نظام الإقدام على الأفعال
١٤٠	مايو: الأفعال المناسبة
١٧٢	يونيو: حل المشكلات
٢٠٦	يوليو: الواجب
٢٣٨	أغسطس: الواقعية
	الجزء ٣ ، انضباط الإرادة
٢٧٢	سبتمبر: الجَلَد والمرونة
٣٠٦	أكتوبر: الفضيلة والعطف
٣٣٨	نوفمبر: القبول/حب القدر
٣٧١	ديسمبر: تأملات في الأخلاق
٤٠٥	البقاء على الفلسفة اليونانية
	نماذج من ممارسات الفلسفة اليونانية المتأخرة ومسرد
٤٠٧	للمصطلحات والفقرات الرئيسية
٤٢٣	كلمة عن الترجمات والمراجع والمصادر
٤٢٥	قراءات أخرى مقترحة

مقدمة

اليوميّات الخاصة بأحد أباطرة روما العظام، والخطابات الشخصية لأفضل مؤلف مسرحي وأحكم صانع قرار سياسي في روما، ومحاضرات معلم مؤثر كان فيما مضى عبداً، ثم حُكِمَ عليه بالنفي. كل تلك الوثائق المذهلة تمكنت من النجاة طوال ألفيتين كاملتين متحدية جميع الصعاب.

ماذا يقولون؟ هل تحتوي تلك الصفحات العتيقة الغامضة على أي شيء يتعلق بالحياة المعاصرة؟ تبيّن أن الإجابة، نعم! إنها تحتوي على بعض من أعظم أنواع الحكمة في تاريخ البشرية.

تكوّن تلك الوثائق مجتمعة حجر الأساس لما يُعرف بالفلسفة اليونانية، وهي فلسفة قديمة كانت فيما مضى أحد أشهر الأنظمة المدنية في الغرب، وكان يتبعها الأثرياء والفقراء، أصحاب السلطة والمكافحين على حدّ سواء في سعيهم نحو عيش حياة جيدة. ولكن، على مدار القرون، بدأت المعرفة عبر هذا النوع من التفكير، والذي كان ضرورياً بالنسبة للكثيرين ذات يوم، تختفي من المشهد.

بالنسبة لغالبية الساعين الجادين لامتلاك الحكمة، لا تعتبر الفلسفة اليونانية مبهمة أو غير مفهومة. ولا شك في أنك لن تعثر على كلمة ظلمتها اللغة أكثر من كلمة "فيلسوف". وبالنسبة للشخص العادي، أصبحت طريقة الحياة تلك - النابضة بالحياة والقائمة على العمل والمغيرة للمعتقدات - تُختصر في كونها "خالية من العواطف". وبفضل حقيقة أن مجرد ذكر كلمة فلسفة تصيب غالبية الناس بالعصبية والملل، تبدو "الفلسفة اليونانية" في ظاهرها كأنها الشيء الأخير الذي قد يرغب أحد في تعلمه، ناهيك عن أن يحتاج إليه في حياته اليومية.

يأله من مصير محزن لتلك الفلسفة التي وصفها أحد منتقديها الدائمين، آرثر شوبنهاور، بأنها: "أعلى نقطة يمكن للمرء الوصول إليها باستخدام قدرته المنطقية".

هدفتنا من تأليف هذا الكتاب هو إعادة الفلسفة اليونانية إلى مكانتها المستحقة كأداة لتحقيق البراعة الذاتية المثابرة والحكمة: شيء يستخدمه المرء ليميش حياة رائعة بدلاً من أن تكون مجالاً مقصوراً على الأبحاث الأكاديمية.

مما لا شك فيه أن الكثيرين من أصحاب أعظم العقول في التاريخ لم يستوعبوا الفلسفة اليونانية كما هي فحسب، بل تبخروا فيها: جورج واشنطن، والت ويطمان، فريدريك العظيم، يوجين دولا كروا، آدم سميث، إيمانويل كانت، توماس جيفرسون، ماتيو أرنولد، أمبروز بيرس، تيودور روزفيلت، ويليام ألكسندر بيرسي، رالف والدو إيمرسون؛ حيث قرأ كل منهم أو درس أو اقتبس أو أعجب بتلك الفلسفة.

لم يكن أتباع الفلسفة اليونانية القدامى تافهين، فالأسماء التي ستمر بها في هذا الكتاب - ماركوس أوريليوس، إبيكتيتوس، سينيكا - تنتمي جميعها، وبالترتيب، إلى إمبراطور روماني، كان عبداً في فترة ما، ولكنه انتصر وأصبح محاضراً مؤثراً وصديقاً للإمبراطور هادريان، ومؤلفاً مسرحياً ومستشاراً سياسياً شهيراً. وهناك أتباع للفلسفة اليونانية على غرار كاتو الأصغر، والذي كان سياسياً مخضرمًا، وزينو الذي كان تاجرًا كبيرًا (مثل العديد من أتباع هذه الفلسفة)، وكليش الذي كان ملاكمًا سابقًا وعمل سقاءً ليتمكن من توفير المال اللازم ليبدأ دراسته، وشريسيوس، الذي فقدت جميع مؤلفاته، ولكن تقدر الكتب التي ألّفها بحوالي ٧٠٠ كتاب، والذي تدرب كعداء للمسافات الطويلة، وهناك بوسايدونياس الذي عمل سفيرًا، وموسونيوس روفوس الذي كان معلمًا، وغيرهم الكثيرون.

واليوم (خاصة بعد نشر كتاب *المقبات طريق النجاح*)، حظيت الفلسفة اليونانية بجمهور جديد متنوع، بداية من الأجهزة الفنية لفرق نيو إنجلاند باتريونس وسياتل سيهاوكس، وصولاً إلى مغني الراب "إل. إل. كووول جاي"، والمذيعة ميشيل تافويا، وغيرهم من الرياضيين المحترفين والمديرين

التنفيذيين ومديري الصناديق الاستثمارية الآمنة والفنانين والإداريين والشخصيات العامة.

ما الذي وجده أولئك الرجال والنساء العظماء في الفلسفة اليونانية ولم يره الكثيرون غيرهم؟

رغم أن الدراسات الأكاديمية عادة ما تنظر إلى الفلسفة اليونانية على أنها منهجية عتيقة لم يعد أحد يهتم بها، فإن الفاعلين المؤثرين في هذا العالم هم من اكتشفوا أنها تمدهم بالقوة والقدرة التي يحتاجون إليها في حياتهم المعصيبة. وعندما نصح الصحفي وأحد محاربي الحرب الأهلية القدامى أمبروز بيرس أحد الكتاب الشباب بأن دراسة الفلسفة اليونانية ستعلمه "كيف يكون شخصاً مهماً في العالم"، أو عندما قال الرسام يوجين دولاكروا (الذي اشتهر بلوحته *Liberty Leading the People*) عن الفلسفة اليونانية إنها "مصدر راحته"، كانا يتحدثان من منطلق خبرتيهما. كذلك كان الكولونيل توماس وينتورث هيجينسون المناهض للعبودية، والذي قاد الفوج العسكري الأول المكون بأكمله من الجنود السود في الحرب الأهلية الأمريكية والذي أصدر واحدة من أفضل تراجم إيبكيتيتوس على الإطلاق، وكذلك كان المزارع الجنوبي والكاتب ويليام ألكسندر بيرسي الذي قاد جهود الإنقاذ خلال الفيضان العظيم في عام ١٩٢٧، والذي امتلك نقطة مرجعية فريدة عندما قال عن الفلسفة اليونانية إنها: "عندما تختفي، سرعان ما تعود لتضيء من جديد". وكذلك فعل المؤلف والمستثمر العظيم تيم فيريس عندما أشار إلى الفلسفة اليونانية على أنها "نظام الشغيل الشخصي" المثالي (واتفق مع مسئولين آخرين كبار على ذلك، على غرار جوناثان نيوهاوس، المدير التنفيذي لشركة كوندية ناست انترناشيونال).

ولكن، بدا أن الفلسفة اليونانية مصممة بما يتناسب مع المعارك. ففي عام ١٩٦٥، قفز الطيار جايمس ستوكدايل (الذي حصل فيما بعد على وسام الشرف) بالمظلة من طائرته التي أصابها قذيفة في سماء فيتنام، لينتهي به المطاف بخمس سنوات كاملة من التعذيب والسجن - وماذا كان الاسم الذي

يتردد دومًا على شفثيه؟ إبيكتيتوس. كما قيل عن فريديريك العظيم إنه في أثناء ذهابه إلى المعركة كان يضع أعمال أصحاب الفلسفة اليونانية في جيب سرج حصانه، وكذلك كان يفعل قائد قوات مشاة البحرية الأمريكية وحلف شمال الأطلسي الجنرال جايمس ماد دوج ماتيس، الذي حمل معه كتاب *Meditations* من تأليف ماركوس أوريليوس معه في أثناء نشر قواته. مرة أخرى أقول: هؤلاء لم يكونوا أساتذة، بل ممارسين، ووجدوا أن الفلسفة اليونانية، كفلسفة عملية، مناسبة تمامًا لتحقيق أهدافهم.

من اليونان إلى روما إلى العصر الحالي

كانت الفلسفة اليونانية مدرسة فلسفية ظهرت في أثينا على يد زينو من مدينة سيتيوم في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد. واقتبس اسمها من الكلمة الإغريقية *Stoa* وتعني المسكان المعد للتعليم، حيث كان هذا هو المكان الأول الذي علم فيه "زينو" تلامذته. وتؤكد تلك الفلسفة أن الفضيلة (الفضائل الرئيسية الأربع من ضبط النفس والشجاعة والعدالة والحكمة) تؤدي إلى السعادة، وإدراكنا للأشياء - عوضًا عن الأشياء نفسها - هو ما يسبب جل مشكلاتنا. إن الفلسفة اليونانية تقول إنه لا يمكننا ضبط أنفسنا أو الاعتماد على أي شيء خارج ما أطلق عليه إبيكتيتوس اسم "الخيار العقلاني" - قدرتنا على استخدام المنطق لاختيار كيفية تصنيفنا واستجابتنا وإعادة توجيه أنفسنا فيما يتعلق بالأحداث الخارجية.

كانت الفلسفة اليونانية في بدايتها أقرب إلى كونها فلسفة شاملة على غرار المدارس القديمة التي قد تبدو أسماؤها مألوفة بالنسبة لك: الإبيقورية والتشاؤمية والأفلاطونية والشكوكية. ولقد تحدث المناصرون عن العديد من الموضوعات، من بينها الطبيعيات والمنطق وعلم الكونيات وغيرها الكثير. ومن بين التشبيهات التي استخدمها أتباع الفلسفة اليونانية لوصف فلسفتهم تشبيه الحقل الخصب، حيث كان المنطق هو السور الحامي، والطبيعيات هي الحقل، والمحصول هو الأخلاق - أو كيف تعيش.

ومع استمرار تقدم الفلسفة اليونانية، ركزت بشكل رئيسي على موضوعين من تلك الموضوعات - المنطق والأخلاق. ومع انتقالها من اليونان إلى روما، أصبحت تلك الفلسفة اليونانية أكثر عملية لتناسب الحياة النشطة البراجماتية الرومانية الصناعية. وكما سيلاحظ ماركوس أوريليوس فيما بعد حين قال: "كنت محطوطاً لأنني تعرفت على فلسفة نعتسي من الوقوع في فخ السفسماثية، ورددت كياني لأصبح كاتباً، وبدلت منطقي، وشغلت نفسي بدراسة النصوص الروحية".

وبدلاً من كل ما سبق، ركز أوريليوس (وكذلك إبيكتيتوس وسينيكا) على سلسلة من الأسئلة مغايرة لما نواصل طرحها على أنفسنا في العصر الحالي: "ما أفضل ممارسة للعيش؟"، "ماذا أفعل حيال غضبي؟"، "ما التزاماتي نحو أقراني من الزملاء؟"، "أنا أخاف الموت، لماذا؟"، "كيف أتعامل مع المواقف العصيبة التي تواجهني؟"، "كيف يمكنني التعامل مع النجاح أو النفوذ الذي لدي؟".

إنهم تكن تلك أسئلة مجردة؛ ففي كتاباتهم - التي عادة ما كانت خطابات أو يوميات شخصية - وفي محاضراتهم، كافح أتباع الفلسفة اليونانية من أجل الخروج بأجوبة حقيقية ممكنة. وفي نهاية المطاف، قاموا بوضع أطر لأعمالهم تدور حول سلسلة من الممارسات مقسمة إلى ثلاثة أنظمة:

١. مهام الإدراك (كيف نرى وندرك العالم من حولنا).

٢. مهام الفعل (القرارات والأفعال التي نقدم عليها - وإلى أي مدى).

٣. مهام الإرادة (كيف نتعامل مع الأمور التي لا يمكننا تغييرها أو توضيحها، أو إيجاد حكم مقنع عليها، والتوصل إلى فهم حقيقي لموقفنا من العالم).

يسر التحكم في إدراكنا، كما تخبرنا الفلسفة اليونانية، يمكننا الوصول إلى نوع من الذهن. وعبر توجيه أفعالنا بالشكل الصحيح المناسب، سنصبح أكثر تأثيراً. وعبر استخدام إرادتنا وتوجيهها، سنمثر على الحكمة والمنظور اللائمين للتعامل مع أي شيء يواجهنا في العالم. فقد كان اعتقاد أصحاب تلك الممارسات أنه عبر تقوية أنفسهم ومواطنيهم في هذه الأنظمة، سيمكنهم غرس اليقين والهدف والبهجة.

وقد هدفت الفلسفة اليونانية، التي وُجِدَت في ذلك العالم القديم المضطرب، إلى الطبيعة غير المتوقعة لحياتنا اليومية والتي قدمت مجموعة من الأدوات العملية لاستخداماتنا اليومية. قد يبدو عالمنا المعاصر مختلفاً بشكل جذري عن المظهر المزخرف للساحة الأثينية العامة وعن ميدان روما العام ومحكمتها. ولكن، عانى أصحاب هذه الفلسفة الأمرين من أجل تذكر أنفسهم (انظر اليوم العاشر من نوفمبر) بأنهم لم يواجهوا أموراً لم يواجهها من سبقوهم، وأن المستقبل لن يغير من الطبيعة أو ينهي الوجود البشري. "أي يوم مثل بقية الأيام"، هذا القول كان يحبه هؤلاء الفلاسفة، ولا يزال هذا القول ينطبق على عصرنا الحالي.

وهو ما جعلنا نصل إلى ما نحن عليه الآن.

كتاب فلسفي من أجل حياة فلسفية

يشعر بعضنا بالتوتر، والبعض الآخر بضغط العمل. هل تواجه صعوبة مع مسئوليات الأبوة الجديدة، أو فوضى مغامرة جديدة. أو كنت قد حققت النجاح بالفعل، ولكنك تصارع واجباتك السلطوية والتأثيرية؟ أو كنت تصارع إدمان شيء ما؟ أو كنت غارقاً في العاطفة؟ أو كنت تخرج من علاقة سيئة إلى أخرى أسوأ؟ هل بدأت تقترب من أعوامك الذهبية، أم أنك تستمتع بمرحلة الشباب؟ هل أنت منشغل ونشط، أم أنك مللت من حياتك؟

أيًا كانت حالتك، وأيًا كان ما تمر به، هناك حكمة من الفلسفة اليونانية ستساعدك. في واقع الأمر، في العديد من الحالات يبدو الأمر بوضوح معاصراً بدرجة مذهلة؛ وهذا ما سنركز عليه في هذا الكتاب.

في اقتباس مباشر من كبار الفلاسفة الرومانيين، سنقدم لكم مجموعة من الترجمات الأصلية لمجموعة من أعظم الفقرات التي كتبها أكبر ثلاث شخصيات في الفلسفة اليونانية القديمة - سينيكا وإبيكتيتوس وماركوس أوريليوس - إلى جانب مجموعة من مقولات الفلاسفة السابقين لهم (زينو، كلينثيس، كريسيبوس، موسونيوس، هيكتو). ومع كل اقتباس من هذه

الاقتباسات محاولة منا لسرد قصة، أو تقديم سياق، أو طرح سؤال، أو عرض تمرين، أو توضيح منظور ذلك الفيلسوف اليوناني الذي قال هذا الاقتباس حتى تتمكن من العثور على فهم أعمق للإجابات التي تبحث عنها.

لطالما كانت أعمال أصحاب الفلسفة اليونانية متجددة ومعاصرة، بصرف النظر عن الانحدار التاريخي وزيادة شعبيتهم. ولم يكن هدفنا من تأليف هذا الكتاب أن نصلح تلك الأعمال أو نجددها أو نحدثها (هناك الكثير من الترجمات المتميزة في الأسواق)، بل كنا نسعى لتنظيم الحكمة الجماعية الكبيرة لأتباع الفلسفة اليونانية وتقديمها في صورة مفهومة ومبسطة ومتراصة منطقيًا قدر الإمكان. يمكن للمرء - ويجدر به - أن يقرأ الأعمال الأصلية للفلاسفة الرومانيين كاملة (انظر قسم مقترحات القراءات الأخرى في نهاية هذا الكتاب). وفي الوقت ذاته، بالنسبة للقارئ المنشغل النشط، حاولنا أن نقدم له جرعات يومية عملية مباشرة مثل الفلاسفة الذين ابتكروها. وطبقًا لتقاليد الفلسفة اليونانية، أضفنا مواد من شأنها استثارة طرح الأسئلة الكبيرة وتسهيلها.

بتنظيم الأشهر طبقًا للأنظمة الثلاثة (الإدراك والفعل والإرادة)، ومن ثم تقسيمها إلى موضوعات مهمة مندرجة تحت كل من هذه الأنظمة الثلاثة، ستجد أن كل شهر سيركز على صفة بعينها وسيقدم كل يوم طريقة جديدة للتفكير والتصرف. كما ستظهر الموضوعات شديدة الأهمية بالنسبة للفلاسفة الرومانيين في هذا الكتاب: الفضيلة والأخلاق والوعي الذاتي والجدل والواقعية والأفكار غير المنحازة والواجب.

كان الفلاسفة الرومانيون رواد الطقوس الصباحية والمسائية: الاستعداد في الصباح والتأمل في المساء. وقد ألفنا هذا الكتاب من أجل مساعدتكم على أداء كليهما - جلسة تأمل واحدة لكل يوم من أيام السنة (إلى جانب يوم إضافي من أجل السنة الكبيسة). وإن شعرت بأنك قد انحرفت عن مسارك، فاستخدم مفكرة لتسجيل أفكارك وردود أفعالك والتعبير عنها (انظر يومي الحادي

والعشرين والثاني والعشرين من يناير، ويوم الثاني والعشرين من ديسمبر)،
كما يفعل أصحاب الفلسفة اليونانية عادة.
تهدف تلك المقاربة العملية لهذه الفلسفة إلى مساعدتك على عيش حياة
أفضل. ونأمل ألا يحتوي هذا الكتاب على كلمة واحدة - ونحن هنا نعيد صياغة
ما كتبه سينيكا - لا يمكن تحويلها أو لا تستحق تحويلها إلى عمل.
لأجل هذه الغاية، نقدم لكم هذا الكتاب.

الجزء ١

نظام الإدراك

يناير

الوضوح

١ يناير

التحكم والاختيار

"المهمة الأساسية في الحياة هي: تحديد الأمور وتقسيمها حتى يمكنني أن أحدد بنفسي وبكل وضوح أيها خارجية لا يمكنني التحكم فيها، وأيها يتعلق بالخيارات التي يمكنني التحكم فيها. وأين إذن سأبحث عن الخير والشر، ليس في الأمور الخارجية التي لا يمكنني التحكم فيها، بل في داخل نفسي بين الخيارات التي قمت بها...؟"

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

إن الممارسة الأكثر أهمية في الفلسفة اليونانية هي التفرقة بين ما يمكننا تغييره وما لا يمكننا تغييره؛ ما نملك تأثيراً عليه وما لا نملك تأثيراً عليه. لقد تأخرت رحلة الطيران بسبب حالة الطقس - ولن يؤدي الصراخ في وجه موظف شركة الطيران إلى إنهاء العاصفة، ولن يجعلك أي قدر من التمني تزداد طولاً أو قصرًا، أو أن تولد في بلد مختلف. وبصرف النظر عن قدر محاولتك، لن تحمل أي أحد على أن يجبك. والأهم من كل ما سبق، لن يكون الوقت الذي تقضيه في لوم نفسك على تلك الأمور التي لا يمكنك تغييرها وقتًا تقضيه في فعل الأمور التي يمكنك تغييرها.

يمارس مجتمع الاستشفاء أمرًا يطلقون عليه اسم دعاء السكينة: "إلهي، امنحني السكينة لكي أتعلم الأمور التي لا يمكنني تغييرها، والشجاعة لتغيير الأمور التي يمكنني تغييرها، والحكمة لأتمكن من التمييز بينهما". لا يمكن للمدمنين تغيير الإفراط في تناول العقاقير الذي ظلوا يمانونه منذ الطفولة، كما لا يمكنهم التراجع عن الخيارات التي أقدموا عليها أو الأذى الذي تسببوا فيه. ولكنهم قادرون على تغيير المستقبل - بفضل القوة التي يمتلكونها في الحاضر. كما قال إبيكتيتوس، يمكنهم التحكم في الخيارات التي يقومون بها الآن.

وينطبق الأمر ذاته على عصرنا الحالي: إن تمكنا من التركيز على استبيان الأجزاء من حياتنا التي تقع ضمن نطاق تحكمنا والتي لا تقع ضمن هذا النطاق، فلن نصبح أكثر سعادة فحسب، بل سنمتلك أفضلية على الآخرين الذين فشلوا في إدراك أنهم يحاربون في معركة لا يمكنهم الفوز بها.

٢ يناير

التعليم هو الحرية

"ما ثمار تلك التعاليم؟ فقط الحصاد الأجل والأكثر ملاءمة للمتعلمين بحق - السكينة والإقدام والحرية. لا يجدر بنا أن نثق بتلك الحشود التي تقول إن الأحرار وحدهم هم المتعلمون، بل أن نثق بدلا منهم بمحبي الحكمة الذين يقولون إن المتعلمين وحدهم هم الأحرار".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

لِمَ انتقيت هذا الكتاب؟ لِمَ قد تنتقي أي كتاب؟ ليس لكي تبدو أكثر ذكاءً، وليس لتسليتك في أثناء السفر بالطائرة، وليس لكي تسمع ما ترغب في سماعه - هناك الكثير من الخيارات الأكثر سهولة من القراءة.

لا، لقد انتقيت هذا الكتاب لأنك ترغب في تعلم كيف تعيش، ولأنك ترغب في أن تكون أكثر حرية وأقل خوفاً وأن تصل إلى حالة من الهدوء والسكينة. إن التعلم - والقراءة والتأمل في حكمة القرائح العظيمة - يجب ألا تكون غاية في حد ذاتها، بل يجب أن تكون لغاية أسمى.

تذكر أن هذا الأمر لا مفر منه في الأيام التي تشعر فيها بأنك مشتت، أو عندما تبدو لك مشاهدة التلفزيون أو تناول وجبة خفيفة وسائل أفضل لقضاء الوقت من القراءة أو دراسة الفلسفة. إن المعرفة - المعرفة الذاتية بشكل خاص - هي الحرية.

٣ يناير

لا تهتم بالأمر غير المهمة

"كم من الأمور فقدتها في حياتك بسبب عدم انتباهك لما تخسر، وكم من الوقت قضيته في الحزن الذي لا طائل منه، والسعادة تافهة، والرغبة الدنيئة، والمتعة الاجتماعية - ولم يتبق لك من ذاتك سوى القليل. وإذا عرفت كل ذلك، ستدرك أنك قد بدأت تموت قبل أن يحين موعدك".

— سينيكا، من كتاب *On the Brevity of Life*

من بين أصعب الأمور التي يمكنك أن تقوم بها في حياتك أن تقول "لا" للدعوات والطلبات والالتزامات والأمور التي يفعلها الآخرون، بل والأصعب أن تقول "لا" لتلك العواطف التي تستهلك الوقت: الغضب والانفعال والتشتت والهوس والشهوة. قد لا تبدو أي من تلك النزوات مهمة في حد ذاتها، ولكنها تنطلق بضاوة جامحة، ومن ثم تصبح التزامات مثل أي شيء آخر. إن لم تحذر، فإنها ستكون الأعباء التي تفرق حياتك وتستنزفها. هل تساءلت من قبل عن كيفية استعادة بعض من وقتك، وكيف تقلل من شعورك بالانشغال؟ ابدأ بتعلم قوة "الرفض" - مثل أن تقول: "لا، شكرًا لك"، و"لا، لن أورد نفسي في هذا الأمر"، و"لا، لا يمكنني فعل ذلك في الوقت الحالي". قد يجرح رفضك مشاعر البعض، وقد يخذل البعض الآخر، وقد يتطلب بعض الجهد، ولكن كلما زاد رفضك للأمور التي لا تهتم، زاد تقبلك للأمور التي تهتم؛ ما سيمكنك من عيش حياتك واستمتاعك بها - الحياة التي تريدها.

٤ يناير

الأنظمة الثلاثة الكبرى

"كل ما نحتاج إليه هو: الثقة بأحكامك الحالية، وأفعالك التي تهدف للخير في الوقت الحالي، وتوجه الشعور الامتنان في الوقت الحالي لكل ما يحدث في حياتك".
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

الإدراك والفعل والإرادة، هي الأنظمة الثلاثة المهمة والمتداخلة للفلسفة اليونانية (وكذلك النظام الذي سار عليه هذا الكتاب والرحلة التي تستمر لسنة كاملة والتي بدأتها للتو). ولكن، لا شك في أن هناك المزيد من الأمور المتعلقة بتلك الفلسفة - ويمكننا قضاء يوم كامل في الحديث عن المعتقدات الفريدة من نوعها لمختلف الفلاسفة اليونانيين: "هذا ما اعتقده هيراكليطوس..."، "اعتقد زينو، من مدينة سيتيوم القبرصية أن...". ولكن، هل ستفيدنا تلك الحقائق في عصرنا الحالي؟ ما الموضوع الذي تقدمه لنا تلك التوافه؟ بدلاً من كل هذا، ستلخص التذكرة التالية الأجزاء الثلاثة الأكثر أهمية من الفلسفة اليونانية، والتي تستحق أن تحملها معك كل يوم، وتستعين بها في جميع قراراتك:

تحكم في إدراكك.

وجه أفعالك في الاتجاه الصحيح.

تقبل طواعية الأمور الخارجة عن سيطرتك.

وهذا كل ما نحتاج لفعله.

٥ يناير

وضع نياتك

"وجه جميع جهودك نحو أمر بعينه، واجعل هذا الهدف نصب عينيك دومًا. ليس النشاط هو ما يزعج الناس، بل المفاهيم الخاطئة للأمور هي ما تقودهم إلى الجنون".
— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

القانون التاسع والمشرون من كتاب *The 48 Laws of Power* ينص على: خطط مسارك بالكامل حتى النهاية. لقد كتب روبرت جرين: "عبر التخطيط لمسارك حتى النهاية لن تزداد وطأة الظروف عليك وستعرف متى يجب عليك أن تتوقف. لذا أرشد حظك برفق وساعده على تحديد المستقبل عن طريق الحاضر بتفكيرك". العادة الثانية من كتاب *العادات السبع للناس الأكثر فعالية* هي: ابدأ وقد حددت غايتك في ذهنك.

لا يضمن وجود هدف في ذهنك أنك ستحققه - لن يتساهل أي من الفلاسفة اليونانيين مع تلك المزاعم - إلا أن عدم وجود هدف في ذهنك سيضمن ألا تحققه. بالنسبة للفلاسفة اليونانيين، لا تعد المفاهيم الزائفة مسئولة عن الاضطرابات المزعجة للروح فحسب، بل أيضًا عن الحيوانات والعمليات الفوضوية والمختلة. وعندما لا توجه جهودك نحو تحقيق هدف أو غاية، فكيف ستعرف ما عليك فعله يومًا بعد يوم؟ كيف ستعرف الأمور التي يجب أن ترفضها والأمور التي يجب أن تقبلها؟ كيف ستعرف متى تكون قد اكتفيت، ومتى تمكنت من تحقيق هدف، ومتى انحرفت عن مسارك، إن لم تحدد أيًا منها؟
الإجابة هي أنه لن يمكنك فعل أي مما سبق، وبالتالي، ستحدر مباشرة نحو الفشل - أو الأسوأ، نحو الجنون عبر الضياع في غيابات التخطيط.

٦ يناير

أين، من، ماذا، ولماذا

"الشخص الذي لا يعلم كنه الكون، لا يعلم أين يوجد. والشخص الذي لا يعلم هدفه في الحياة، لا يعلم من يكون أو ما الكون. والشخص الذي لا يعلم أيًا من تلك الأمور، لن يعلم سبب وجوده. إذن، فماذا سيكون رأيك فيمن يسعون إلى - أو يتجنبون - إطراء هؤلاء الذين لا يملكون أية معرفة عن مكان وجودهم أو من يكونون؟"

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

قص الممثل الكوميدي الراحل ميتش هيدبرج قصة مضحكة بطريقته الساخرة. فقد كان جالسًا في لقاء مباشر على الهواء، فسأله مذيع المحطة الإذاعية قائلًا: "مَن أنت؟". وفي تلك اللحظة، فكر في نفسه، هل هذا الرجل متعمق الفكر حقًا أم أنني حضرت إلى المحطة الخطأ؟

كم مرة طرحنا ذلك السؤال البسيط: "مَن أنت؟" أو "ماذا تفعل؟" أو "من أين أنت؟". وبافتراض أنها مجرد أسئلة سطحية - فإذا تمكنا من اعتبارها كذلك من الأساس - فإننا نحمل أنفسنا أعباء الإجابة عنها بإجابات لا تمت للسطحية بصلة.

ولكن، حتى إن وجهت المسدسات إلى رؤوس الناس مهددا إياهم بالقتل، لن يمكن لغالبيتهم أن يجيبوا إلا بالإجابات الواقعية. هل يمكنك أنت؟ هل استقطعت وقتًا لتفهم بوضوح من تكون وما القيم التي تناصرها؟ أم أنك شديد الانشغال بمطاردة الأمور غير المهمة، ومحاكاة التأثيرات الخطأ، واتباع المسارات المخيبة للأمال أو غير المرضية أو غير المتواجدة؟

٧ يناير

٧ وظائف واضحة للذهن

"العمل الملائم للذهن هو ممارسة الاختيار والرفض والتوق والنفور والاستعداد والغاية والقبول. ماذا إذن يمكن أن يلوث أو يعوق عمليات الذهن الملائمة؟ لا شيء سوى قراراته الفاسدة.

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

١ مونا نقسم كلاً من تلك المهام إلى صور أبسط:

الاختيار – أن تفعل وتفكر بالشكل الصحيح.

الرفض – للمفريات.

التوق – للتحسن.

النفور – من السلبية ومن التأثيرات السيئة ومن الزيف.

الاستعداد – لما سيحدث مستقبلاً أو ما قد يقع لنا.

الغاية – مبدؤنا الإرشادي وألويتنا القصوى.

القبول – للتحرر من التضليل فيما يتعلق بما يمكننا السيطرة وما لا يمكننا

السيطرة عليه (وأن تكون مستعداً لقبول الأمور الأخيرة).

هذا ما وجد الذهن ليفعله. وعلينا أن نتأكد من أنه يفعل تلك الأمور – وأن

٢١ رى أي شيء آخر كتلوث أو فساد.

٨ يناير رؤية ما نُدمن عليه

"علينا أن نمتنع عن الكثير من الأشياء التي ندمنها على اعتبار أنها أمور جيدة. وإلا ستنتهي شجاعتنا، والتي كان يجب أن تجدد نفسها باستمرار. وسنفتقد عظمة الروح، والتي لن تتميز إلا إذا احتقرت ما يعتبره غالبية العامة الأمور الأهم".

— سينيكّا، من كتاب *Moral Letters*

ما نعتبره متعة لا ضرر منها يمكنها أن تتحول بسهولة إلى إدمان لا مفر منه. قد نبدأ بتناول القهوة في الصباح، وسرعان ما لا يمكننا أن نبدأ يومنا من دونها. وقد نتصفح بريدينا الإلكتروني؛ لأنه جزء من عملنا، وسرعان ما نبدأ بتحسس ذلك الأزيز المخيف في جيوبنا كل بضع ثوانٍ - وسرعان ما تبدأ تلك العادات بتدمير حياتنا.

لن تتسبب تلك الدوافع والمثيرات البسيطة في إهدار حريتنا وسيطرتنا على أنفسنا فحسب، بل إنها تتم على وضوح تفكيرنا. إننا نعتقد أننا مسيطرون على حياتنا - ولكن، هل نحن مسيطرون بالفعل؟ كما قال أحد المدمنين: الإدمان هو عندما "نفقد حريتنا في الامتناع". لذا دعونا نستعد تلك الحرية.

ما أنواع الإدمان الأخرى بالنسبة لك: المشروبات الغازية؟ العقاقير؟ الشكوى؟ النميعة؟ الإنترنت؟ قضم أظفارك؟ يجب أن تستعيد قدرتك على الامتناع عن تلك العادات؛ لأن تلك القدرة تتطوي على وضوحك وسيطرتك على نفسك.

٩ يناير

ما يمكننا التحكم فيه وما لا يمكننا التحكم فيه

"هناك بعض الأمور التي تقع ضمن نطاق تحكمنا، والبعض الآخر ليس كذلك: يمكننا التحكم في أرائنا وخياراتنا ورغباتنا ونفورنا، وأي شيء يمكن أن نفعله. ولكن، لا يمكننا التحكم في أجسامنا وممتلكاتنا وسمعتنا ووضعنا الاجتماعي وكل ما لا يمكننا أن نفعله. علاوة على ما سبق، الأمور التي يمكننا التحكم فيها تكون بطبيعتها حرة ومستمرة وواضحة، في حين تكون الأمور التي لا يمكننا التحكم فيها ضعيفة وتقليدية ويمكن إعاقتها؛ وليست في متناولنا".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Enchiridion*

في العصر الحالي، لم نعد قادرين على التحكم في الأمور الخارجية التي تحدث لنا. هل هذا أمر مخيف؟ قليلاً، ولكنه يصبح متوازناً عندما نرى أنه يمكننا التحكم في أرائنا *حيال* تلك الأحداث؛ حيث يمكننا أن نقرر بأنفسنا إذا ما كانت جيدة أم سيئة، عادلة أم جائرة. لن يمكنك التحكم في الموقف، ولكن يمكنك التحكم فيما تمتمده بشأن هذا الموقف.

أترى كيف يعمل الأمر؟ كل شيء خارج نطاق تحكمك - العالم الخارجي، الأشخاص الآخرون، الحظ، القدر، أيًا ما كان - لا يزال يمثل منطقة موازية تقع في نطاق تحكمك. وهذا الأمر دون غيره يمنحنا الكثير من السيطرة والكثير من السلطة.

والأفضل من كل هذا، ذلك الفهم الصادق لما يقع في نطاق تحكمنا، والذي يمدنا بالوضوح الحقيقي عن العالم: كل ما نملكه هو عقلنا. تذكر أن هذا اليوم، عندما بدأت تحاول أن تمد نطاقك نحو الخارج، سيكون أفضل كثيرًا وأكثر ملاءمة إذا وجهت هذا المد نحو الداخل.

١٠ يناير

إذا كنت ترغب في أن تكون ثابتاً

إن جوهر الخير عبارة عن نوع من الخيارات العقلانية، مثلما هي الحال مع جوهر الشر الذي يعد نوعاً آخر من الخيارات العقلانية. ماذا عن الأمور الخارجية إذن؟ إنها المادة الخام لخياراتنا العقلانية، والتي تعثر على الخير أو الشر فيها عبر التعامل معها. كيف ستعثر على الخير؟ ليس عبر الانبهار بتلك المادة. فإذا كانت أحكامنا على تلك المادة ثابتة، فسنقدم على الخيارات الجيدة، أما إذا كانت تلك الأحكام ملتوية، فستصبح خياراتنا سيئة".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

يسمى أصحاب الفلسفة اليونانية إلى تحقيق الثبات والاستقرار والسكينة - الصفات التي يطمح الكثيرون منا إلى تحقيقها، ولكن يبدو أنهم لا يستطيعون تحقيقها إلا قليلاً. كيف يمكننا تحقيق هذا الهدف المراد؟ كيف يمكن للمرء أن يجسد الاستقرار (الكلمة التي استخدمها أريان لوصف تعاليم إبيكتيتوس)؟ حسنًا، إنه ليس العجز، وليس عبر محو التأثيرات الخارجية أو الركود إلى الهدوء والعزلة، بل إن الأمر يتعلق بالنظر إلى العالم الخارجي بعدستنا المقومة للأحكام؛ وهذا ما يمكن لمنطقنا فعله - يمكنه أخذ الطبيعة الملتوية المربكة الساقطة للأحداث الخارجية وتقويمها.

ولكن، إذا كانت أحكامنا ملتوية لأننا لم نستخدم المنطق، فكل ما سيتبعها سيكون ملتويًا، وسنفقد قدرتنا على تقويم أنفسنا في تلك الحياة الفوضوية المحمومة. فإذا كنت ترغب في أن تظل ثابتاً، وإذا كنت ترغب في الوضوح، فإن الأحكام الصحيحة هي أفضل طريق لتحقيق ذلك.

١١ يناير

إذا كنت لا ترغب في أن تكون ثابتاً

"إذا حوّل شخص ما انتباهه إلى خياراته العقلانية وما ستؤدي إليه خياراته تلك، فسيمتلك في الوقت نفسه الإرادة اللازمة للتفادي، ولكن، إذا حوّل انتباهه بعيداً عن خياراته العقلانية نحو أمور لا يمكنه التحكم فيها، ساعياً لتفادي الأمور التي يتحكم فيها الآخرون، فإنه سيصبح مرتبكاً وخائفاً وغير مستقر".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

عادة ما تكون الصورة في مخيلتنا عن فلاسفة التبت أنهم عبارة عن نُسّاك يعيشون في أعالي التلال الخضراء الهادئة، أو في دور عبادة جميلة على سفح جبل صخري. إلا أن أصحاب الفلسفة اليونانية هم الصورة المناقضة لتلك الصورة تماماً، حيث إنهم سيكونون رجالاً تلتقيه في المتجر أو عضواً في البرلمان أو زوجة شجاعة تنتظر زوجها الجندي ليعود من المعركة أو نحاتاً منشغلاً بالعمل في ورشته. ولكن، سيظل هذا الفيلسوف محافظاً على سلامه الداخلي.

يذكر إبيكتيتوس بأن السكينة والاستقرار نتيجتان لخياراتك وأحكامك، وليس للبيئة المحيطة بك. وإذا كنت تسعى لتفادي جميع الأمور التي قد تعكر صفوتك السكينة - أشخاص آخرين أو أحداث خارجية أو توتر - فلن تُكَلِّل جهودك بالنجاح أبداً؛ حيث ستتبعك مشكلاتك أينما ذهبت محاولاً الاختباء منها. ولكن، إذا كنت تسعى لتفادي الأحكام الضارة والمؤرقة التي تسبب تلك المشكلات، فستظل مستقرّاً وثابتاً أينما وُجِدت.

١٢ يناير

الطريق الوحيد نحو السكينة

"احتفظ بتلك الفكرة جاهزة في بداية كل يوم، وخلال اليوم، وحتى المساء - هناك طريق واحد فقط لتحقيق السعادة، وهو التخلي عن جميع الأمور التي لا تقع ضمن نطاق اختيارك، والأعتبر أي شيء آخر من ممتلكاتك، وتدع جميع الأمور الأخرى في يد القدر".

-- إبيكتيوس، من كتاب *Discourses* ..

ذُكِّر نفسك، صباح اليوم، بما يمكنك التحكم فيه وما لا يمكنك التحكم فيه. ذُكِّر نفسك بأن تركز على ما سبق لا على ما سيحدث.

قبل الغداء، ذكر نفسك بأن الشيء الوحيد الذي تمتلكه هو قدرتك على الاختيار (واستخدام المنطق والأحكام لتختار): فهذا هو الشيء الوحيد الذي لا يمكن لأحد أن يأخذه منك بالكامل.

في فترة ما بعد الظهر، ذكر نفسك بأنه بعيداً عن الخيارات التي تتخذها، فإن مصيرك ليس بيدك بالكامل. إن العالم يدور ونحن ندور معه - أيًا ما كان اتجاهه، جيداً أو سيئاً.

وفي المساء، ذكر نفسك مرة أخرى بالأمور الكثيرة الخارجة عن إرادتك، ومكان بداية خياراتك وانتهائها.

وعندما ترقد في فراشك، تذكر أن النوم نوع من الاستسلام والثقة وتذكر كيف يأتيك بسهولة. واستعد لبدء الدورة بأكملها من جديد في الغد.

١٣ يناير

دائرة التحكم

"يمكننا التحكم في خياراتنا العقلانية وجميع الأفعال المترتبة على تلك الإرادة المعنوية. ولكن ما لا يمكننا التحكم فيه هو الجسد وأي من أعضائه، وممتلكاتنا، وأبوانا، وأقرباؤنا، وأبنائنا، وبلادنا - أي شيء قد نرتبط به".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

من المهم جداً أن نكرر العبارة التالية: يدرك الشخص الحكيم الأمور التي تقع ضمن دائرة تحكمه والأمور التي تقع خارجها.

والجدير بالذكر أنه من السهل جداً أن تتذكر ما يقع في نطاق تحكمنا. طبقاً للفلاسفة الرومانيين، تحتوي دائرة التحكم على شيء واحد فقط: ذهنك. هذا صحيح، حتى إن جسدك لا يقع بالكامل داخل تلك الدائرة؛ فقد تُصاب بمرض عضوي أو عجز بدني في أية لحظة، وقد تكون في بلد أجنبي ويُزج بك في السجن.

ولكن، تمد هذه جميعها أخباراً جيدة؛ لأنها تقلل بشدة من عدد الأمور التي تحتاج للتفكير فيها. وهناك وضوح كبير يكتنف البساطة؛ فعندما يتحرك الجميع بطريقة محمومة حاملين قوائم بالمسئوليات - أموراً ليسوا مسئولين عنها في حقيقة الأمر - ستحمل أنت قائمة مكونة من بند واحد. لديك شيء واحد فقط عليك التحكم فيه: خياراتك وإرادتك وعقلك. تذكر هذا.

١٤ يناير

أقطع الخيوط التي تقيد عقلك

"تذكر أن بك شيئاً أكثر قوة وسمواً من الأشياء التي تسبب لك الرغبات الجسدية التي تحركك كالدمية. ما الأفكار التي تشغل ذهني الآن؟ هل هي الخوف أم الشك أم الرغبة أم شيء من هذا القبيل؟".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

فكر في جميع الاهتمامات التي تتنافس من أجل نيل حصة من المال من محفظتك أو ثابته من انتباهك. أصبح علماء الغذاء يصممون منتجات تستغل حلمات التذوق على لسانك، وأصبح مهندسو وادي السيليكون يصممون تطبيقات تسبب لك الإدمان، وأصبحت وسائل الإعلام تختلق قصصاً تستثير الحنق والغضب.

تعد تلك شريحة صغيرة من المفريات والقوى التي تعمل على عقولنا - تلهينا وتبعدنا عن الأمور المهمة بالفعل. ولحسن الحظ، لم يتعرض ماركوس لتلك الأجزاء الكبيرة من الثقافة المعاصرة، ولكنه كان مدركاً للكثير من الشرك المشتتة: النميمة ومسئوليات العمل اللانهائية، وكذلك الخوف والشك والشهوة. ويتأثر جميع البشر بتلك القوى الخارجية والداخلية والتي تزداد قوتها، وبالتالي تزداد صعوبة مقاومتها.

تطلب منا الفلسفة أن نكون أكثر انتباهاً وأن نتوق لأن نكون أكثر من مجرد قطع شطرنج. كما كتب فيكتور فرانكل في كتابه تحت عنوان *The Will to Meaning*: "يندفع المرء بالمحفزات ولكنه يحجم بالقيم"؛ حيث تمنعنا تلك القيم والوعي الداخلي عن أن نتحول إلى دمي. ولا شك في أن الانتباه يتطلب منا عملاً ووعياً؛ فهذا سيكون أفضل من أن نتحول إلى دمي معلقة بخيوط!

١٥ يناير

يكمن السلام في الحفاظ على المسار

"يقنصر فهم السكينة فقط على أولئك الذين وصلوا إلى مستوى كبير وثابت من القدرة على الحكم - يواصل الآخرون التعثر والنهوض في قراراتهم، متقلبين في حالة من التبادل بين رفض الأمور وقبولها. ما سبب هذا التقلب؟ السبب هو أنه لا يوجد شيء واضح، وأنهم يعتمدون على مرشد ليس أهلاً للثقة - الرأي العام".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

في مقال سينيكا عن السكينة، استخدم مفهوم "الإيمان بنفسك والثقة بأنك على المسار الصحيح، وعدم الوقوع في شرك التشكك عبر اتباع العديد من مسارات أولئك الذين يسلكون جميع الاتجاهات دون هدى". ويقول إنه مع تلك الحالة الذهنية، ستصل إلى السكينة.

يمكننا وضوح الرؤية من الاقتناع بهذا المعتقد. ولا يعني هذا أننا سنظل واثقين بنسبة ١٠٠٪ بكل شيء، أو أنه يجدر بنا ذلك، بل يعني أنه يمكننا أن نطمئن إلى أننا قد سلكنا، في عموم أحوالنا، المسار الصحيح - أننا لسنا بحاجة إلى مقارنة أنفسنا باستمرار بالآخرين أو تغيير آرائنا كل ثلاث ثوان بناءً على المعلومات الجديدة.

وبدلاً من كل ما سبق، يمكننا العثور على السكينة والسلام الداخلي عبر تحديد مسارنا والالتزام به: الحفاظ على المسار - إصدار الأحكام هنا وهناك - مع تجاهل الأصوات الملهية التي تفرينا بتحويل مسارنا لنصطدم بالصخور.

١٦ يناير

لا تفعل أي شيء بحكم العادة

"في معظم الأمور الأخرى، لا نتعامل مع الظروف بما يتفق مع الفرضيات الصحيحة، بل عبر اتباع العادات السيئة. وحيث إن كل ما قلته هي الحال السائدة، فعلى الشخص الخاضع للتدريب أن يسعى لأن يسمو، وأن يتوقف عن البحث عن المتعة وأن يبتعد عن الألم، وأن يتوقف عن التعلق بالحياة ومقت الموت، وفي حالة الممتلكات والمال، أن يتوقف عن تقدير الأخذ أكثر من العطاء."

— موسونينوس روفوس، من كتاب *Lectures*

سُئِلَ أحد العمال: "لم فعلت هذا الأمر بتلك الطريقة؟". فأجاب: "لأن هذه هي الطريقة التي لطالما فعلناه بها". تلك الإجابة قد تثير غضب أي مدير جيد، ولكنها ستُسبِلُ لعاب أي رائد أعمال: لقد توقف العامل عن التفكير وأصبح يؤدي عمله بحكم العادة. ولقد أصبحت الشركة في خضم منافسة شرسة، وأي مدير مفكر قد يطرد هذا العامل.

يجدر بنا أن نطبق تلك اللامبالاة على عاداتنا. ففي واقع الأمر، ندرس الفلسفة من أجل تحرير أنفسنا من السلوكيات الروتينية. اعثر على ما تفعله من منطلق الذكريات الروتينية أو بحكم العادة. واسأل نفسك: هل تلك هي أفضل طريقة لفعل هذا الأمر؟ عليك أن تدرك سبب فعلك لما تفعل – وافعله للأسباب الصحيحة.

١٧ يناير

أعد تشغيل العمل الحقيقي

"أنا معلمك وأنت تلميذ في مدرستي، وهدفي هو أن أجعلك تصل إلى الكمال من دون عقبات، وتتحرر من السلوكيات الاندفاعية، وتكون غير مقيد ومن دون خجل، وحرًا، مزدهرًا، وسعيدًا، ترى الخالق في مخلوقاته الكبيرة والصغيرة - هدفك هو أن تتعلم وأن تمارس بحرص كل تلك الأمور. لم لا تكمل العمل إذن، إذا كنت تمتلك الهدف الصحيح وكنت أمتك الهدف الصحيح والاستعداد الملائم؟ ما الشيء الناقص هنا؟... يمكن إنجاز العمل، وهذا هو الأمر الوحيد الواقع ضمن نطاق تحكمننا... دعك من الماضي، وعلينا أن نبدأ من جديد، صدقني، وسترى".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

هل تذكر عندما كنت في المدرسة، أو عندما كنت صغيرًا، وتخشى فعل أمر ما لأنك تخشى أن تفشل؟ يختار غالبية المراهقين أن يتصرفوا بحماقة بدلًا من أن يثبتوا أنفسهم، ومن ثم تمنحهم الجهود الفاترة الكسولة مبررات جاهزة: "لا بهم - لم أكن أحاول إنجاز الأمر من الأساس".

ومع تقدمنا في العمر، لم يعد الفشل غير مهم، فلم تعد الأمور التي على المعك مجرد درجات دراسية أو كؤوس رياضية مدرسية، بل أصبحت أسلوب حياتك وجودتها وقدرتك على التعامل مع العالم من حولك.

ولكن لا تدع كل هذا يخفك. إن لديك أفضل معلمين في العالم: أحكم فلاسفة ساروا على سطح المعمورة. وبصرف النظر عن كونك شخصًا قادرًا، يطلب منك المعلم شيئًا بسيطًا جدًا: ابدأ العمل، وسيتحقق كل ما تريد لاحقًا.

١٨ يناير

انظر إلى العالم بعيني شاعر ورسام

"مر بتلك الفترة القصيرة من الوقت التي تتناغم فيها مع الطبيعة، وأذهب إلى مكان راحتك الأخير برشاقة، مثلما تسقط ثمرة الزيتون اليانعة، مشيدة بالتربة التي غذتها وممتنة للشجرة التي حملتها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

في كتاب ماركوس، *Meditations*، هناك تحولات رائعة الجمال في صياغة العبارات - وهي معالجة مفاجئة فيما يتعلق بالجمهور المستهدف. في واحدة من الفقرات، يقول مطرياً "الفتنة والجاذبية" واصفاً الطبيعة، "أعواد القمح اليانعة تتحني أمام الريح، أسد قد قطب جبينه، العسل الذي يتساقط من فم الدب". إذن علينا أن نشكر معلم البلاغة الخاص ماركوس كورنيليوس فرونتو على تلك الصور الرائعة في تلك الفقرات، فقد اختير فرونتو، والذي يعتبر أعظم الخطباء الرومان إلى جانب شيشرون، من قبل والد ماركوس بالكفالة ليعلمه كيف يفكر ويكتب ويتحدث.

بفضل كونها أكثر من مجرد عبارات جمالية، فقد منحتهم - وكذلك نحن الآن - منظوراً قوياً عن الأحداث العادية أو غير الجميلة. ويتطلب الأمر عين رسام ليرى أن تلك الغاية من الحياة لا تختلف عن الثمرة الناضجة التي تسقط من الشجرة، ويتطلب شاعرًا ليلاحظ أن طريقة "خبز الخبز تختلف من خباز إلى آخر من حيث الشقوق على سطح رغيف الخبز، ورغم أن الخباز لم يقصد بها أن تكون عملاً فنياً، فإنها تلفت انتباهنا وتثير شهيتنا"، ويعثر على الاستعارات فيها.

هناك وضوح (وبهجة) في رؤية ما لا يمكن للأخرين رؤيته، وهي العثور على الأنافة والتناغم في الأماكن التي لا يراها الآخرون. ألا يعتبر هذا أفضل من رؤية العالم كمكان كئيب؟

١٩ يناير

أيّنا ذهب، ستجد خيارك

"كل من المنصة والسجن مكانان، أحدهما عالٍ والآخر منخفض، ولكن يمكنك أن تحافظ في كليهما على حرية الاختيار إن رغبت في ذلك".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

اتخذ أصحاب الفلسفة اليونانية مواقف متباينة من الحياة، فقد كان بعضهم ثرياً، والبعض الآخر ولد في قاع الهرم الاجتماعي الروماني القاسي. وبعضهم عاش حياة مترفة، والبعض الآخر عاش حياة شديدة القسوة. وينطبق الأمر ذاته علينا نحن أيضاً - ننظر جميعاً إلى الفلسفة من منظور ثقافات اجتماعية مختلفة، وحتى في حياة كل منا، نمر بنويات من الحظ الجيد والحظ العاثر. ولكن، في جميع الأحوال - في العسر أو اليسر - هناك أمر وحيد نحتاج إلى فعله: التركيز على ما يقع ضمن نطاق تحكمننا في مقابل ما لا يقع في هذا النطاق. ففي الوقت الحالي، قد نكون منهكين بسبب كفاحننا المتواصل، بينما كنا نعيش منذ بضعة أعوام مترفين، وفي خلال بضعة أيام، قد نبلي بلائاً حسناً لدرجة أن نرى النجاح عبثاً. ولكن، سيظل هناك أمر وحيد على حاله لا يتغير: حرية الاختيار - سواءً في حياتنا بصورة شاملة، أو في بعض من مواقفها. وفي النهاية سندرك أن هذا هو الوضوح. وأياً من كنا، وأيّنا وجدنا - اختياراً هي ما ستهم: ماذا ستكون؟ كيف سنقيمها؟ كيف سنخرج بالاستفادة القصوى منها؟ تلك هي الأسئلة التي تطرحها علينا الحياة بصرف النظر عن أوضاعنا. كيف ستجيب عن تلك الأسئلة؟

٢٠ يناير

أشعل جذوة أفكارك من جديد

"لن تنطفئ جذوة مبادئك إن لم تخدم جذوة الأفكار التي تغذيها؛ لذا يمكنك دومًا أن تعيد إشعال جذوة أفكار جديدة... ويمكنك أن تبدأ حياتك من جديد! وأن ترى الأمور من منظور جديد كما فعلت من قبل - هكذا يمكنك أن تبدأ الحياة من جديد!"

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هل مررت من قبل ببضعة أسابيع سيئة؟ هل انحرفت عن مبادئك ومعتقداتك الأثيرة؟ لا بأس بهذا، فإنه يحدث لنا جميعًا.

في واقع الأمر، ربما حدث ذلك مع ماركوس - ربما كان هذا هو سبب كتابته تلك الملاحظة لنفسه. وربما كان يواجه بعضًا من أعضاء مجلس الشيوخ أو كان يواجه صعوبة في التعامل مع ابنه صعب المراس. فمن الممكن أن يفقد رباطة جأشه خلال أحد تلك المواقف، وبالتالي أصبح مكتئبًا أو توقف عن التواصل مع نفسه. ومن الذي قد لا يفعل؟

إلا أن التذكرة في هذه الحالة هي أنه بصرف النظر عما يحدث، وبصرف النظر عن مدى تخيب سلوكياتنا لآماننا في الماضي، تظل المبادئ نفسها على حالها. ويمكننا أن نعود ونعتمقها مجددًا في أي وقت نريد. فما حدث بالأمس - ما حدث منذ خمس دقائق - قد مضى. لذا يمكننا أن نعيد إشعال جذوة أفكارنا ونبدأ بأفكار جديدة عندما نحب.

لِمَ لا نفعل ذلك الآن؟

٢١ يناير طقس صباحي

"اطرح على نفسك الأسئلة التالية بمجرد أن تستيقظ من نومك:

- ما الذي ينقصني لكي أتحرر من الشغف؟
- ماذا عن السكينة؟
- ماذا أكون: مجرد جسد، صاحب ممتلكات، أم سمعة، أم لا شيء مما سبق؟
- ماذا بعد؟ كائن عقلائي.
- ما المطلوب مني إذن؟ تأمل أفعالك.
- كيف ابتعدت عن السكينة؟
- ما الذي فعلته ولم يكن ودودًا أو اجتماعيًا أو مراعيًا؟
- ما الذي فشلت في فعله في كل ما سبق؟"

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

يُودي الكثيرون من الأشخاص الناجحين طقوسًا صباحية؛ حيث يمارس البعض التأمل، والبعض الآخر التمارين الرياضية، ويكتب الكثيرون يومياتهم الصباحية - مجرد بضع صفحات يدونون فيها أفكارهم ومخاوفهم وآمالهم. في هذه الحالات، لا تقوم الفكرة كثيرًا على النشاط ذاته مثلما تقوم على طقس التفكير. فالفكرة هي أن تقضي بعض الوقت لتتظر إلى داخل نفسك وتفحصها. إن قضاء ذلك الوقت هو ما نصحت به الفلسفة اليونانية أكثر من أي شيء آخر. ولا نعلم إذا ما كان ماركوس أوريليوس قد ألف كتاب *Meditations* في الصباح أم المساء، ولكننا نعلم أنه كرس فترات من الوقت ليقضيها بمفرده في هدوء - وأنه كان يكتب لنفسه وليس لأي شخص آخر. فإذا كنت تبحث عن مكان لتبدأ فيه ممارسة طقوسك، فلن يكون سيئًا أن تلجأ إلى خيارات مثل ماركوس وهانمة مهام إبيكتيتوس.

وفي كل يوم، بدءًا من اليوم، اطرح على نفسك تلك الأسئلة الصعبة. ودع الفلسفة والاجتهاد يرشدك إلى إجابات أفضل، في كل صباح على حدة، على مدار حياتك بأكملها.

٢٢ يناير

تقييم اليوم

"سأراقب نفسي دومًا - والأفضل - أنني سأضع كل يوم من حياتي قيد التقييم. هذا هو ما يجعلنا أشرارًا: أن لا ينظر أي منا إلى الخلف متذكرًا ما مضى من حياته، فنحن لا نفكر سوى فيما نُقدّم عليه. ومع ذلك لا تزال خططنا للمستقبل مستمدة من الماضي".
— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

في خطاب وجهه إلى أخيه الأكبر نوفاتوس، وصف سينيكا الممارسة المفيدة التي اقتبسها من أحد الفلاسفة الكبار الآخرين. هُزي نهاية كل يوم، كان يطرح على نفسه أسئلة من قبيل الأسئلة التالية: ما العادة السيئة التي تخلصت منها اليوم؟ كيف تحسنت شخصيتي؟ هل كانت أفعالي عادلة؟ كيف يمكن أن أتحسن؟ في بداية كل يوم أو نهايته، يجلس الفيلسوف ممسكًا بدفتر يومياته ويراجع أفعاله: ماذا فعل، ماذا اعتقد، ماذا حسن. لهذا السبب، كان كتاب *Meditations* الذي ألفه ماركوس أوريليوس غامضًا إلى حد ما؛ فقد كان للاستخدام الشخصي للمؤلف وليس لينتفع به العامة. وكان تدوين ممارسات الفلسفة اليونانية ولا يزال إحدى طرق ممارستها، مثلما هي الحال مع ترديد الأدعية.

احتفظ بدفتر يومياتك، سواءً على حاسبك أو في مفكرتك. واقض وقتك محاولاً تذكر أحداث اليوم السابق. ولا تحد عن تقييماتك. ولاحظ ما أسهم في سعادتك وما انتقص منها. فعبّر بذل الجهد من أجل تسجيل تلك الأفكار، تقل احتمالية أن تنساها. وعلاوة على ما سبق، ستمتلك سجلاً مستمرًا لمتابعة تقدمك.

٢٣ يناير

الحقيقة المتعلقة بالمال

"دعونا نتفاخر عن كل شيء وننظر إلى الأثرياء - كم من المرات رأيتهم يبديون مثل الفقراء! عندما يسافرون للخارج، فإنهم يكسبون حقائبهم، وعندما يتعجلون، فإنهم يصرفون حاشيتهم. ومن يخدمون في الجيش، يا للعدد القليل من الممتلكات التي يمكنهم الاحتفاظ بها..."

- سينيكا، من كتاب *On Consolation to Helvia*

افتتح المؤلف إف. سكوت فيتزجيرالد الذي طالما صور حياة الأثرياء والمشاهير الباذخة في روايات على غرار *The Great Gatsby* - واحدة من قصصه القصيرة بعبارة أصبحت من العبارات الكلاسيكية في العصر الحالي: "دعني أحدثك عن الأثرياء. إنهم مختلفون عني وعنك". وبعد بضع سنوات من نشر تلك القصة، داعب إيرنست هيمنجواي صديقه فيتزجيرالد عندما كتب: "نعم، إنهم يمتلكون المزيد من المال".

هذا ما يذكرنا به سينيكا، فقد كان يدرك، كأحد أثرياء روما، منذ البداية أن المال لا يغير من الحياة إلا بصورة هامشية فقط. إنه لا يحل المشكلات التي يمتد الفقراء أنه يساعد على حلها. ففي واقع الأمر، لا توجد أية ممتلكات مادية يمكنها أن تحل تلك المشكلات. والأمور الخارجية لا تصلح المشكلات الداخلية.

إننا كثيرًا ما ننسى ذلك - ويسبب لنا هذا الكثير من التخبط والارتباك والألم. كما كتب "هيمنجواي" إلى فيتزجيرالد في وقت لاحق: "يمتد الأثرياء أنهم جنس ذورونق خاص، وعندما اكتشفوا أنهم ليسوا كذلك حطمهم ذلك مثلما فعل أي شيء آخر" - وينطبق الأمر ذاته علينا من دون أي تغيير.

٢٤ يناير

حاول الوصول إلى فهم أعمق

"تعلمت من روستيكوس أن أقرأ بتمعن وألا أرتضي بالفهم الجامد تمامًا، وألا أتفق بسرعة كبيرة مع من يملكون الكثير لقله عن أمر ما".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

يبدأ الكتاب الأول الذي ألفه ماركوس أوريليوس *Meditation* بلائحة عن الامتتان؛ حيث شكر كل من كان لهم التأثير الأكبر على حياته، الواحد تلو الآخر. ومن بين من وجه لهم الشكر كوينتوس جونيوس روستيكوس، ذلك المعلم الذي غرس في تلامذته حب الوضوح والفهم العميقين - الرغبة في عدم الرضا بالأفكار السطحية فقط عندما يتعلق الأمر بالتعلم.

كما تعرف ماركوس على إبيكتيتوس عن طريق روستيكوس. في واقع الأمر، أعار روستيكوس نسخته الخاصة من محاضرات إبيكتيتوس إلى ماركوس. ولكن، انضح أن ماركوس لم يرتض بالحصول على خلاصة تلك المحاضرات ولم يتقبل توصيات معلمه من دون أن يتعمق فيها. وقد قال بول جونسون ذات مرة مازحًا أن: إدموند ويلسون يقرأ الكتب "كما لو كان المؤلف واقفًا أمام قاض ليدافع عن حياته". هكذا قرأ ماركوس محاضرات إبيكتيتوس - وعندما وصل إلى درجة مرضية من فهم تلك الدروس، استوعبها تمامًا، وأصبحت جزءًا من تكوينه كإنسان. واقتبسها في جميع أعماله طوال حياته، مستشعرًا الوضوح والقوة الحقيقية في الكلمات، وحتى بين الرخاء والسلطة اللذين سيمتلكهما فيما بعد. هذه هي نوعية القراءة والدراسة المتعمقة التي نحتاج إلى غرسها في أنفسنا أيضًا، ولهذا السبب، نقرأ صفحة واحدة يوميًا بدلًا من فصل في كل مرة، حتى يمكننا قضاء الوقت الكافي للقراءة بانتباه وتعمق.

٢٥ يناير

الجائزة الوحيدة

"ما الذي تبقى لكي نضع له قيمة وثنائاً؟ اعتقد أن هذا يتلخص في أن نقصر أفعالنا أو كسلنا على محاولة مواكبة ما نحتاجه وفق ما نحن مستعدين له... هذا ما تدور حوله جهود التعليم والتدريس بأكملها - وهذا ما يجب أن تمنحه قيمة! إذا تمسكت بهذا المعتقد بقوة، فستتوقف عن محاولة نيل جميع الأشياء الأخرى... وإن لم تفعل، فلن تكون حرّاً أو مكتفياً بذاتك أو متحرراً من الشغف، ولكنك ستمتلي بالحدق والغيرة والتشكك في أي شخص يمتلك القدرة على أخذ تلك الأشياء، وستتأمر على أولئك الذين يملكون الجائزة... ولكن، عبر التحلي باحترام الذات لعقلك وجعله الجائزة في نظرك، ستسعد نفسك وستصبح في تناغم أفضل مع الآخرين، وأكثر توافقاً مع ربك - أن تحمده على النظام الذي وضعه للكون وما لخصت به".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

يعيش وارن بافيت، الذي تصل ثروته الصافية إلى حوالي ٦٥ مليار دولار، في المنزل نفسه الذي اشتراه في عام ١٩٥٨ مقابل ٣١٥٠٠ دولار. و"جون أورشيل"، المهاجم الرئيسي لضريق بالتيمور رافينز والذي يجني ملايين الدولارات، تمكن من أن يقلل مصروفات معيشته إلى ٢٥ ألف دولار سنوياً فقط. ويقود كاوهي ليونارد، نجم فريق سان أنطونيو سبيرز، سيارة شيفروليه تاهو موديل ١٩٩٧ لم يغيرها منذ كان مراهقاً، رغم مقابل عقده الذي يصل إلى ٩٤ مليون دولار. لماذا؟ ليس لأن هؤلاء الرجال بخلاء، بل لأن الأشياء التي تهمهم لا تكلف الكثير. لم ينته المطاف بأي من بافيت أو أورشيل أو ليونارد بهذه الطريقة بمحض المصادفة، فقد كان أسلوب حياتهم نتاجاً لتحديد الأولويات. فقد غرسوا في أنفسهم الاهتمامات التي تقل عن إمكاناتهم المادية، ونتيجة لهذا، سيمكّنهم أي دخل يتحصلون عليه من أن يسعوا بحرية كبيرة لتحقيق أي شيء يريدون. والمصادفة أنهم أصبحوا أثرياء أكثر من أفضل التوقعات. يعني هذا النوع من الوضوح - بشأن أكثر ما يحبونه في العالم - أنهم قادرون على أن يستمتعوا بحياتهم.

ويعني أنهم سيظلون سعداء حتى إن كسدت الأسواق أو لم يتمكنوا من العمل بسبب الإصابة بالأمراض أو خلاف ذلك.

كلما زادت الأشياء التي نرغب فيها وزادت الأمور التي علينا فعلها لجني المال أو لتحقيق تلك الإنجازات، قلت قدرتنا على الاستمتاع بالحياة - وبالتالي قلت حريتنا.

٢٦ يناير

قوة الشعارات

"امح الانطباعات الزائفة من عقلك من خلال أن تقول لنفسك دائماً إنك تمتلك في روحك ما يتطلبه الأمر لإبعاد الشر والرغبة وأي نوع من الاضطرابات - وبدلاً من ذلك، ومع رؤية الأمور على طبيعتها، فلن تعطىها إلا قدرها الحقيقي. وتذكر دومًا تلك القوة التي منحتك إياها الطبيعة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

أي شخص تلقى دروسًا في اليوجا أو تعرض للثقافات الشرقية ربما سمع بمفهوم الشعارات. لقد نشأ ذلك المفهوم في اللغة السنسكريتية القديمة، وكان يعني "الحكمة" - في إشارة إلى الكلمات أو العبارات أو الأفكار أو حتى الأصوات - والذي يُستخدم من أجل زيادة الوضوح أو الإرشاد الروحاني. ويمكن أن تفيد الشعارات بشكل خاص في عملية التأمل؛ لأنها تمكننا من حجب جميع الأمور فيما عدا تلك التي نركز عليها.

لذا، كان من الملائم للغاية أن يقترح ماركوس أوريليوس ذلك الشعار الخاص بالفلسفة اليونانية - تذكرة أو عبارة نستخدمها عندما نشعر بالانطباعات أو الإلهاءات الزائفة أو بوطأة الحياة الثقيلة على كاهلنا. يقول الشعار: "أنا أملك القوة في داخلي لأبعد تلك الأمور عني، وبذلك يمكنني أن أرى الحقيقة".
غَيْر من صياغة الشعار كما يحلو لك، فهذا يعود إليك، ولكن امتلك شعارًا واستخدمه للعثور على الوضوح الذي تريده.

٢٧ يناير

مجالات التدريب الثلاثة

"هناك ثلاثة مجالات يجب أن يتدرب عليها المرء إذا كان يرغب في أن يكون حكيمًا ورحيمًا. المجال الأول يتعلق بالرغبات والكرهية - يجب على المرء ألا يخضع أبدًا لرغباته أو يتقبل الأمور التي تصدر عن تلك الرغبة. ويتعلق الثاني بدوافع الفعل أو الضمول - والواجب، إن تحريينا المزيد من الشمولية - وذلك لأن المرء قد يتصرف عن عمد لأسباب جيدة وليس بلا مبالاة. ويتعلق المجال الثالث بالتححرر من الخداع ورباطة الجأش ومجال الأحكام بأكمله، والقبول الذي تمنحه عقولنا لإنراكها. من بين تلك المجالات، يعد المجال الأول هو أكثرها أهمية؛ والذي يتعلق بالشغف والمشاعر القوية التي تظهر فقط عندما تفشل رغباتنا وكرهيتنا".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

دعونا نركز اليوم على مجالات التدريب الثلاثة التي قدمها لنا إبيكتيتوس: أولاً، علينا أن نفكر فيما يجدر بنا أن نرغب فيه وما يجدر بنا أن ننفر منه. لماذا؟ لكي نرغب في الأمور الجيدة ونتجنب الأمور السيئة. ولأننا نرغب في أن نتصرف بحواسك فحسب - لأن الملهيات عادة ما تجعلنا نتحرف عن مسارنا. ثانيًا، علينا أن نستكشف دوافعنا نحو الأفعال - أي، محفزاتنا. هل نفعّل الأمور للأسباب الصحيحة؟ أم أننا نتصرف لأننا لم نتوقف عن التفكير؟ أم أننا نعتقد أنه يجب علينا فعل أمر ما؟

وأخيرًا، هناك أحكامنا؛ وهي قدرتنا على رؤية الأمور بوضوح وبالطريقة المناسبة، والتي تظهر عبر استخدام الهيئة الرائعة التي نمتلكها: المنطق. تلك هي مجالات التدريب الثلاثة، ولكنها على أرض الواقع متشابكة جدًا، حيث تؤثر أحكامنا على ما نرغب فيه، وتؤثر رغباتنا على تصرفاتنا. ولكن لا يمكننا أن نتوقع حدوث ذلك، فعلينا أن نضع الكثير من الفكر والطاقة في كل من هذه المجالات من حياتنا. وإذا فعلنا، سنعثر على الوضوح والنجاح الحقيقيين.

٢٨ يناير مراقبة الحكماء

"ألق نظرة متعمقة على المبادئ المحركة للبشر، خاصة الحكماء منهم: ما الذي يتجنبونه وما الذي يسعون إليه".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

قال سينيكا: "من دون قدوة، لن تتمكن من إصلاح أحوال الناس". هذا هو دور الحكماء في حياتنا - أن يكونوا قدوة وإلهامًا للآخرين، وأن يقيّموا أفكارنا ويختبروا أحكامنا المسبقة. من سيكون هذا الشخص القدوة بالنسبة لك؟ هذا أمر راجع إليك - قد يكون والدك أو والدتك، وقد يكون فيلسوفًا أو كاتبًا أو مفكرًا، وقد يكون تعاليمك ومبادئك. اختر شخصًا، وراقب ما يفعل (وما لا يفعل)، وابدل قصارى جهدك لتسير على نهجه.

٢٩ يناير

حافظ على البساطة

"حافظ طوال الوقت على ثبات فكرك على المهمة التي تؤديها، كإنسان، وأدها بنزاهة وحب وحرية وعدالة صارمة وبسيطة - مانحًا نفسك بعض الراحة من جميع الاعتبارات الأخرى. ويمكنك أن تفعل ذلك إن أدبت كل مهمة كما لو كانت الأخيرة بالنسبة لك، متخليًا عن جميع الإلهاءات، والتخريب العاطفي للمنطق، وكل المآسي والخيلاء الزائفة والشكوى من نصيبك العادل من الحياة. ويمكنك أن ترى كيف تمكنك السيطرة على بعض الأمور من أن تعيش حياة منعمة وورعة - وإن واصلت الانتباه لتلك الأمور، فلن تكون بحاجة إلى أي شيء آخر".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

يوفر لنا كل يوم الفرصة للتفكير بتمعن في الأمور: ما الذي يجب أن أرثديه؟ هل يحبني الناس؟ هل أكل جيدًا؟ ما الفرص التالية السانحة لي في حياتي؟ هل (نيسي راضٍ عن عملي؟

واليوم، دعونا نركز فقط على ما بين أيدينا. وسنتبع المحاضرة التي ألقتها مدرب فريق نيوانجلاند باتيريوتس، بيل بيليتشيك، على لابعيه: "قوموا بمملكم". وكانسان صالح، كجندي صالح، كخبير في حرفتك. لست بحاجة لأن تتشغل بالآف الملهيات الأخرى أو بشئون الآخرين.

يقول ماركوس إنه يجب أداء أية مهمة كما لو كانت مهمتك الأخيرة، لأنها قد تكون كذلك بالفعل. وحتى إن لم تكن كذلك، فإن عدم إتقان المهمة التي بين يديك لن يؤدي إلى أية نتائج. لذا حاول أن تمش على الوضوح في بساطة أدواتك لعملك.

٣٠ يناير

يجب عليك ألا تظل قائماً على جميع الأمور

"إذا كنت تتمنى أن تتحسن، عليك أن تشعر بالسعادة إذا ظهرت وكانك أحق أو جاهل فيما يتعلق بالشئون الخارجية - لا تأمل لأن تبدو ملئاً بها. وإن اعتبرك البعض مهماً، فلا تثق بذلك".

— إبيكتيوس، من كتاب *Enchiridion*

من بين أقوى الأمور التي يمكنك أداؤها كإنسان في ظل عالم الإعلام المحموم الذي لا ينام على مدار الساعة أن تقول: "لا أعلم". أو الأفضل: "لا أهتم". يبدو أن معظم المجتمع أصبح يلزم الجميع بأنه يجب عليهم أن يعلموا كل شيء عن كل حدث يقع، وأن يتابعوا الأخبار باهتمام كبير، وأن يقدموا أنفسهم للآخرين كأفراد مثقفين وملمين بكل شيء.

ولكن، ما الدليل على مدى ضرورة هذا الأمر؟ هل هو التزام فرضته الشرطة على الجميع، أم أنك تخشى أن تبدو سخيلاً خلال حفل عشاء؟ نعم، إنك تدين لبلدك ولأسرتك بأن تعلم كل شيء عن الأحداث التي قد تؤثر عليهم بصورة مباشرة، ولكن هذا كل شيء تقريباً.

كم من الوقت والطاقة والقدرة الذهنية الخالصة ستوفر إن قلت من استهلاكك لوسائل الإعلام بشكل كبير؟ كم ستشعر بالراحة والحضور إن لم تشعر بالإثارة أو الغضب بسبب كل فضيحة وخبر عاجل وأزمة محتملة (والتي لا ينتهي أغلبها على أية حال)؟

٣١ يناير

الفلسفة كعلاج للروح

”لا تعد إلى الفلسفة كخبير في المهام، بل كمريض يسعى للراحة في صورة علاج لعينيه الملتهبتين، أو ضمادة لحرق، أو مرهم. وعبر التفكير بهذه الطريقة، ستطيع المنطق من دون محاولة استعراضه والرضا بما سيمليه عليك“.

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

كلما زاد انشغالنا، زاد عملنا وتعلمنا وقراءتنا، وكذلك انحرافنا عن مسارنا؛ ومن ثم ندخل في إيقاع حياتي منتظم، ونبدأ بجمع المال، ونصبح أكثر إبداعاً، ونظل محفزين ومنتشغلين. قد يبدو كأن كل شيء يسير على ما يرام، ولكننا في الحقيقة، ننحرف أكثر فأكثر مبتعدين عن الفلسفة.

وفي نهاية المطاف، سيؤدي هذا الإهمال إلى مشكلة - يزداد توترنا، وتعتم عقولنا، وننسى الأمور المهمة بالنسبة لنا - ما يسبب لنا الضرر بصورة ما. وعندما يحدث ذلك، سيكون من المهم بالنسبة لنا أن نتوقف - منحين جانباً كل الزخيم والوقت، ومن ثم نعود إلى النظم والممارسات التي نعلم أنها متأصلة في الوضوح والحكم الجيد والمبادئ السديدة والصحة الجيدة.

صُممت الفلسفة اليونانية لكي تكون علاجاً للروح، حيث إنها تعفينا من نقاط ضعف الحياة المعاصرة، كما أنها تعيد تنشيط كل الحيوية التي نحتاج إليها لكي نزهدهر في حياتنا. لذا تواصل مع تلك الفلسفة اليوم، ودعها تعالجك.

فبرائر

الشغف والعاطفة

١ فبراير

للإنسان دائم التفكير

"أغرس تلك الفكرة في ذهنك عندما تشعر بأن هناك غضبًا يتصاعد في داخلك. ليس من الرجولة أن أغضب، بل إن اللطف والتحضر يعبران أكثر عن السمات الإنسانية، وبالتالي، السمات الرجولية؛ فالرجل الحقيقي لا يستسلم للغضب والتعاسة، ومثل هذا الشخص يمتلك القوة والشجاعة والجلد - على النقيض من الشخص الغاضب الشكّاء. وكلما اقترب الرجل الأول من حالة الهدوء الذهني، اقترب أكثر من القوة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

لم يتحدث الرياضيون بالسوء عن بعضهم؟ ولم يتفوهون عن عمد بأمور مهينة وسيئة لمنافسيهم عندما ينشغل الحكام بأمور أخرى؟ لاستشارة ردة فعلهم؛ حيث يعد إلهاء المنافس وإثارة غضبه طريقة سهلة لتشتيته خلال المباريات. حاول أن تتذكر هذا الأمر عندما تجد أنك تستشيط غضبًا. إن الغضب ليس عاطفة مثيرة للإعجاب ولا يجعلك تبدو قويًا - إنه خطأ، بل هو ضعف. وبناءً على ما تفعل، قد يكون ذلك فخًا أعده لك شخص ما لتقع فيه. يُطلق الجمهور والمنافسون على حدٍ سواء على الملاكم جولويس اسم "ألي الحلبة"؛ لأنه لا تظهر عليه أية عواطف - فهو رزين وتبدو ملامحه الهادئة مخيفة أكثر من أية نظرة جنون قد تبدو عليه أو أية عاطفة قوية قد يقدم عليها. القوة هي القدرة على سيطرة المرء على نفسه، وهي الشخص الذي لا يهضب أبدًا، ولا يمكن إثارة غضبه؛ لأنه قادر على السيطرة على أعصابه - بدلًا من أن تتحكم فيه مشاعره.

٢ فبراير

إطار ذهني مناسب

"ضع أفكارك في الإطار التالي - أنت بالغ، ولن تدع نفسك عبدًا لتلك الأفكار لأكثر من هذا، ولن تدع نفسك معلقًا بدوافعك كالدمية بعد الآن، وستتوقف عن الشكوى بشأن حظوظك الحالية أو خوفك من المستقبل".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

نمتعض دومًا من الشخص الذي يتدخل محاولاً أن يكون رئيسًا علينا. لا تمل عليّ كيف أرتدي ملابس، وكيف أفكر، وكيف أقوم بعمل، وكيف أعيش؛ وهذا لأننا شخصيات مستقلة ومكتفية ذاتيًا. أو هذا ما نخبر به أنفسنا على الأقل.

ولكن، إن قال شخص ما أمرًا غير متفق عليه، فإنه يتصاعد صوت في داخلنا ليخبرنا بأنه يجب علينا أن نواجهه. فإذا كان هناك طيق من الكمك موضوع أمامنا، فسيكون علينا أن نأكله. وإذا فعل شخص ما شيئًا لا يعجبنا، فسيكون علينا أن نغضب بسببه. وعندما يحدث أمر سيئ، سيكون علينا أن نشعر بالحزن أو الكآبة أو القلق. ولكن، إذا حدث أمر جيد بعده بلحظات، فإننا نشعر فجأة بالسعادة والحماسة ونرغب في المزيد منه.

إننا لا نسمح أبدًا لأحد بأن يخذعنا مثلما نفضل مع دوافعنا. إنه الوقت عندما نبدأ برؤية الأمر على هذه الشاكلة - فتحن لسنا دمي يمكن جعلها ترقص بهذه الطريقة أو تلك لأننا نرغب في ذلك، بل يجب أن نملك زمام أمورنا، ولا نجعل عواطفنا تتحكم فينا؛ لأننا مستقلون ومكتفون ذاتيًا.

٢ فبراير

مصدر قلقك

"عندما أرى شخصًا قلقًا أسأل نفسي، ما الذي يريده؟ لأنه إن لم يكن هذا الشخص يرغب في شيء خارج نطاق سيطرته، فلم يقلق إذن؟"

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

يقلق الأب بشأن أطفاله. ما الذي يريده؟ إنه يريد عالمًا آمنًا دائمًا. والرحالة، انهم الهياج - ما الذي يريده؟ أن يستقر الطقس وأن يقل الزحام حتى يمكنه الهاق برحلته الجوية. والمستثمر العصبي؟ أن تتغير أحوال السوق وأن يجني المال من استثماراته.

تمتلك جميع تلك السيناريوهات أمرًا واحدًا مشتركًا. كما يقول إبيكتيتوس، إنها الرغبة في أمر ما خارج عن نطاق تحكمننا. وعندما نتحمس ونستثار ونسرع الخطى بعصبية، فتلك اللحظات العصبية والمؤلمة والقلقة التي تظهر لنا خلال أخطر أوقاتنا ضعفًا وخنوعًا. بداية من الساعة، من عقاربها، من طابور الخروج التالي من المتجر، من السماء - يبدو أننا جميعًا ننتمي إلى جماعة ما تؤمن بأنها ستحصل على ما تريد إن ضحت بصفاتها الذهني.

واليوم، عندما تضبط نفسك وقد بدأت تشعر بالقلق، اسأل نفسك: لم تقدمت مشاعري الداخلية بهذه الطريقة؟ هل أنا المسيطر أم قلقي؟ والسؤال الأهم: هل يفيدني قلقي هذا في شيء؟

٤ فبراير عن كونك لا تقهر

"من الذي لا يُقهر؟ الشخص الذي لا يشعر بالانزعاج أبدًا من أمور خارجة عن نطاق خياراته العقلانية".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

هل شاهدت من قبل شخصًا محترفًا ومتمرسًا يتحدث في وسائل الإعلام؟ لا توجد أسئلة صعبة عليه، ولا توجد أية نبرة صوت تجعله يشعر بالتهديد أو الإهانة. ويمكنه تفادي كل محاولة للهجوم عبر الدعاية ورباطة الجأش والصبر. وحتى عندما يتعرض للإهانة أو الاعتداء، يختار ألا يجفل أو تظهر عليه أية ردة فعل – ولا يمكنه فعل هذا بفضل التدريب والخبرة فحسب، بل لأنه يدرك جيدًا أن ردود الفعل العاطفية تزيد المواقف سوءًا، حيث تنتظره وسائل الإعلام لكي يزل أو يبدو عليه الاستياء؛ لذا لكي يتمكن من الخروج من اللقاءات الإعلامية بنجاح، عليه أن يدرك في داخله جيدًا أهمية الحفاظ على هدوئه.

من غير المرجح أن تواجه مجموعة من المراسلين الذين يمتطرونك بالكثير من الأسئلة المُحرجة اليوم. ولكن، قد يفيدك – بصرف النظر عن المخاوف أو الأعباء التي قد تعترض طريقك – أن تتخيل تلك الصورة وأن تستخدمها كنموذج لتتبعه عند التعامل معهم. إن خيارنا العقلاني عبارة عن نوع من المناعة التي يمكننا غرسها في أنفسنا. لذا يمكننا أن نتجاهل دومًا أي هجوم عدواني وأن ننتقل بأقصى سرعتنا عبر الضغوط والمشكلات. ومثلما هي الحال مع هذه الصورة التي رسمناها، عندما ننتهي، يمكننا أن نشير إلى حشد المراسلين ونقول: "السؤال التالي".

٥ فبراير

تثبيت دوافعنا

"لا تسرف في جميع الاتجاهات، ولكن أرجع جميع دوافعك إلى مطالبات بالعدالة، واحم اعتقادك الواضح بجميع أوجهه".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

فكر في الأشخاص المهووسين في حياتك، ليس أولئك الذين يمانون الفوضى العارسة، بل أولئك الذين تعم الفوضى حياتهم وخياراتهم. إن كل شيء من الممكن أن يعلو إلى عنان السماء أو يهبط إلى أسفل سافلين، وقد يصبح اليوم، انما أو مروعًا. ألا ترى أن أولئك الأشخاص مرهقون؟ ألا ترى أنهم يمتلكون... أو بآ يمكنهم من اختبار الدوافع الجيدة والسيئة؟

تلك الطريقة موجودة بالفعل: العدالة والمنطق والفلسفة. إن كانت هناك... الة رئيسية في الفلسفة، فستكون: الدوافع بجميع أنواعها التي في طريقها المهدوث، ومهمتك هي أن تسيطر عليها، وأن تجعلها تطيعك. ولتبسيط الأمر أكثر: فكر قبل أن تتصرف. اسأل: من الذي يملك الكلمة العليا؟ ما هي المبادئ...؟ تقودني؟

٦ فبراير

لا تسع للشقاق

"لا أتفق على الإطلاق مع أولئك الذين يخوضون في وسط الفيضان والذين يتقبلون الحياة المضطربة، ويكافحون يوميًا بمعنويات مرتفعة ظروفهم العصبية. سيتحمل الحكماء هذا، ولكنهم لن يخاروه - بل سيختارون أن يكونوا في سلام بدلاً من أن يكونوا في حرب".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

أصبح من المعتاد أن تسمع الناس يقتبسون مقاطع من خطاب "تيودور روزفيلت" تحت عنوان "الرجل في الميدان" الذي يمجّد "الشخص الذي شوهه التراب والعرق والدم، والذي يتوق بشجاعة إلى..."، مقارنةً بالناقد الذي يشارك في أي شيء. لقد ألقى "روزفيلت" هذا الخطاب بعد وقت قصير من خروجه من منصبه، وهو في قمة شعبيته. وبعد بضع سنوات، كان سيرشح ضد مناصره السابق في محاولة لاستعادة البيت الأبيض منه، ولكنه مُني بخسارة فادحة كاد أن ينتحر بسببها. كما أنه كاد يلقى حتفه في أثناء استكشافه أحد الأنهار في غابات الأمازون، كما قتل الآلاف من الحيوانات خلال رحلات الصيد في إفريقيا، ثم رجا الرئيس وودرو ويلسون أن يسمح له بالمشاركة في الحرب العالمية الأولى رغم أنه كان في التاسعة والخمسين من عمره - لقد فعل الكثير من الأمور التي بدت مذهلة فيما بعد.

لقد كان تيودور روزفيلت رجلاً عظيماً بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، ولكنه كان متهوراً، وكان دائم العمل والنشاط إلى ما لا نهاية. إن الكثيرين منا يشاركونه تلك النعمة - الاندفاع بواسطة شيء ما لا يمكن السيطرة عليه. إننا نخشى أن نتوقف عن الحركة؛ لذا نسعى إلى الكفاح والحركة كإلهاء لأنفسنا: نختار أن نشارك في الحروب - حربيًا في بعض الأحيان - عندما يكون السلام في واقع الأمر هو الخيار الأكثر شرفًا وملاءمة.

نمم، إن الرجل في الميدان مثير للإعجاب، مثله مثل الجندي والسياسي ورجل الأعمال وأصحاب جميع المهن الأخرى، ولكن، وهذا هو الأهم، إذا كنا في الميدان لأسباب مشرفة.

٧ فبراير

الخوف نبوءة نحققها بأنفسنا

"لحق الأذى بالكثيرين بسبب الخوف نفسه، في حين لقي الكثيرون مصيرهم بينما كانوا يخشونه".

— سينيكا، من كتاب *Oedipus*

"**المتشككون** فقط هم من ينجون" – تلك المقولة من بين المقولات الشهيرة للمدير التنفيذي السابق لشركة إنتل أندي جروف. وقد تكون تلك المقولة حقيقة، ولكننا نعلم أيضًا أن المتشككين عادة ما يدمرون أنفسهم بسرعة أكبر وبقسوة أكبر مما قد يفعل أي من أعدائهم. ربما رأى سينيكا، بفضل قربه من طبقة النبلاء في روما وإطلاعه على أسرارهم، تلك المشاهد على أرض الواقع. فهذا نيرون، تلميذ سينيكا الذي حاول أن يكبح جماحه، والذي لم يقتل والدته وزوجته فحسب، بل تحول في النهاية ليقتل أستاذه سينيكا.

قد يكون المزيج المحتوي على السلطة والخوف والجنون مميّزًا، حيث يبدأ القائد، الذي هو على قناعة بأنه سيتعرض للخيانة، بالتصرف أولاً ويخون الآخرين قبل أن يخونوه. وخشية أنه لا أحد يحبه، يعمل بجهد شديد لكي يجعل الآخرين يحبونه، الأمر الذي يأتي بنتائج عكسية. وبسبب قناعته بالإدارة السيئة، يهتم بجميع التفاصيل الإدارية ويصبح هو السبب في الإدارة السيئة، ويستمر الأمر إلى ما لا نهاية – إن الأمور التي نخشاها أو نخاف منها، تصبح نحن مصدرها في النهاية دون أن ندري.

في المرة القادمة عندما تخشى أمرًا من المفترض أن يكون كارثيًا، تذكر أنه يجب أن تسيطر على دوافعك، ولأنك إن فقدت السيطرة على نفسك، فستصبح مصدر الكارثة التي تخشاها. ولقد حدث الأمر ذاته لأشخاص أكثر ذكاءً وأكثر قوة وأكثر نجاحًا – وقد يحدث لنا أيضًا.

٨ فبراير

هل سيجعلك هذا تشعر بشعور أفضل؟

"أنت تبكي، وأنا أعاني ألمًا موجدًا! هل سترتاح من الشعور بالألم إذا حاولت تحمله بطريقة تفوق طاقة البشر؟"

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

في المرة القادمة عندما يشعر شخص ما مقرب منك بالاستياء - يبكي أو يصرخ أو يحطم الأشياء أو يصبح عدوانيًا أو قاسيًا - لاحظ مدى السرعة التي سيهدأ بها إن استخدمت التصريح التالي: "أرجو أن يجعلك ما تفعل تشعر بارتياح". لأنه، لاشك، لن يفعل. لن يمكننا، إلا في خضم تلك العواطف الجياشة، أن نبرر تلك الأفعال - وعندما نتذكر ما فعلنا، نشعر عادة بالخجل أو الإحراج.

يستحق الأمر أن تطبق المبدأ ذاته على نفسك، ففي المرة القادمة عندما تجد أنك بصدد الشعور بالغضب الشديد، أو تشعر بالاستياء من نزلة برد أصبت بها وبدأت تشكو للجميع، أو انهمرت دموع الندم من عينيك، اسأل نفسك: أهذا ما سيجعلني أشعر بشعور أفضل؟ هل يخفف الغضب من الأعراض التي أتمنى أن لو اختفت؟

٩ فبراير

لا تضطر إلى امتلاك رأى

"نحن نملك القدرة على عدم الخروج بأية آراء حيال أمر بعينه، وكذلك عدم السماح له بأن يعكر من صفو حالتنا الذهنية - حيث إن الأشياء لا تملك أية قدرة بطبيعتها على تشكيل أحكامنا".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

إليكم تمريناً مضحكاً: فكر في جميع الأمور المزعجة التي لا تعرف شيئاً عنها - الأمور التي ربما قالها الناس عنك في غيابك، والأخطاء التي ربما ارتكبتها ولم تنتبه إليها، وأشياء فقدتها أو خسرتها من دون أن تدري. ما رد فعلك؟ لا توجد أي ردود أفعال؛ لأنك لم تكن تعلم شيئاً عنها.

بمعنى آخر، يمكنك ألا تكون أية آراء على الأمور السلبية، بل كل ما تحتاج إليه هو أن تغرس تلك القدرة في نفسك بدلاً من أن تعثر عليها مصادفة. عندما نمتلك رأياً فحسب حيال أمر ما، فمن المحتمل أن يتفاقم. لذا مارس القدرة على عدم امتلاك أية أفكار بشأن أمر ما - تصرف كما لو أنك لا تعلم أنه حدث من الأساس، أو أنك لم تسمع به من قبل، ودعه يكن غير ذي صلة بك أو غير متواجد بالنسبة لك. وسيقل تأثيره كثيراً بهذه الطريقة.

١٠ فبراير

الغضب وقود الشر

"لا يوجد شيء يسبب الذهول أكثر من الغضب، ولا يوجد شيء أكثر منه اعتماداً على قوته الخاصة. وإن نجح، فلن يكون شيء أكثر منه غطرسة، وإن أحبط، فلا شيء أكثر منه جنوناً. ولأنه لا يكل أو يمل حتى عند الهزيمة، فعندما يُمحى أعداؤه من الوجود، يتحول للاعتداء على نفسه".

— سينيكا، من كتاب *On Anger*

كما قال الفلاسفة الرومانيون مرات عديدة، لا يحل الغضب أي شيء، بل إنه يزيد من الطين بلة عادة؛ حيث يتسبب لنا في الشعور بالاستياء، ثم يستاء الشخص الآخر - والآن، أصبح الجميع مستائين، وبالتالي، لن نُحل المشكلة في القريب. سيحاول الكثيرون من الناجحين أن يخبروك بأن الغضب كان الوقود المحرك لحياتهم؛ فقد تسببت الرغبة في "محاولة إثبات خطأ الجميع" أو "فرض رأبي على الجميع" في أن يصيح الكثير أصحاب ملايين، وكان للغضب من أن يُدعى أحد بالبدين أو الأحمق تأثير كبير في ظهور الكثير من الأشخاص اللائقين بدنياً، وكذلك أكثر العقول اللامعة، كما تسبب الغضب من الرفض في تحفيز الكثيرين على أن يرسموا مساراتهم الخاصة.

ولكن كل هذا لا يدل على نفاذ البصيرة، حيث تتجاهل تلك القصص التلوث الناتج كمرض جانبي وكذلك استهلاك محركك، كما تتجاهل ما يحدث عندما ينفد هذا الغضب الأولي - وأنه يجب الآن إنتاج المزيد والمزيد من الغضب للحفاظ على سير المركبة (حتى لا يتبقى في النهاية سوى الغضب كمصدر للطاقة الوحيد). وقد حذر مارتن لوثر كينج الابن رفاقه من قادة حركة الحقوق المدنية في عام ١٩٦٧ قائلاً: "إن الكراهية عبء لا يمكن لأحد تحمله"، مع أنهم كانوا يمتلكون كامل الحق في الرد على الكراهية بالكراهية.

وينطبق الأمر ذاته على الغضب - بل في واقع الأمر، ينطبق الأمر ذاته على جميع العواطف المفرطة. إنها تعتبر وقوداً ساماً، وهناك وفرة منها في عالمنا دون أدنى شك، ولكنها لا تساوي التكلفة التي تصاحبها.

١١ فبراير

بطل أم نieron؟

"أحيانًا ما تجعلنا أرواحنا ملوكًا، وأحيانًا ما تجعلنا طغاة. فالملك، من خلال المحافظة على الشرف، يحمي صحة الجسد الذي في عهده، ولا يعطيه أية أوامر منجطة أو خسيصة. أما الروح الجامحة التي تغذيها الرغبات الفارقة في المذات فتتحول من كونها ملكًا إلى ذلك الشيء الذي يخافه الجميع ويمقتونه - الأ وهو الطاغية".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

يُقال إن السلطة المطلقة لا بد وأن تفسد صاحبها. وستجد أن تلك المقولة صحيحة للهولة الأولى. وبعد "نieron" تلميز سينيكا وجرائمه ومذابحه مثالاً على ذلك. كذلك، هناك الإمبراطور دوميتيان، الذي نفى جميع الفلاسفة من روما (واضطر إبيكتيتوس إلى الفرار نتيجة لذلك). ولقد كان الكثير من أباطرة روما طغاة، ولكن بعد بضع سنوات لاحقة، أصبح إبيكتيتوس صديقًا مقربًا من إمبراطور آخر، "هادريان"، والذي سيساعد ماركوس أوريليوس على الوصول للعرش، والذي يعد أحد أفضل الأمثلة على الملك الحكيم الفيلسوف.

لذا، ليس من الجلي تمامًا أن السلطة تفسد دائماً؛ ففي واقع الأمر، يبدو أنها ترجع، بشتى الطرق، إلى القوة الداخلية والوعي الذاتي للأفراد - ما يقدرونه وما الرغبات التي يضمرونها، وإذا ما كان إدراكهم للعدالة والإنصاف يمكنه إبطال تأثير إغراءات الثروة والعظمة اللانهائية.

ينطبق الأمر ذاته عليك، على الصعيدين الشخصي والمهني. هل أنت طاغية أم ملك؟ بطل أم نieron؟ أيهما ستكون؟

١٢ فبراير

احم صفاء ذهنك

"حافظ باستمرار على إدراكك؛ لأن الإدراك الذي تحمله ليس بالشيء الهين ناهيك عن احترامك ومصداقيتك وثباتك على مواقفك وصفاء ذهنك وخلوك من الأهم والخوف؛ أي حريتك. ما مقابل بيعك لجميع هذه الأشياء؟"

-- إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

الوظيفة السيئة هي التي تزيد من توترك، العلاقة الدائمة، الحياة احمت الأضواء. ويمكن للفلسفة اليونانية أن تسهل من تحملنا لتلك النوعية من المواقف. كما يمكنها مساعدتك على السيطرة على المثيرات التي تبدو كأنها امرأ بصورة متواصلة، بل والتخفيف من تأثيرها؛ لأن تلك الفلسفة قادرة على مساعدتنا على إدارة ردود أفعالنا العاطفية وإمعان التفكير فيها.

ولكن، إليك السؤال التالي: لِمَ تعرّض نفسك لتلك الأمور؟ هل تلك هي البيئة التي خلقت لتعيش فيها؟ لِمَ تستنار بواسطة الرسائل الإلكترونية السيئة والكم اللانهائي من مشكلات العمل؟ لن يمكن لعددنا الكظريّة أن تتعامل إلا مع قدر معين قبل أن تُستنزف قواها - ألا يجدر بك أن توفرها للمواقف التي تعتمد عليها حياتك اعتمادًا كليًا؟

نعم، استخدم الفلسفة اليونانية للتعامل مع تلك الصعوبات، ولكن لا تنس أن تسأل نفسك: هل تلك هي الحياة التي أريدها كلما شعرت بالاستياء. هل تلك هي الأمور التي ترغب في فقد تلك المصادر القيمة بسببها؟ لا تخش الإقدام على التغيير - التغيير الكبير.

١٣ فبراير

يمكن أن تتحول المتعة إلى عقاب

"عندما يصلك انطباع عن نوع من أنواع المتعة، مثلما هي الحال مع أي نوع من الانطباعات، احم نفسك من أن تنجرف وراءه، ودعه ينتظر ما ستفعله، وامنع نفسك بعض الوقت. بعد هذا، استحضر في ذهنك كلا الوقتين: الأول عندما تستمتع بتلك المتعة، والثاني عندما تكرهها وتكره نفسك. ثم قارن هذا الشعور بمشاعر البهجة والرضا المصاحبة للامتاع عن المتعة تمامًا. ولكن، إذا طرأ وقت بدا مناسبًا للتصرف بناءً عليه، لا تنبهير بمدى راحتته وروعته وجاذبيته – بل فكر، بدلاً من ذلك، في كيف سيصبح وعيك أفضل إن حاولت كبح تلك المشاعر".

— إبيكتيوس، من كتاب *Enchiridion*

لا شك في أن السيطرة على النفس أمر شديد الصعوبة، ولكن قد تكون واحدة من حيل نظم الحمية الغذائية الشهيرة مفيدة في هذه الحالة. إن بعض الأنظمة تسمح بما يُطلق عليه اسم "يوم الخداع" – يوم واحد من كل أسبوع يمكن فيه لمن يخضعون لأنظمة الحمية بأن يأكلوا كل ما يشتهون. لا شك في أن هذا الأمر يحفزهم على إعداد قائمة أسبوعية بكل ما تشتهيه أنفسهم من أصناف الطعام حتى يمكنهم الاستمتاع بها مرة واحدة كجائزة لهم (مع الوضع في الاعتبار أنه من الجيد أن تفكر في أنك بتناول أطعمة صحية لستهة أيام من أصل سبعة، ستظل على المسار الصحيح).

في البداية، سيبدو الأمر رائعًا كالعلم، ولكن كل من جربوا هذا الأمر يعلمون الحقيقة: في كل يوم من أيام الخداع، ستتناول الكثير من الطعام حتى تمرض ومن ثم ستكره نفسك، وسرعان ما تمتنع عن الخداع تمامًا؛ لأنك لا تحتاج إليه، وأصبحت واثقًا بأنك لا تريده. هذا الأمر يشبه والدًا ضبط ابنه يدخن سيجارة فأجبره على تدخين عليه السجائر بأكملها مرة واحدة.

من المهم أن تربط بين المغريات المزعومة وتأثيراتها الحقيقية، وبمجرد أن تدرك أن الانغماس في الملذات قد يكون أسوأ من مقاومتها، يبدأ الدافع نحوها في فقدان بريقه. وبهذه الطريقة، تصبح السيطرة على النفس هي المتعة الحقيقية، وتصبح المغريات هي التي يندم عليها المرء.

١٤ فبراير

فكر قبل أن تفعل

"هناك أمر واحد نحتاج إليه لكي نصبح حكماء - أن نثبت تركيزنا على ذكائنا، والذي يفقد كل شيء في كل مكان".

— هيراكليتوس، من كتاب *Lives of the Eminent Philosophers*

ربما سألت نفسك: لِمَ فعلت هذا؟ كلنا سأل نفسه ذلك السؤال: كيف كنت

بهذا القدر من الغباء؟ فيم كنت أفكر؟

أنت لم تكن تفكر، وهذه هي المشكلة. يوجد داخل عقلك المنطق والذكاء اللذان تحتاج إليهما، للتأكد من أن إرجاءها واستخدامها هو الجزء الصعب من الأمر، والتأكد من أن ذهنك هو المسئول، وليس عواطفك، وليس أحاسيسك الجسدية اللحظية، وليس اندفاع هرموناتك.

ركز انتباهك على ذكائك، ودعه يقوم بعمله.

١٥ فبراير

الأحلام السيئة فقط

"صفّ ذهنك، وتمالك نفسك، واستيقظ، كما يحدث عندما تستيقظ من نومك وتذكر أن كل ما كان يزعجك هو مجرد حلم سيئ، لترى ماذا يوجد في الواقع ويشبه ما رأيته في تلك الأحلام".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

كان الكاتب رايموند تشاندلر يصف الغالبية منا عندما كتب خطاباً إلى ناشره قال فيه: "لا أتذكر الماضي مطلقاً إلا إذا واجهت الكثير من الصعوبات في استشراف المستقبل". وكتب توماس جيفرسون ذات مرة دعابة في خطاب وجهه إلى جون آدمز قال فيه: "كم من الألم كلفتنا الشرور التي لم تحدث قط". وكذلك صاغ سينيكا الأمر بأفضل طريقة ممكنة عندما قال: "لا يوجد أمر مؤكد هي مخاوفنا أكثر من التيقن من حقيقة أن جميع الأمور التي تخيفنا تُؤول إلى لا شيء".

يعتقد أصحاب الفلسفة اليونانية أن الكثير من الأمور التي تزعجنا تأتي من نسج الخيال وليس الواقع. إنها مثل الأحلام: تبدو حية وواقعية في وقتها، ولكنها تصبح غير معقولة بمجرد أن تمر. ففي الحلم، لا نتوقف أبداً عن قول: "هل ما يحدث يعد أمراً منطقياً؟". لا، ولكننا نجاريه. وينطبق الأمر ذاته على نوبات غضبنا أو خوفنا أو أية عواطف مفرطة أخرى.

إن الشعور بالاستياء يشبه مواصلة الحلم بعد الاستيقاظ، فالأمر الذي أثار استياءك ليس حقيقياً - ولكن، ردود أفعالك هي الحقيقية. وبالتالي، تتسبب المعتقدات الزائفة في عواقب حقيقية. ولهذا السبب، عليك أن تستيقظ الآن قبل أن يتحول الحلم إلى كابوس.

١٦ فبراير

لا تجعل الأمور أصعب مما تستحق

"إن سألك أحد عن كيفية كتابة اسمك، فهل ستتهجى كل حرف منه بعصبية؟ وإن غضب منك، فهل ستغضب أنت أيضاً؟ ليس من الأفضل أن تهجى كل حرف من اسمك بأسلوب مهذب؟ لذا تذكر أن واجباتك في الحياة هي مجموع أفعالك الفردية. ويجب أن تنتبه لكل من هذه الأمور بينما تقوم بواجباتك... ولكن، أتم مهامك بطريقة منهجية".
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

إليك السيناريو الشائع: أنت تعمل مع زميل عمل دائم العصبية أو مع مدير صعب المراس، وطلب منك أحدهما أن تفعل أمراً ما، ولأنك لا تحب الشخص الذي أرسلوه، تعترض على فعل هذا الأمر من فورك. ربما كان هذا بسبب هذه المشكلة أو تلك، أو أن طلبهما مقيت وغير لائق. لذا، ستقول لهما: "لا، لن أفعل"، ومن ثم يردان لك الصاع صاعين عبر عدم فعل أمر ما طلبته منهما في وقت سابق. ومن ثم يتفاقم الخلاف بينكم.

في الوقت ذاته، إذا تمكنت من إخراج نفسك من الصورة والنظر للأمر بموضوعية، فقد ترى أن كل ما يطلبانه منك ليست أموراً غير معقولة. ففي واقع الأمر، بعض من تلك الأمور من السهل القيام بها، أو على أقل تقدير، يمكن الاتفاق على كيفية أدائها. وإن أتممتها، فقد تكون بقية المهام أكثر سهولة من سابقتها. وسرعان ما ستكون قد أتممت جميع الأمور المطلوبة منك.

إن الحياة (وأعمالنا) صعبة بدرجة كبيرة، فلا تزيدوا من صعوبتها من خلال التعامل بمطافية مع أمور لا تستحق، أو السعي للدخول في نزاعات أنتم في غنى عنها. ولا تتركوا العواطف تعترض طريق الأفعال البسيطة الملائمة التي تؤدي عادة إلى الفضيلة.

١٧ فبراير

عدو السعادة

"من المستحيل أن نربط بين السعادة والتوق لما لا نمتلك. فالسعادة هي كل ما تريد، وعند استخدام التغذية الكافية، لن يكون هناك جوع أو عطش".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

أقول لنفسي، سأكون سعيدًا عندما أنهى دراستي، سأكون سعيدًا عندما أحصل على تلك الترقية، سأكون سعيدًا عندما ينجح نظام حميتي الغذائية، سأكون سعيدًا عندما أصبح أكثر ثراءً من والدي. إن السعادة المشروطة هي المصطلح الذي يطلقه علماء النفس على هذا النوع من التفكير. وهذا الأمر يبيده الأفق، فقد تسير إلى ما لا نهاية دون أن تصل له؛ بل إنك ربما لن تقترب منه.

إذا انتظرت بتوق وقوع أحداث مستقبلية، أو تخيلت بشغف أمرًا تشتهي، أو مللت لسيناريوهات سعيدة مبهجة تشتمل على هذه الأنشطة، فسوف تضيق هرامتك في تحقيق السعادة في اللحظة والتو. حدد توك للمزيد والأفضل في يوم ما وانظر إليه بمق: عدو سعادتك، ثم فاضل بينه وبين سعادتك. وكما يقول إيكيتوس، إن الأمرين غير متوافقين.

١٨ فبراير

استعد للعاصفة

"هذا هو الرياضي الحقيقي - من يدرّب نفسه بقسوة ليتمكن من مواجهة الانطباعات الزائفة. أبق صابراً، فأنت من سيعاني، ولا تدع انطباعاتك تسيطر عليك. إن الكفاح مرير، والمهمة مقدسة - وهي أن تتمكن من اقتناص البراعة والحرية والسعادة والسكينة".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses* —

استخدم إيكيتوس أيضاً تشبيه العاصفة عندما قال إن انطباعاتنا لا تختلف عن طقس سيئٍ يمكنه أن يقتلعنا من جذورنا ويدخلنا في دوامة ندور فيها حول أنفسنا إلى ما لا نهاية. فعندما نتحمس لقضية ما أو نشغف بها، يمكننا بكل سهولة أن ننغمس فيها حتى الغرق.

ولكن، دعونا ننظر إلى دور الطقس في عالمنا المعاصر؛ فالיום أصبح لدينا خبراء طقس وأجهزة توقع إلكترونية يمكنها توقع هبوب العواصف بدقة معقولة. واليوم، سنصبح بلا حول أو قوة أمام الأعاصير إن رفضنا فقط الاستعداد أو تكاسلنا في إطلاق التحذيرات.

إن لم نمتلك خطة، وإن لم نتعلم كيفية إنشاء النوافذ المضادة للعواصف، فسنبصر تحت سيطرة تلك العوامل الخارجية - والداخلية. إننا ما زلنا كائنات ضعيفة في مواجهة رياح عاصفة تصل سرعتها إلى ١٥٠ كم/ساعة، ولكننا نمتلك أفضلية قدرتنا على الاستعداد - أن نكون قادرين على مواجهتها بطرق جديدة.

١٩ فبرائر

مأءة الءاءة

"أذكر أن أأامل فف الءاءة كما لو كنف أألس فف مأءة، فعنءما فءور صنف من الطعام حول المائءة وفصل إلك، مء فءك لأأءء ما فكفك منه. ماأا إءا مر بك ءون أن فقف؟ لا أوفقه. وإءا لم فصل إلك بعء؟ لا أأأرق شوقاً لوصله، بل انأظر أأى فصل أمامك. أأصرف بالطرففة أأافها مع أبناك، مع شرفك آفاءك، مع وضعك الاءأماعف، مع الأرة - وءاأ فوم، سآصبأ أهلا لأصور مأءة مع علفة القوم".

— إبكأفأوس، من كتاب *Enchiridion*

فف المرءة القاءمة، عنءما أرى شفاءً أرفب ففه، أذكر اسآعارءة إبكأفأوس عن مأءة الءاءة. وعنءما أءءء أن آماسآك أراءء، وأنك أصبحآ على اسآعاءء لفعل أى شفاء وكل شفاء من أجل الآصول علفه - الأمر المكافئ لمء فءك عبر الطاولءة وأأءء طبق من بفن فءف شآص ما - ذكر نفسك: ألك طرففة آفر مهاءة وآفر مسآآة، أم انأظر ءورك بصبر.

ألك الاسآعارءة أفسفراء أآرى أفاء. فعلى سببل المآال، قء نُظهر شعورنا بأننا مآظوظون لأنه أتمء ءعوتنا لمآل ألك المأءة الرائفة (الامآان). أو قء نسأرق وهآاً كاففاء فف الاسآماع بمذاق الطعام المقءم لنا (الاسآماع باللآظة العالفة)، ولكن مع الوضف فف الاعآبار أن إآآام أنفسنا بالطعام والشراب لن فففءنا فف شفاء، وكذلك صآآنا (إن الشرافة من الأآام الممفءة على أفة آال). وفف نفاهة المأءة، سفكون من الوفاآة الأأساعء المضفف على أآلفف الطاولءة والأطباق (الإفآار). وأآفراً، فف المرءة القاءمة، سفاءف ءورنا لاسآضافة الأآرفن ومعاملآهم بالطرففة نفسها الفف عاملونا بها (رء الآمفل).

اسآمع بوجفآك!

٢٠ فبراير

استعراض الرغبة العظيم

"للصوص والمنحرفون والقطة والطفاة - يجتمعون من أجل أن ترى مياهمهم
المزعومة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لا تعد الأحكام التي تصدرها على الآخرين من الأمور العظيمة التي يمكن القيام بها، ولكن الأمر يستحق أن تقف للحظة لكي ترى كيف كرست الحياة نفسها للانغماس في كل نزوة من شأنها أن تتجح. لقد كتبت المؤلفة أن لاموت في كتابها *Bird by Bird*، مازحة: "هل تساءلت من قبل كيف تتعامل الظروف مع المال؟ انظر إلى الأشخاص الذين يصلهم هذا المال؛ وينطبق الأمر ذاته على المتعة: انظر إلى الديقكتاتور وحاشيته المتأمرة المتلعبة بمقدرات الناس. انظر كيف قد تتحول ممثلة ناشئة محبة للحفلات بسرعة كبيرة إلى مدمنة مخدرات وتدمر مسيرتها المهنية.

اسأل نفسك: هل يستحق الأمر كل هذا؟ هل الأمر ممتع لهذه الدرجة؟ تذكر كل هذا عندما ترغب في شيء ما أو تفكر في الانغماس في المتع الدنيئة التي تظنها "غير ضارة".

٢١ فبراير

لا تتمن، ولا ترغب

"تذكر أن رغبتنا في الثروة والوضع الاجتماعي ليست وحدها التي تحط من قدرنا وتتحكم فينا، بل أيضًا رغبتنا في السلام والدعة والترحال والتعلم. إن العوامل الخارجية لا تهم، حيث إن القيمة التي نضعها لها هي التي تجعلنا عبيدًا للآخرين... فحيث توجد قلوبنا، توجد عقباتنا".

-- إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

لا شك في أن إيكيتوس لم يقل إن السلام والدعة والترحال والتعلم أمور سيئة، أليس كذلك؟ لحسن الحظ لا. إلا أن الرغبة الجامحة التي لا تهدأ - إن لم تكن سيئة في حد ذاتها - تأتي محملة بتمقيدات محتملة. إن ما نرغب فيه هو ما يجعلنا ضعفاء، سواءً كان فرصة لنجوب العالم أو لنصبح رؤساء أو البقاء في سلام وهدوء لخمس دقائق، فعندما نتوق لشيء، وعندما نأمل ألا يتحقق ما كنا نأمله، فإننا نعد أنفسنا، من دون أدنى شك، لخيبة الأمل. ولأن الظروف يمكنها دومًا أن تتدخل، فحينها من المحتمل أن نفقد سيطرتنا على أنفسنا كرد فعل على تدخلها.

كما قال ديوجين، الفيلسوف الساحر الشهير، ذات مرة: "ستكون محظوظًا إذا لم ترغب في شيء، وستكون محظوظًا أيضًا إذا رغبت في القليل". إن عدم رغبة المرء في شيء تجعله لا يُقهر - لأنه لا يوجد شيء يقع خارج نطاق تحكّمك. ولا ينطبق هذا فقط على الرغبة في الأشياء التي من السهل انتقادها على غرار الثروة والشهرة - نوعية الحمافة التي نراها بادية في معظم مسرحياتنا وحكاياتنا الكلاسيكية. ويمكن لذلك الضوء الأخضر الذي تاق له جاتسبي أن يمثل أمرًا جيدة أيضًا، على غرار الحب والمساعي النبيلة، ولكنه قادر على تدمير المرء أيضًا.

عندما يتعلق الأمر بأهدافك والأمور التي تتوق لتحقيقها، اسأل نفسك: هل أنا من يتحكم فيها، أم أنها من يتحكم فيّ؟

٢٢ فبراير

ما الشيء الذي من الأفضل عدم البوح به

"مارس كاتو نوعاً من الخطابة من شأنه تحريك الجماهير، وكان مؤمناً بأن الفلسفة السياسية الملائمة تراعي، مثل أية مدينة عظيمة، الحفاظ على العناصر الشبيهة بالحرب. ولكن، لم يره أحد يمارس ذلك أمام الآخرين، كما لم يره أحد يتدرب على خطاباته. عندما تنامي إلى علمه أن الناس يلومونه على صمته، قال: هذا أفضل من لومهم على حياتي. إنني أبدأ بالحديث فقط عندما أكون واثقاً بأن ما سأقوله من الأفضل أن أروح به".

— بلوتارش، من كتاب *Cato the Younger*

من السهل أن تتصرف - أن تقفز إلى الحدث. ولكن، من الصعب أن تتوقف، أن تتمهل، أن تفكر: لا، لست واثقاً بأنني بحاجة للإقدام على هذا الأمر بعد. لست واثقاً بأنني على استعداد بعد. عندما دخل كاتو المعتزك السياسي، توقع الكثيرون أن يحقق أموراً عظيمة وبسرعة كبيرة - الخطب الحماسية، الاستنكار ارتقاع الصوت، والتحليلات المدروسة. فقد كان مدركاً لهذه الضغوط - الضغوط التي تقع تحت وطأتها جميعاً طوال الوقت - وقاومها. فمن السهل أن نداهن الجموع (ونداهن كبريائنا).

ورغم هذا، انتظر واستعد، ونظم من أفكاره، وتأكد من أنه لم يستجب للأمور من منطلق عاطفته وأنايته وجهله وقلة خبرته. حينها فقط، تحدث - عندما أصبح واثقاً بأن كلماته كانت تستحق أن يسمعها الجميع.

يتطلب الأمر وعياً كبيراً لفعل ذلك، ويتطلب منا أن نتوقف ونقيم أنفسنا بصدق. هل يمكنك فعل ذلك؟

٢٣ فبراير

الظروف لا تهتم بمشاعرنا

"يجب ألا تمنح الظروف القدرة على أن تشعل غضبك؛ لأنها لا تهتم بأمرك على الإطلاق".
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

يتكون قسم كبير من كتاب *Meditations* للفيلسوف الملك ماركوس أوريليوس من اقتباسات و فقرات قصيرة من كتاب آخرين؛ وهذا لأن ماركوس لم يكن يحاول أن ينتج عملاً أصيلاً - بل كان يتدرب، مذكراً نفسه هنا وهناك بالدروس المهمة، وكانت تلك الدروس أحياناً بعضاً من الأعمال التي قرأها.

بعد الاقتباس السابق اقتباساً يحمل أهمية خاصة؛ لأنه جاء من مسرحية كتبها يوريبديدس، والذي فقدت أعماله، فيما عدا بعض قصاصات من الاقتباسات مثل تلك، وهو ما أمكنا فهمه عن تلك المسرحية، تحت عنوان «بلوروفون»؛ حيث بدأ البطل يتشكك في مصيره، ولكنه قال في الاقتباس السابق:

«م نزعج أنفسنا بالأسباب والقوى الأكبر منا؟ لم نأخذ تلك الأمور على محمل شخصي؟ إن الأحداث الخارجية لن تراعيها - لن يمكنها أن تستجيب لصراخنا أو دموعنا - وكذلك لن تفعل القوى الخارجية التي لا تهتم بنا.

هذا ما كان ماركوس يذكر نفسه به هنا: لا يمكن للظروف أن تكون مراعية لمشاعرك أو مخاوفك أو حماسك. إنها لا تهتم بردود أفعالك؛ حيث إنها ليست بشراً. لذا توقف عن التصرف كما لو أن الحماسة تأثير على أي موقف كان.

فالمواقف لا تهتم بنا من الأساس.

٢٤ فبراير

المصدر الحقيقي للضرر

"ضع في اعتبارك أن المرء الذي يضرر لك شرًا ويقدم على فعل ما يضررك ليس هو من يسبب لك الضرر، بل إن الضرر يأتي من اعتقادك حيال تلك الإساءة. لذا عندما يثير شخص ما غضبك، فاعلم أن رأيك هو ما يغذي هذا الشعور. وبدلاً من الغضب، اجعل ردة فعلك الأولى هي مقاومة تلك الانطباعات لكي لا تجرفك، وبمرور الوقت ستصبح السيطرة على النفس أكثر سهولة لتحقيقها".

— إيكيتوس، من كتاب *Enchiridion*

يذكرنا الفلاسفة الرومانيون بأنه لا يوجد ما يُسمى بالحدث الجيد أو السيئ من الناحية الموضوعية. فلا يتساوى الأمر عندما يخسر ملياردير مليون دولار بسبب تقلبات السوق، وعندما تخسر أنت أو أخسر أنا مليون دولار. كما أنك ستنظر إلى الانتقاد من ألد أعدائك بصورة تختلف عن الكلمات السلبية من زوجك. وإن وصلتك رسالة إلكترونية غاضبة من شخص ما ولم ترها، هل حدث ذلك بالفعل؟ بمعنى آخر، تحتاج تلك المواقف إلى مساهماتنا وسياقنا وتصنيفنا لها لكي تكون "سيئة".

ردة فعلنا هي ما يقرر إذا ما كان الضرر قد وقع أم لا. فإن شعرنا بأننا تعرضنا للظلم وغضبنا، فإن هذا ما سيبدو عليه الأمر. وإذا رفعنا أصواتنا بسبب شعورنا بأننا نتعرض للهجوم، فمن الطبيعي أن تتفاقم المواجهة. ولكن، إذا تمكنا من السيطرة على أنفسنا، فسنقرر إذا ما كان علينا اعتبار شيء ما جيداً أم سيئاً. وفي واقع الأمر، إن وقع لنا ذلك الأمر ذاته ولكن بملابسات مختلفة خلال حياتنا، فقد تكون ردة فعلنا مختلفة تماماً عليه. لماذا إذن لا نختار عدم تطبيق تلك الملابس الآن؟ لِمَ لا نتخير ألا تكون هناك ردة فعل تجاه ذلك الشيء؟

٢٥ فبراير

دخان الأسطورة وغبارها

"احتفظ في ذهنك بقائمة جمعت فيها كل من أحرقتهم الغضب والاستياء بسبب أمر ما، وحتى أولئك الذين اشتهروا بالنجاح أو سوء الحظ أو الأفعال الشريرة أو أية صفة أخرى مميزة. ثم اسأل نفسك، كيف سينجح هذا الأمر؟ الدخان والغبار مكونات الأسطورة البسيطة التي تحاول أن تصبح ملحمة..."

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

في كتابات ماركوس أوريليوس، كان يوضح كيف أن الأباطرة الذين سبقوه لم يذكرهم التاريخ بالكاد لبضع سنوات بعد موتهم. أما بالنسبة له، فإن هذا يعد تذكرة بأنه بصرف النظر عن عدد غزواته، وبصرف النظر عن مدى فرض إرادته على العالم، سيثبه الأمر بناء قلعة من الرمال - سرعان ما ستمحوها رياح الزمن عن وجه الأرض.

ينطبق الأمر ذاته على أولئك الذين يرغبون في الوصول إلى قمم الكراهية أو الغضب أو الهوس أو الكمال. فقد كان ماركوس يحب أن يذكر دائماً أن الإسكندر الأكبر - أحد أكثر الرجال الذين عاشوا على وجه الأرض شغفاً وطموحاً - دُفن في الأرض نفسها التي دُفن فيها راعي بغاله. ففي نهاية المطاف، ستموت جميعنا وسنُنسى بالتدرج. لذا علينا أن نستمتع بتلك الفترة القصيرة التي سنعيشها على الأرض - لا أن تستعبدنا عواطفنا التي تسبب لنا التعاسة والنقمة.

٢٦ فبراير تكل منا أملاكه

“هل هناك شخص آخر تسبب لي في الأذى؟ دعه ير فعلته؛ حيث إن لديه نزعاته وميوله وشئونه الخاصة. وما أمتلكه الآن هو ما أرادته الحياة لي، وما أتوق لتحقيقه الآن هو ما تمليه عليّ طبيعتي”.

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

كان أبراهام لينكولن يستشيط غضبًا على الدوام من أحد موظفيه، وأحد جنرالاته، بل وأحد أصدقائه. وبدلاً من صب غضبه على هذا الشخص مباشرة، كان يكتب خطابات طويلة يعرض فيها حجته ومبرراته لكونهم مخطئين وما الذي يريدهم أن يعرفوه. ثم كان يطوي الخطابات، ويضعها في درج مكتبه، ولا يرسلها لهم أبداً. وقد وصلتنا معظم تلك الخطابات بمحض المصادفة.

كان أبراهام لينكولن يعلم، كما كان يعلم إمبراطور روما السابق، أنه من السهل رد الصاع صاعين، ومن المغري أن تفصح للمحيطين بك عما يدور في ذهنك. ولكن، دائماً ما سينتهي بك المطاف نادماً، وفي الغالب ستتمنى لو أنك لم ترسل تلك الخطابات. فكر في المرة الأخيرة عندما فقدت أعصابك، ماذا كانت النتيجة؟ هل منحك هذا أية فائدة تُذكر؟

٢٧ فبرأبر

غرس اللامبالاة حىث ينمى الآخرون الشفف

"من بىن كل الأمور فى العالم، هنالك أمور جىدة وأخرى سىئة، وثالثة لا تهمل. فالأمور الجىدة هى الفضائل وكل ما ىتعلق بها، والسىئة هى الخباثت وكل ما ىتصل بها، والأمور التى لا تهمل تقع بىن الفضائل والخباثت، وتشمل الثروة والصحة والحياة والموت والمتعة والألم".

— إىككتىوس، من كتاب *Discourses* —

تخىل القوة التى تملىكها فى حىاتك وفى علاقاتك إن لم تكن جمىع الأمور التى تؤرق الآخرىن — كم حجمهم صغىر، كم من المال ىملىكون، كم بقى لهم من عمرهم لىعشوه، كىف سىموتون — تهملك كثرًا. ماذا لو كنت موضوعيًا وهادئًا وصافى الذهن حىن ىكون الآخرون مستائىن وحقودىن ومستثارىن وأنا نىىن وجشمىن؟ تخىل ما قد ىفع له ذلك لصالح علاقاتك فى العمل، أو فى حىاتك المأطفىة، أو فى صادقاتك.

كان سىنىكا رجلاً فاحش الثراء وذائع الصىت — ولكنة كان ىنتمى للفلسفة البونانىة. كان ىملك الكثير من الأشياء المأدىة، ولكنة كان ىقول كمنتم لىلك الفلسفة، إنها لا تهمل. لقد استمتع بها عندما كانت معه، ولكنة تقبل أنها قد تختفى ذات يوم. إنه توجه أفضل بكثير من اشتهاء المزىد وكان حىاتك تتوقف علىه أو أن تخشى خسارة ولو بنس واحد. إن اللامبالاة حل وسط لا بأس به.

لا ىتعلق الأمر بالىتنجب أو الفرار، بل ىتعلق بىعدم منح أية نتائج محتملة أكثر من حجمها الحقىقى أو أن تفضلها أكثر مما تستحق. هذا أمر لىس من السىىر حقىقه، بلا أدنى شك، ولكن إذا تمكنت من حقىقه، فما مدى الاسترخاء الذى ستشمر به؟

٢٨ فبراير

عندما تفقد السيطرة

"تشبه الروح وعاء من الماء، وتشبه انطباعاتنا شعاع الضوء الذي يسقط على سطح الماء. عندما يضطرب سطح الماء، يبدو كأن الضوء اختفى أيضاً، ولكنه لا يختفي في الحقيقة. لذا عندما يفقد المرء رباطة جأشه، فلن تضطرب فضائله أو مواهبه، بل الروح التي تحتويها، وعندما تهدأ تلك الروح، ستهدأ أيضاً تلك الأشياء."

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

لقد تسببت في بعض الفوضى، أو ربما تسببت في الكثير من الفوضى. ما الأمر إذن؟ هذا لا يغير الفلسفة التي تعرفها. ولا يبدو الأمر وكأن خيارك العقلاني قد غادرك دون رجعة، ولكن في الحقيقة، أنت من هجرته بصورة مؤقتة.

تذكر أن أدوات تدريبنا وأهدافه لا تتأثر بالتقلبات اللحظية. توقف، واستعد هدوءك، فإنه في انتظارك.

٢٩ فبرأفر

فن فمكك أن فحصل ءومآ على مأ فرفء

"عءما فضع الأطفال أرفهم ءاأل وعاء الطلوف ولا فمكنهم إأراآ قفبضتهم المضمومة الملفة بالطلوف؁ ففءأون بالبكاء. ءع بضع ءمعاء ففساقط وفسفمكف فف إأراآ فءك. اكبح جمآا رغبائك - لا فعلق قلبك بالكبفر فف الأشفا؁ وفسفمكف فف الحصول على مأ ففأاآ إلىه".

— إبكبففوس؁ فف كتاب *Discourses*

أصبأ شعار آفاانا المعاصرة هو "فمكننا امفلاك كل شفة". إننا فرفء العمل والأسرة وففقفق الأهداف والنآاآ ووقت الفراآ فف الوقت ءاآه (الآن؁ على الفور).

فف الففونان القفءمة؁ كانت قاعة المعاضراء عبارة عن باآة كبفرة فجلس ففها الطلبة لففأملا الأمر السامفة (الآفر والحقفقة والجمال)؁ بفءف عفش آفة أفضل. كان الأمر ففعلق بفءفء الأولوفاء؁ ومناقشة أولوفاء العالم الآارآف. أما الفوم؁ فقد أصفبأنا شءفءف الانشغال بجمع الأشياء؁ مفلما ففعل الأطفال عءما فضعون أرفهم فف وعاء الآلوف؁ لءرآة عءم قءرانا على إآراء الكبفر فف المناقشات.

فقول إبكبففوس: "لا فعلق قلبك بالكبفر فف الأشياء". ركز؁ وءءد الأولوفاء؁ وءرب عقلك على طرح السؤال الفالف: هل أأناآ لهذه الأشياء؟ ما ءا سفآءف لو لم أآصل علفها؟ هل فمكنف النآاآ فف ءونها؟

فسفساعدك الإآابة عن فلك الأسئلة على الاسفراء؁ وفسفساعدك على الامفناع عن جمفع فلك الأمور الفف فآبلك منشفلاً - شءفء الانشغال لءرآة عءم القءرة على ففقفق الفوازن أو الشفور بالسعاءة.

مارس

الوعي

١ مارس

حيث تبدأ الفلسفة

"من النقاط المهمة لبدء الفلسفة: الإدراك الواضح لبدء المرء المسيطر".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

الفلسفة مخيفة. من أين قد يبدأ المرء؟ بالكتب؟ بالمحاضرات؟ ببيع ممتلكاته الدنيوية؟

لا شيء مما سبق. يقول إيكيتوس إن المرء يبدأ بالتحول إلى فيلسوف عندما يبدأ بممارسة منطقته الإرشادي ويبدأ بمسألة عواطفه ومعتقداته وحتى اللغة التي يأخذها الآخرون على أنها أمور مسلم بها. كان يُعتقد أن الحيوان يمتلك وعياً ذاتياً عندما يتمكن من التعرف على صورته في المرآة. وربما أمكننا أن نزعج أن رحلتنا إلى الفلسفة تبدأ عندما ندرك القدرة على تحليل ما يدور في أذهاننا.

هل يمكنك البدء بهذه الخطوة اليوم؟ وعندما تفعل، ستكتشف أنه من خلال هذا يمكننا أن نصبح أحياء، وأن نعيش حياتنا - في إعادة صياغة لما قاله "سقراط" - التي تستحق أن نعيشها.

٢ مارس

التقييم الذاتي الدقيق

"قبل كل شيء، من الضروري أن يتمكن المرء من تقدير نفسه؛ لأننا نعتقد عادة أننا قادرون على فعل أمور تتخطى ما يمكننا فعله في الحقيقة".

— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

يقاوم غالبية الناس فكرة التقدير الذاتي الحقيقي، ربما لأنهم يخشون أن هذا قد يعني *الحط من قدر* بعض من معتقداتهم بشأن أنفسهم وقدراتهم. وكما يقول جوته، الفشل الأكبر "أن ترى نفسك أكبر من حقيقتها". كيف يمكن اعتبار أنك شخص مدرك لذاته إذا كنت ترفض الاعتراف بنقاط ضعفك؟

لا تخش التقييم الذاتي لأنك تقلق من أنك ستضطر إلى الاعتراف ببعض الأمور عن نفسك. والجزء الثاني من مقولة جوته مهم أيضًا، حيث يقول إن ما يسبب ضررًا مساويًا "أن تقدر نفسك بأقل من قدرها الحقيقي". أليس من الشائع أن تشعر بالدهشة من مدى قدرتك على التعامل مع السيناريوهات التي كنت تخشاها في الماضي؟ إنها تلك القدرة على تنحية حزننا على شخص مقرب منا جانبًا ومراعاة الآخرين - رغم اعتقادنا الدائم أننا سنتحطم إن أصاب مكروه أحد أبويننا أو أحد أبنائنا، وكذلك أيضًا. قدرتنا على أن نكون على قدر الموقف خلال الأوقات العصيبة والفرص المغيرة للحياة.

إننا نقلل من قدر إمكاناتنا بالقدر نفسه وبنفس درجة خطورة التعظيم من قدراتنا. لذلك اغرس في نفسك القدرة على الحكم على نفسك بدقة وأمانة، وانظر داخل نفسك لتمييز بين ما يمكنك فعله وما يتطلبه الأمر لكي تضيف قدرة جديدة إلى نفسك.

٣ مارس

(عدم) التكامل

"تلك الأمور لا تتفق مفاً. لذا يجب أن تكون إنساناً متكاملًا، سواءً كنت طيبًا أو شريرًا. ويجب أن تعمل بحرص، إما على منطقتك أو على الأمور الخارجة عن نطاق سيطرتك - راع جيدًا ما يوجد في داخلك وليس ظاهرك. بكلمات أخرى، إما أن تقف مع الفيلسوف، أو مع الفوغاء".

— إيكثيتوس، *Discourses*

جميعنا شخصيات معقدة، حيث توجد عدة أوجه لشخصياتنا - رغبات وطموحات ومخاوف مختلطة. ولا يقل العالم الخارجي عنا إرباكًا وتناقضًا. وإن لم نحذر، فسوف تتمكن جميع تلك القوى المتناحرة من تدميرنا في النهاية. لا يمكننا أن نعيش مثل جيكل وهأيد، ليس لوقت طويل على أية حال. ولكن أمامنا خيار: أن نقف مع الفيلسوف وأن نركز على ما في داخلنا، أو أن نصرف كقائد الفوغاء ونصبح ما تحتاج الحشود إلى أن نكون عليه في أية لحظة يريدون.

إذا لم نركز على تكاملنا الداخلي - على الوعي الذاتي - فسوف نخاطر، التمرض للتفكك الخارجي.

٤ مارس

الوعي هو الحرية

"الشخص الحر هو الذي يعيش كما يحلو له، من دون إجبار أو عراقيل أو حدود - لا تُقيد خياراته، تنجح رغباته، ولا يسقط ضحية ما يجعله تفضل. من قد يأمل العيش في وسط الخداع - يكون مخطئاً وغير مفهوم وغير منظم ودائم الشكوى - في أهدود تحت الأرض؟ لا أحد. إن العامة هم من لا يعيشون كما يرغبون، لذا لا أحد منهم حر".
- إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

من المؤسف أن تفكر في مقدار الوقت الذي يقضيه الكثيرون خلال اليوم لفعل الأمور التي "عليهم" فعلها - ليس بالضرورة الالتزامات على غرار العمل أو العائلة، بل الالتزامات التي نتقبلها بلا داع من منطلق كبرياتنا وغرورنا. فكر في الأفعال التي نقدم عليها لكي نبهر الآخرين أو في المسافات التي قد نقطعها لتلبية رغباتنا القوية أو إشباع رغباتنا التي لا نحاول حتى التفكير في جدواها. في أحد خطابات الشهيرة، يلاحظ سينيكا عدد الأشخاص الأقوياء الذين يصبحون عبيداً لثرواتهم ومراكزهم ونسائهم وحتى عبيداً لعيبيدهم - الأمر الذي كان قانونياً في روما القديمة، حيث قال ساخراً: "لا عبودية أكثر دناءة من تلك التي يفرضها المرء على نفسه".

إننا نشهد بأعيننا هذا النوع من العبودية طوال الوقت - الشخص المتواكل الذي لا يمكنه مساعدة صديقه العاجز من خلال الاهتمام بشئونه، والمدير الذي يدقق في أعمال موظفيه ويحسب كل بنس. وبسبب العدد اللانهائي من المساعي والأحداث والتجمعات، نصبح منشغلين جداً لدرجة عدم قدرتنا على فعل أي شيء سوى الموافقة على أية حال.

انظر إلى مخزونك من الالتزامات من وقت لآخر؛ أيها فرضته على نفسك؟ كم التزاماً منها يعد ضرورياً؟ هل أنت حر كما تعتقد؟

٥ مارس

قلل من الأشياء المكلفة

" فيما يتعلق بالأمر التي نسعى إليها، والتي نجهد أنفسنا من أجلها بكل حماس، ندين بالاعتقاد التالي - إما أنها لا فائدة منها، أو أن أغلبها لا فائدة منه. بعضها يحمل قيمة مبالغاً فيها، في حين أن البعض الآخر لا يحمل قيمة على الإطلاق. ولكننا لا نتمكن من تمييز ذلك ونرى تلك الأمور مجانية رغم أنها تكلفنا الكثير."

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

من بين خطابات سينيكا الكثيرة، ربما كان هذا أكثرها أهمية - وأقلها استهجاباً. فقد عرض فيه فكرة أن يعيش المرء غير مرئي وغير مسموع في مجتمع من المنازل الأكثر ضخامة والممتلكات الأكثر عدداً؛ وأن هناك تكلفة مفسدة لكل تلك الأشياء المتراكمة، وكلما أسرعنا في إدراك تلك التكلفة كان أفضل.

تذكر: حتى ما نحصل عليه مجاناً له تكلفة، حتى وإن كانت التكلفة التي دفعها مقابل تخزينه - في مرآبنا أو في عقلنا. عندما تمر بممتلكاتك اليوم، اسأل نفسك: هل أحتاج إلى هذا؟ هل أعطيت هذا الشيء أكثر مما يستحق؟ ما المهمة الحقيقية لهذا الشيء؟ ماذا كلفني هذا الشيء؟ قد تفاجأ بالإجابات وبالتكلفة التي تدفعها دون أن تدري.

٦ مارس

لا تقص قصصاً على نفسك

"تجنب الحديث المتكرر والمستفيض عن إنجازاتك ومخاوفك على الملأ، فرغم استمتاعك بالتحدث عن مخاوفك، فإنه لا يهم الآخرين من قريب أو بعيد أن يسمعوا شيئاً عن شغوك".

— إبيكتيوس، من كتاب *Enchiridion*

حذرن الفيلسوف المعاصر نسيم طالب من "مغالطة السرد" - أي النزوع لجمع الأحداث الماضية التي لا تمت للقصة بصلة. وتلك القصص، رغم الاستمتاع بسردها عادة ما تكون مضللة؛ حيث تقود إلى شعور زائف بالترابط واليقين. إذا كان الأمر صعب الفهم، فتذكر ما قاله إبيكتيوس، هناك أسباب أخرى لعدم تحبيذ قص قصص عن ماضيك. إنها ستكون مملة ومزعجة ومستنزفة للذات. كما قد تجعلك تشعر بشعور جيد؛ لأنك تسيطر على مسار الحديث وتجعله يدور بأكمله حولك، ولكن، ماذا تعتقد بشأن الآخرين؟ هل تعتقد أن الناس سيستمعون بقصصك عن إنجازاتك في فريق كرة القدم في المدرسة؟ هل حان الوقت لقص قصة أخرى مبالغ فيها عن مدى تفوقك الدراسي؟ ابذل قصارى جهدك محاولاً ألا تخلق تلك الفقاعة الخيالية - عش على أرض الواقع؛ واستمع وتواصل مع الناس، ولا تؤد عروضاً أمامهم.

٧ مارس لا تثق بالحواس

"قال هيراكليتوس عن خداع الذات إنه أسوأ الأمراض وأكذب الرؤى".
— ديوجينيس اللايرتي، من كتاب *Lives of the Eminent Philosopher*

الوعي الذاتي هو القدرة على تقييم ذاتك بموضوعية. إنه القدرة على مسامحة غرائزنا وأنماطنا ومزاعمنا. إن خداع الذات أو العجرفة والآراء غير المتألمة للجدال تتطلب أن نترفع بأرائنا جميعها عن التدقيق الشديد، فحتى أمينا ستخدعنا في تلك الحالة.

وقد يثير هذا الأمر الحذر. ألا يمكنني أن أثق بحواسي؟ بالطبع يمكنك التفكير في الأمر بهذه الطريقة، أو يمكنك التفكير فيه بطريقة أخرى: لأن حواسنا عادة ما تخطئ، وتصبح عواطفنا مفرطة الحذر وتصوراتنا مفرطة التفاؤل؛ لذا من الأفضل ألا تتسرع بالخروج باستنتاجات عن أي شيء. ويمكننا أن نواكب كل ما نفعله وأن نصبح مدركين لكل شيء يجري من حولنا حتى يمكننا اتخاذ القرارات الصحيحة.

٨ مارس

لا تتنازل عن حريتك طواعية

"إذا تنازل شخص ما عن جسده إلى أحد عابري السبيل، فستستشيط غضبًا، ولكنك ستسلم عقلك طواعية لأي شخص يمر بك؛ وقد يسمى هذا الشخص إليك ويترك مضطربًا ومهمومًا ولكنك لن تغضب - ألا تشعر بالخجل من نفسك؟".

— إبيكتيوس، من كتاب *Enchiridion*

إننا نحمي - بطبيعتنا - وجودنا المادي، فلا نسمح لأحد بأن يمسننا، أو يدفعنا، أو يتحكم في مسارنا. ولكن، عندما يصل الأمر إلى العقل، فإننا لا نراعي الاحتياطات نفسها، حيث نسلمه طواعية لشبكات التواصل الاجتماعي والتلفزيون وما يفعله الآخرون أو يمتقدونه أو يقولونه. قد نجلس لنبدأ العمل، وفجأة نجد أنفسنا نتصفح الإنترنت. وقد نجلس مع أسرنا، ولكن في خلال دقائق نجد أنفسنا أخرجنا هواتفنا وبدأنا العمل عليها. وقد نجلس بهدوء في المتنزّه، ولكن، بدلًا من التأمل في أنفسنا، نبدأ بالحكم على المارة. ولكننا لا نعلم حتى أننا نفعل ذلك، ولا ندرك كم نضيع على أنفسنا من قصص، ومدى السوء والتشتت الذي يؤدي بنا هذا إليه. والأسوأ - أنه لا أحد يتسبب لنا في هذا، بل إنه أمر نقوم به بأنفسنا.

يعتبر أصحاب الفلسفة اليونانية أن هذا الأمر فعل منكر؛ فهم يدركون أن العالم يمكنه التحكم في أجسادنا - قد يُزج بنا في السجن أو أن يتلاعب بنا الطقس. ولكن، ماذا عن العقل؟ إنه ملكنا؛ لذا يجب أن نحمله، وأن نحافظ على سيطرتنا على عقولنا وإدراكنا، فكما يقولون: "إنه أضمن شيء نمتلكه".

٩ مارس

اعثر على المشهد الصحيح

"بادئ ذي بدء، لاحظ ما يلي عن كُتب - أنك لست مرتبطًا بمعارفك وأصدقائك السابقين لدرجة أن تنجرف في تيارهم. إن فعلت ذلك، فسندمر... لذا عليك أن تختار ما بين أن تظل محبوبًا بين هؤلاء الأصدقاء وبين أن تبقى الشخص الذي أنت عليه، أو أن تصبح شخصًا أفضل على حساب هؤلاء الأصدقاء... فإذا حاولت أن تمسك بالعصا من المنتصف، فلن تبرز أي تقدم في الحالتين، بل ولن تتمكن من الحفاظ على الوضع السابق نفسه".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

"ستتعلم الخير من الأبرار، ولكن إن خالطت الأشرار فسندمر الروح التي تمتلكها".

— موسونيوس روفوس، مقتبسًا كلمات الشاعر ثيوجنيوس أوه مجارا، من كتاب *Lectures*

الاقتباس التالي هو أشهر اقتباسات جيم روهن: "أنت متوسط الأشخاص الخمسة الذين تقضي غالبية وقتك معهم". كما ينصح جايمس ألتونشر الكتاب ورواد الأعمال الشباب بالعثور على "البيئة المثالية" - مجموعة من الأقران يدفعونهم نحو الأفضل. ربما حذرنا والدك عندما رأك تخالط مجموعة من الصبية السيئين: "تذكر، المرء يصبح شبيهًا بأصدقائه". كما أن هناك مقولة من مقولات جوته تعبر عن الأمر بصورة أفضل: "أخبرني بمن هم رفاقك أخبرك من تكون".

فكر مليًا فيمن تسمح لهم بالدخول في حياتك - لكن ليس مثل أحد أفراد الطبقات الراقية المتعجرفين، بل مثل شخص يحاول أن يحسن من حياته قدر الإمكان. واسأل نفسك عن ثلثتهم ومن تقضي الوقت معهم: هل يحملونني شخصًا أفضل؟ هل يشجعونني على المضي قدمًا ويحملونني مسؤولية ذلك، أم يجرونني إلى مستواهم المتدني؟ والآن، مع وضع تلك الأسئلة في الاعتبار، اطرح أكثر الأسئلة أهمية: هل يجب أن أقضي وقتًا أكثر أم أقل مع هؤلاء الأشخاص؟

يخبرنا النصف الثاني من مقولة جوته بركائز هذا الخيار، حيث يقول: "أخبرني بكيفية قضائك لوقتك، أخبرك بما ستصبح عليه".

١٠ مارس

أعثر نفضك على فيلسوف مثل كاتو

"يمكننا أن نتفادي نصف أخطائنا إن كان هناك شاهد يقف ناظرًا لنا عندما نقدم على فعل الخطأ. ويجب أن يكون لدى كل روح شخص ما تحترمه، وتسير على نهجه لتجعل عرينها الداخلي أكثر مناعة. إن الشخص هو من يمكنه تحسين الآخرين، ليس فقط عندما يكون متواجدًا معهم فحسب، بل أيضًا عندما يفكرون فيه".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

"كاتو الأصغر"، فيلسوف روماني اشتهر بانضباطه الذاتي وبعدها عن البطولي عن الجمهورية ضد يوليوس قيصر، وهو يظهر باستمرار في كتابات الفلاسفة الرومانيين - الأمر المثير للاهتمام أنه لم يكتب أية كتب، ولم يعط محاضرات تعليمية، أو لقاءات، إلا أنه، كقدوة في الجرأة والشجاعة، أصبح فيلسوفًا شهيرًا يُشار له بالبنان وتُقتبس أقواله.

يقول سينيكا إنه يجدر بكل منا أن يمتلك كاتو في داخله - إنه شخص عظيم ونبيل يمكننا أن نسمح بدخوله في عقولنا ونستخدمه لإرشاد أفعالنا، حتى إن لم يكن متواجدًا بصورة مادية. لدى عالم الاقتصاد آدم سميث مفهوم مماثل، والذي يُطلق عليه اسم المشاهد اللامبالي، والذي ليس من الضروري أن يكون شخصًا حقيقيًا؛ أي شخصًا، كما قال سينيكا، يمكنه أن يكون شاهدًا على أفعالنا. هذا الشخص يمكنه توبيخنا إن فكرنا في التكاسل عن فعل أمر ما أو تصرفنا بخداع أو أنانية.

وإن فعلنا هذا الأمر بالطريقة الصحيحة، وعشنا حياتنا بتلك الطريقة، ربما سنصبح كاتو بالنسبة لشخص آخر أو حتى بالنسبة للمشاهد اللامبالي الذي يحتاجون إليه.

١١ مارس

العيش بدون قيود

“الأشخاص غير المقيدين الذين يسيطرون على ما سيفعلونه في جميع المواقف هم الأحرار، أما كل من يمكن تقييدهم أو إجبارهم أو حملهم على فعل شيء رغماً عن إرادتهم، فهم العبيد”.

— إيكيتوس، من كتاب *Doscourses*

انظر إلى بعض أكثر الأشخاص سلطة وثروة وشهرة في العالم، وتجاهل بهرجة نجاحهم وما يمكنهم شراؤه، وانظر بدلاً من ذلك إلى ما عليهم التخلي عنه في المقابل - انظر إلى تكلفة تحقيقهم للنجاح.

ماذا كلف غالبيتهم؟ الحرية؛ فعلهم يتطلب ارتداء الملابس الرسمية، ويقوم نجاحهم على حضور مناسبات بعينها، وأن يتعاملوا مع أشخاص لا يحبونهم. كما سيتطلب الأمر منهم - دون شك - أن يدركوا أنهم لا يستطيعون قول ما يريدون قوله، والأسوأ أنه سيتطلب منهم أن يصبحوا أشخاصاً مختلفين عن طبيعتهم وأن يقدموا على أفعال سيئة.

لا شك في أنهم يجنون أموالاً طائلة - ولكنهم لا يعرفون ما فاتهم. كما قال سينيكا: “تكنم العبودية تحت الرخام والذهب”. إن الكثيرين من الأشخاص الناجحين ما هم إلا سجناء في زنازين أقاموها بأيديهم. هل هذا ما تريد؟ هل هذا ما تعمل بجد من أجل تحقيقه؟ أمل ألا يكون هذا صحيحاً.

١٢ مارس

رؤية الأمور كما يراها المخطئ

"عندما يقدم شخص ما على فعل أمر خطأ أمامك، فكر على الفور في فكرته عن الخير أو الشر التي دفعته إلى هذا الفعل؛ لأنه عندما تتمكن من رؤية ذلك، ستشعر بالتعاطف بدلاً من الصدمة أو الغضب. ولأنك قد تمتلك الأفكار نفسها عن الخير والشر، أو أفكارًا مشابهة، ففي كلتا الحالتين سترى مبررًا لما فعله. ولكن، إذا لم تكن تمتلك الأفكار نفسها، فربما تكون أكثر تسامحًا مع الخطأ".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

لطالما قال سقراط، والذي ربما كان أكثر من عاشوا على وجه الأرض حكمة، إنه "لا أحد يخطئ طواعية"، بمعنى أنه لا أحد يخطئ عن عمد أيضًا. ولا يرى أحد أنه مخطئ، حتى إن كان كذلك. بل يظن أنه مصيب، وأن الآخرين هم المخطئون، وإلا لم يكونوا ليروه مخطئًا.

هل من الممكن أن الإهانات التي تعرضت لها أو الأذى الذي تسبب فيه الآخرون لك لم يحدث عن عمد؟ ماذا لو كانوا يمتقدون أنهم يقومون بالأمر الصواب - من وجهة نظرهم، والذي يصب في صالحك أيضًا؟ يشبه الأمر النصب التذكاري لجنود قوات الولايات الكونفيدرالية في مقبرة أرلينجتون الوطنية بالولايات المتحدة الأمريكية (القضية الخطأ التي قاتل من أجلها أشخاص سيئون فعلاً)، جنود الولايات الفيدرالية الذين "أدوا واجبهم، كما تراءى لهم". مرة أخرى أقول - لقد فهموا الأمر بطريقة خطأ، ولكنه كان فهمهم الأصيل للأمر، مثلما كان فكر لنكولن أصيلًا عندما أنهى خطابه في كلية كوبر يونيون قائلاً: "دعونا، وحتى النهاية، نجرؤ على القيام بواجباتنا كما نفهمها". إلى أي مدى ستصبح أكثر تسامحًا وتفهمًا اليوم إن تمكنت من رؤية أفعال الآخرين كمحاولات لفعل الصواب؟ سواء وافقت أم لم توافق، كيف سيفير ذلك المنظور من وجهة نظرك بشأن الأفعال التي تراها عدوانية أو همجية؟

١٢ مارس

ذات يوم ستبدو جميع الأمور منطقية

"عندما تجد أنك بدأت تلقي باللوم على قوى خفية، أدر الأمر في ذهنك وسترى أن ما حدث لا يتعارض مع المنطق".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

من بين أسبابنا لمقاومة الأمور التي تقع لنا أننا نركز بشدة على خطتنا لدرجة أننا ننسى وجود خطة أكبر لا نعلم عنها شيئاً. أليست تلك هي الحال لمرات مدة عندما اعتبرنا أن أمراً ما كارثي، ولكن تبين بمرور الزمن أنه يصب في صالحنا؟ كما أننا ننسى أننا لسنا محور الكون وأن خسائرتنا قد تقيد أشخاصاً آخرين.

ذلك الشعور بأننا مخطئون عبارة عن مشكلة وعي بسيطة؛ فتحن بحاجة إلى تذكر أن جميع الأمور يقودها المنطق – ولكنه منطوق شامل وضخم لا يمكننا رؤيته دائماً. إن الإعصار المفاجئ الذي يهب ربما جاء نتيجة فراشة ترفرف بأجنحتها في نصف الكرة الآخر، أو أن سوء الحظ الذي لازمنا ما هو إلا مقدمة لحظ حسن يأتي فيما بعد.

١٤ مارس

خداع الذات هو عدونا

"يقول زينو إنه لا يوجد شيء معادٍ للاستيعاب الكامل للمعرفة أكثر من خداع الذات".
— ديوجينيس اللايرتي، من كتاب *Lives of the Eminent Philosophers*

لا يعد خداع الذات وأوهام التفوق مجرد سمات شخصية مزعجة، فالغرور ليس أمرًا كريهًا ومنفردًا فحسب، بل إنه ألد أعداء قدرتنا على التعلم والازدهار. كما قال إبيكتيتوس: "من المستحيل أن يبدأ المرء بتعلم أمر يظن أنه يعلمه". واليوم، لن نكون قادرين على الازدهار، أو التعلم، أو اكتساب احترام الآخرين إذا اعتقدنا أننا كاملون، وعباقرة يُعجب بهم الناس من جميع الأصقاع والبقاع. من هذا المنطلق، سيكون الغرور وخداع الذات هما ألد أعداء الأمور التي نتمنى امتلاكها؛ لأننا نخدع أنفسنا عبر الاعتقاد أننا نمتلكها بالفعل. لذا، علينا أن نواجه الغرور بعدوانيته ونضمته اللتين ينشرها من أجل هزيمتنا - لكي نبعده عنا ولو لأربع وعشرين ساعة فقط في كل مرة.

١٥ مارس

الحاضر هو كل ما نمتلك

"هل تعتقد أنك قد تعيش لثلاثة آلاف عام، أو مضاعفات لا نهائية لهذا العدد؟ ضع في اعتبارك إذن أنه لا أحد يخسر حياة غير التي يعيشها، ولا أحد يعيش حياة غير التي خسرها. لا فرق إذن بين الحياة الطويلة والقصيرة، حيث إن اللحظة الحالية تستمر بالقدر نفسه بالنسبة للجميع ويمتلئها الجميع بالقدر نفسه أيضاً. ولا يمكن لأحد أن يفقد الماضي أو المستقبل، فكيف يمكن أن يُحرم المرء من شيء لا يمتلكه؟"

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لاحظ اليوم كم عدد مرات بحثك عن المزيد، أي أن تريد أن يصبح الماضي أكثر مما كان عليه (مختلف، أفضل، لا يزال متواجداً، وغيرها)، أو أن تريد من المستقبل أن يصبح كما تتوقع تماماً (من دون أن تفكر في مدى تأثير ذلك على الآخرين).

عندما تفعل ذلك، فإنك تهمل اللحظة الحالية. يا لك من جاحد! هناك مقولة - تعود إلى بل كاين، رسام الكارتون - والتي تستحق أن نتذكرها باستمرار: "الأمس هو الماضي، والغد هو المستقبل، ولكن اليوم هو الهبة؛ لهذا السبب نطلق على الحاضر (Present) أي الهدية". ونحن من يمتلك تلك الهدية - ولكن صلاحيتها تنتهي في وقت محدد، تاريخ يقترب سريعاً. وإن استمتعت بالهدية بالكامل، فسيكون هذا كافياً. وقد يستمر معك هذا الاستمتاع مدى الحياة.

١٦ مارس

ذلك الجزء العظيم منك

"أحترم قدرتك على الفهم؛ لأن مبدأنا المسيطر لن يسمح بدخول أي شيء لا يتفق مع الطبيعة أو مع البنية المنطقية للأمور. وهذا هو ما يتطلب منا المراعاة والعناية بالآخرين، وطلاعة الله قبل كل شيء".

—ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

الحقيقة التي يمكنك التفكير فيها، حقيقة أنك تقرأ هذا الكتاب، وحقيقة أنك قادر على التفكير بمنطقية للدخول في المواقف والخروج منها - كل هذا هو ما يمنحك القدرة على التحسين من ظروفك ومن نفسك. ومن المهم أن تقدر تلك القدرة؛ لأنها قدرة أصيلة خاصة بك، ولا يمتلك الجميع الحظ مثلك. الجدير بالذكر أن الأمور التي قد تراها كأمر مسلم بها، قد لا يمكن لآخرين أن يحلموا بها.

اقض بعض الوقت اليوم متذكراً أنك متمتع بالقدرة على استخدام المنطق لتبحر خلال المواقف والظروف العاصفة، الأمر الذي يمنحك قدرة لا يمكن تخيلها على تغيير ظروفك وظروف الآخرين. وتذكر أنه مع تلك القدرة تأتي المسؤولية.

١٧ مارس

جمال الاختيار

"ليس المرء بشكله أو بتصفيقة شعره، بل بقدرته على الاختيار الجيد. فإذا كانت اختيارتك جميلة، فستكون جميلة".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

يشبيه هذا الاقتباس ذلك الجزء من حوار من فيلم *Fight Club*: "أنت است عملك، ولا كم المال الذي تملكه في البنك، ولا السيارة التي تقودها، ولا ما تحويه محفظتك". لا شك في أن صديقنا إيكيتوس لم يشاهد هذا الفيلم أو يقرأ الرواية المقتبس منها - ولكن، لا شك في أن هناك تشابهاً كبيراً بين حبة التسمينيات من القرن العشرين وروما القديمة.

من السهل أن نخلط بين الصورة التي نقدمها للعالم عمن نكون حقيقة، خاصة إن تعمدت وسائل الإعلام إرسال رسائل تعتم على هذا التميز. قد تبدو جميلاً اليوم، ولكن إذا كان هذا الجمال ناتجاً عن هوسك بالنظر في المرأة، فسيسأل أصحاب الفلسفة اليونانية: هل أنت جميل فعلاً؟ إن الجسم الذي أصبح مفتول العضلات بفعل العمل مثير للإعجاب، أما الجسم الذي أصبح مفتول العضلات لعرضه على زملاء صالة الرياضة فليس كذلك. هذا ما يحملنا الفلاسفة الرومانيون على وضعه في اعتبارنا: ليس ما تبدو عليه الأمور، بل الجهد والنشاط والخيارات التي أدت إلى تلك النتائج.

١٨ مارس

مستحيل من دون إذنك

"لقد نجوت اليوم من كل الظروف، أو من الأفضل أن أقول، لقد صدقتها؛ حيث إنها كلها لم تنتج عن مصادر خارجية، بل عن فرضياتي الخاصة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

قل تقول في الأيام العصيبة: "إن عملي مرهق"، أو، "مديري يدفعني إلى حافة الجنون". إن تمكنا من استيعاب أن تلك الأمور مستحيلة، فلن يدفعنا أحد إلى حافة الجنون، ولن يرهقنا العمل - إنها أمور خارجية ولا سبيل لها للدخول داخل عقلك. إن تلك العواطف التي تتتابك، رغم أنها تبدو حقيقية، فهي تتبع من الداخل وليس من الخارج.

يستخدم الفلاسفة الرومانيون كلمة "المعالجة" - معالجة إدراكنا وأفكارنا وأحكامنا بواسطة عقولنا. إن ما نفترضه، وما نصدره في عقولنا، يتعلق بنا وحدنا؛ فلا يمكننا أن نلقي باللوم على الآخرين؛ لأنهم يصيبوننا بالتوتر أو يدفعوننا إلى حافة الجنون بعد الآن مثلما لا يمكننا أن نلقي عليهم باللوم بسبب غيرتنا منهم. إن السبب في داخلنا، وهم ليسوا إلا مجرد أهداف.

١٩ مارس

الحكمة السرمدية

"هناك قاعدتان يجب أن نضعهما نصب أعيننا: لا يوجد شيء جيد أو سيئ خارج نطاق خياراتنا العقلانية، وأنه يجب علينا ألا نحاول قيادة الأحداث، بل علينا اتباعها".
— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

في منتصف القرن العشرين، كان هناك رجل دين هندي يُدعى أنتوني دي ميلو، ولد في مدينة بومباي في أثناء الاحتلال البريطاني، وتكونت ثقافة دي ميلو كخليط من العديد من الثقافات ووجهات النظر الشرقية والغربية، كما أنه ، درب ليكون معالجًا نفسيًا. من المثير أن يرى المرء الحكمة السرمدية تنتشر عبر المدارس والعصور والأفكار. وإليك اقتباسًا من كتاب دي ميلو تحت عنوان *The Way to Love*، والذي يبدو مطابقًا تمامًا لمقولة إيكيتوس:

"سبب ضيقي ليس الشخص الذي سببه لي".

تذكر: يمتلك الجميع خياراتهم، وستكون دومًا صاحب الكلمة العليا. إن سبب الضيق – أو فكرة أن يكون الشيء سيئًا – يأتي منا ومن وجهة نظرنا ومن توقعاتنا. ويمكننا، بكل سهولة، أن نغير من وجهات النظر تلك، كما يمكننا تغيير توقعاتنا، وأن نقرر أن نتقبل ونحب ما يحدث من حولنا. وتلك الحكمة تكررت وكشفت عن نفسها في كل دولة وكل عصر منذ فجر التاريخ.

٢٠ مارس

كن مستعداً ومستريحاً

"قد أرغب في ألا أشعر بالعذاب، ولكن، إذا حان الوقت لكي أحمله، فأتمنى أن أحمله بشجاعة وشرف. الأ أفضل ألا أشارك في الحرب؛ ولكن، إذا جاءت الحرب إلي، فأتمنى أن أدوي الجرحى بنيل وأن أساعد الجوعى وأن أعمل على تقليل تأثيرات الحرب الأخرى. كما أنني لست مجنوناً لأتمنى المرض، ولكن، إذا كُتِبَ علي أن أعاني الام المرض، فأني أتمنى ألا أقدم على أي فعل متهور أو غير نبيل. الفكرة هنا ليست أن تتمنى حدوث تلك المصائب، بل أن تتمنى الفضائل التي تجعل تلك المصائب محتملة".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

كان الرئيس الأمريكي جايمس جارفيلد شخصية عظيمة - فقد نشأ في أسرة متواضعة، وعلم نفسه بنفسه، وأصبح في النهاية أحد أبطال الحرب الأهلية، ولم يكمل فترته الرئاسية بسبب رصاصة غادرة. خلال الفترة القصيرة التي قضاها في منصبه، واجه دولة منقسمة على نفسها، وواجه كذلك حزباً جمهورياً منقسماً على نفسه. وخلال أحد الشجارات والذي كان يتحدى جميع سلطات منصبه، وقف صامداً وقال لأحد مستشاريه: "لا شك في أنني أدين الحرب، ولكن، إن أحضرها أحد حتى عتبة بابي، فسيجدني في انتظاره".

هذا ما يوضعه سينيكا في الاقتباس أعلاه: سنكون مجانين إذا أردنا مواجهة صعوبات الحياة، ولكننا سنكون مجانين أيضاً إن تظاهرننا بأنها لن تحدث. وإن وصلت تلك الصعوبات إلينا - كما قد تفعل في أية لحظة - علينا أن نتأكد من أننا على استعداد لمواجهتها؛ ليس كما قد يحدث عندما يفاجئنا زائر في وقت متأخر من الليل، بل كما قد يحدث عندما نكون في انتظار ضيف مهم؛ مهتمين وصافيين الذهن ومستعدين للانطلاق.

٢١ مارس

أفضل ملاذ هنا في الداخل، وليس هناك في الخارج

" يبحث الناس لأنفسهم عن ملاذ في الريف، أو على الشاطئ، أو في الجبال. وقد اعتدت أن تتوق إلى مثل تلك الأماكن المتشابهة، ولكن تعد تلك خصال العامة، عندما تود البحث عن ملاذ، في أي وقت كان، اعثر على مثل ذلك الملاذ داخل نفسك. فلن يمكنك أن تعثر أبداً على ملاذ أكثر هدوءاً وأقل ازدحاماً من روحك - خاصة إن تفحصتها عن كثب ووجدت أنها مليئة بالراحة، الأمر الذي لا أرجعه لشيء إلا إلى حسن تنظيمها. لذا كافئ نفسك دوماً بهذا الملاذ وجدده "

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هل ستذهب في عطلة في التريب؟ هل تتطلع لعطلة نهاية الأسبوع حتى تتعم ببعض السلام والهدوء؟ قد تفكر، ربما بعد أن تهدأ الأمور أو بعد أن أنتهي من مهامتي. ولكن، هل يا ترى نجحت معك تلك الطريقة؟

صاغ المعلم الروحاني جون كابات - زن الأمر في تعبير شهير حين قال: "أينما ذهبت، ستكون نفسك". لذا يمكننا العثور على ملاذ في أي وقت من خلال النظر داخل أنفسنا، ويمكننا أن نجلس وقد أغمضنا أعيننا وشعرنا بأنفسنا وهي تدخل في صدورنا وتخرج منها. ويمكننا أن نستمع إلى بعض الموسيقى ونتجاهل العالم من حولنا. ويمكننا أن نطفئ جميع الأجهزة الإلكترونية أو أن نتجاهل تلك الأفكار الهائجة في أذهاننا - هذا ما سيمنحنا السلام، ولا شيء آخر!

٢٢ مارس

دلالة التعليم الجيد

"ما الدليل على أنك قد تلقيت تعليمًا جيدًا؟ يتضح ذلك في تطبيقك لمفاهيمك المسبقة على الأمور الصحيحة طبقاً لطبيعتها وبما يتخطى تلك الطبيعة من أجل التمييز بين الأمور التي يمكننا التحكم فيها والأمور التي لا يمكننا التحكم فيها".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

تدل الشهادة المعلقة على الحائط على أنك متعلم مثلما يدل الحذاء في قدميك على أنك تسيير - تلك مجرد بداية، ولكنها بداية فعالة. ولكن، كيف يُقدم الكثيرون من الأشخاص "المتعلمين" على اتخاذ قرارات غير عقلانية، أو تفوتهم الكثير من الأمور البديهية؟ إن جزءاً من هذا يعود إلى أنهم ينسون أنه عليهم التركيز فقط على ما يقع ضمن قدرتهم على السيطرة، وقد وصلتنا قطعة كتبها الفيلسوف هيراكليتوس تصف تلك الحقيقة:

"الكثير ممن تعلموا من أعمال هسيود
الأسماء العديدة للكون والوحوش
لم يفهموا قط
أن الليل والنهار لا ينفصلان".

ومثلما يمكنك أن تسيير جيداً من دون حذاء، لست بحاجة إلى الدخول في الصفوف الدراسية لكي تفهم الواقعية الأساسية والرئيسية للطبيعة ولدورنا المناسب فيها. لذلك ابدأ بالوعي والتأمل؛ لا لمرّة واحدة فحسب، بل في كل لحظة من كل يوم.

٢٣ مارس الروح المقيدة

"لن تخرج أمراض الروح العقلانية عن الرذائل الراسخة والتي استمرت لوقت طويل، على غرار الجشع والطموح - إنها تضع الروح داخل قيود وتبدأ بالتحول إلى شرور دائمة في داخلها. ولتخفيف الأمر، تعد هذه الأمراض تحريفًا رهيبًا للأحكام، ومن ثم تتحول الأمور التي كانت مرغوبة إلى حد ما في الماضي إلى أمور مرغوبة بشكل كبير".
- سينيك، من كتاب *Moral Letters*

خلال الكارثة الاقتصادية التي وقعت في أواخر العام الأول من الألفية الثانية، خسرت مئات الأشخاص الأذكى والعقلانيين ما يعادل تريليونات الدولارات من ثرواتهم. كيف يمكن أن يصبح هؤلاء الأشخاص الأذكى أغبياء إلى هذه الدرجة؟ أولئك الأشخاص يعلمون النظام جيدًا، ويعلمون كيف أنه من المفترض بالسوق أن تعمل، وأداروا مليارات، إن لم تكن تريليونات الدولارات. ولكن، كانوا مخطئين، بالنسبة للأشخاص - وكانوا مخطئين فيما يتعلق بحجم خسائر السوق العالمية.

من الصعب النظر إلى هذا الموقف وفهم أن الجشع كان جزءًا من المشكلة. فالجشع هو ما قاد الناس إلى إنشاء الأسواق المعقدة التي لم يتمكن أحد من فهمها على أمل أن يتمكنوا من جني أرباح سريعة. والجشع هو ما قاد أناسًا آخرين إلى عقد صفقات بناءً على شروط قروض غريبة. والجشع هو ما منع الجميع من إطلاق التسمية الحقيقية على هذا الوضع - بيت وإه ستزيله أخف الرياح من أساساته.

لن يفيدك كثيرًا أن تتقد هؤلاء الأشخاص بعد إدراك تلك الحقيقة، بل من الأفضل أن تنظر إلى ما فرضه الجشع والرذائل من تأثيرات على حياتنا. ما الزلات في الأحكام التي سببتها لك الرذائل؟ ما "المرض" الذي أصابك؟ وكيف يمكن لعقلك المتعقل أن يتدخل لينظم تلك الأمور؟

٢٤ مارس

هناك فلسفة في كل شيء

"كل مثل الإنسان، واشرب مثل الإنسان، وارثد ملابسك وتزوج وأنجب وكن ناشطاً سياسياً... عانِ الإساءة وتحمل أخاك العنيد أو والدك أو ابنك أو جارك أو زميلك. أظهر لنا تلك الأمور حتى يمكننا رؤية أنك قد تعلمت من الفلاسفة بالفعل".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

كان بلوتارش كاتب سير ذاتية رومانياً وكان واحداً من محبي الفلسفة اليونانية، ولم يبدأ بدراسة روائع الأدب اليوناني حتى وقت متأخر من حياته. ولكن، كما يقول في السيرة الذاتية التي كتبها عن ديموستيني، كان مذهباً من سرعة تعلقه به حين كتب: "لم يكن الأمر يتعلق كثيراً بكون الكلمات قد جعلتني أفهم الأحداث بشكل كامل، بل إن تجاربي الشخصية مع الأحداث هي التي مكنتني من تتبع معاني الكلمات عن كثب".

هذا ما يعنيه إبيكتيتوس عن دراسة الفلسفة؛ فلا بأس بأن تدرسها، ولكن لا تهمل حياتك، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي ستساعدك على فهم ما يعنيه أي من هذا. والأهم، أن أفعالك وخياراتك بمرور الوقت هي وحدها التي ستتمكنك من استبيان إذا ما كنت قد اعتنقت أيًا من تلك التعاليم أم لا.

كن واعياً بهذا اليوم عندما تكون في طريقك إلى العمل، أو إلى موعد، أو عندما تقرر من ستصوت له، أو تدعو والديك لقضاء الليلة في منزلك، أو عندما تلوح لجارك بينما تدخل منزلك، أو تعطي إكرامية لعامل توصيل الطلبات للمنازل، أو عندما تتمنى ليلة سعيدة لمن تحب. إن الفلسفة تكمن في كل هذه الأمور، فجميعها خبرات تعطي معنى للكلمات.

٢٥ مارس

الثروة والحرية مجانيتان

"... لا تُضمن الحرية عبر تلبية رغبات قلبك، بل عن طريق محو تلك الرغبات منه".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

هناك طريقتان لكسي تصبح ثريًا: أن تحصل على كل ما تريد أو أن تريد كل ما تملك - أيهما أكثر سهولة في التو واللحظة؟ ينطبق الأمر ذاته على الحرية. إن انبريت للقتال والصراع من أجل الحصول على المزيد، فلن تكون حرًا أبدًا. ماذا لو تمكنت من العثور على الحرية التي تملكها بالفعل والتركيز عليها؟ ستصبح حرًا في التو واللحظة.

٢٦ مارس

ما الذي يسيطر على منطقك المسيطر؟

"كيف يدير منطقك المسيطر نفسه؟ هذا هو السر لتحقيق أي شيء، وأيا كان ما سيقبى بعد ذلك، سواء كان يقع في نطاق قدرتك على الاختيار أو لا، لا يتعدى كونه مجرد رماد وخبان".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

اشتهر الكاتب اليوناني الساخر جوفينال بسؤاله: من يراقب المراقب؟ هذا أيضًا ما يسأله ماركوس لنفسه ولكن بطريقة مختلفة – وما الذي قد تسأله لنفسك خلال يومك؟ ما المؤثرات التي تسيطر على المنطق المسيطر على حياتك؟

قد يعني هذا التبخر في موضوعات على غرار البيولوجيا التطورية وعلم النفس وعلم الأعصاب دراسات العقل الباطن؛ لأن تلك القوى العميقة هي التي تشكل أكثر العقول انضباطًا وعقلانية. وقد تكون أكثر شخص صبور في العالم، ولكن، إذا أثبت العلم أننا نتخذ قرارات سيئة عندما نكون جائعين – فبم سيفيدك كل هذا الصبر؟

لذا، لا تتوقف عند الفلسفة اليونانية، بل استكشف القوى التي تحركها وتجعلها ممكنة. تعلم الأمور التي تحاول دحض الفلسفة التي تدرسها، كيف يعمل العقل والجسم معًا. لا تحاول فهم منطقك المسيطر فحسب – المراقب – بل افهم أيضًا كل شخص وكل شيء يسيطر عليه.

٢٧ مارس

أدفع ما تساويه الأشياء

"قال ديوجينيس، إننا نبيع الأشياء القيمة مقابل أشياء لا قيمة لها، والعكس صحيح".
— ديوجينيس اللايرتي، من كتاب *Lives of the Eminent Philosophers*

يمكنك أن تشتري أريكة أنيقة من علامة تجارية شهيرة مقابل ٢٠٠ ألف دولار. كما يمكنك أن تستأجر قاتلاً لقتل شخص ما مقابل ٥٠٠ دولار. تذكر هذا في المرة القادمة عندما تسمع شكوى شخص ما عن كيفية تحكم السوق في قيمة الأشياء. وقد تكون السوق عقلانية... ولكن العاملين فيها ليسوا كذلك. أكد ديوجين مؤسس المدرسة الساخرة، على القيمة الحقيقية للأشياء، وهو الموضوع دائم الظهور في الفلسفة اليونانية، وخاصة في كتابات إبيكتيتوس وماركوس. من السهل أن نضل طريقنا؛ فعندما ينفق من حولك أموالاً طائلة على أشياء لا يمكنهم أخذها معهم إلى القبر، فربما يكون من الجيد بالنسبة لك ألا تفعل ذلك أنت أيضًا.

ولكن، هذا ليس جيدًا دون شك. إن الأشياء الجيدة في الحياة تكلف قدر قيمتها الحقيقية، والأشياء غير الضرورية لا قيمة لها على الإطلاق؛ والمهم هنا هو التفرقة بينهما.

٢٨ مارس

الجبن كمشكلة تصميم

"الحياة من دون تصميم ستكون فوضوية. وبمجرد أن يصبح المرء في موقعه الصحيح، تصبح المبادئ ضرورية. وأعتقد أنك ستقر بأنه لا يوجد أمر مخز أكثر من التصرفات الجبنة غير الواثقة، والانسحاب بجبن. وسيكرر الأمر في جميع شئوننا إلا إن تمكنا من محور الأخطاء التي تكثف أرواحنا وتعوقها، مانعة إياها من المضي قدماً وبذل قصارى جهودها".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

يخرج الفريق المنافس في هيئة قوية، ويحقق تقدماً مبكراً، ولم يتوافر لك الوقت الكافي لتستعيد قواك... تدخل اجتماع عمل وتواجه الجميع، وتسوء الأمور... تحتدم مناقشة رقيقة لتتحول إلى مباراة في الصباح... تغير من تخصصك في منتصف دراستك الجامعية واضطرت لأن تبدأ دراستك بأكملها من البداية وتأخرت في التخرج. هل تبدو لك تلك المواقف مألوقة؟ تلك هي الفوضى النابعة من عدم امتلاك خطة. وليس هذا لأن الخطط لا تشويها شائبة، بل لأن الناس من دون تخطيط مثل مجموعة من جنود المشاة من دون قائد: تزداد احتمالية أن يتعرضوا للانهيال والتفكك. إن المدرب الفائز بالبطولة الكبرى بيل والش اعتاد تلك المخاطر عبر كتابة سيناريوهات لمبارياته قبل أن تبدأ. فقد قال في إحدى محاضراته عن التخطيط للمباريات: "إذا كنت ترغب في نوم هادئ ليلة المباراة، فخطط للألعاب الخمس والعشرين الأولى من المباراة في ذهنك في الليلة التي تسبقها. وسيمكنك حينها أن تدخل الاستاد وتبدأ المباراة دون أن تقلق". كما سيمكنك أن تتجنب عدداً من النقاط المبكرة أو أية مفاجأة من منافسك. وهذا أمر لا يتعلق بك - فقد حصلت بالفعل على أوامرك بالتحرك. لا تحاول أن ترتجل أي شيء، بل ضع خطة لكل شيء.

٢٩ مارس

لِمَ تحتاج إلى إبهار هؤلاء الأشخاص مرة أخرى؟

"إذا كان يجب عليك أن تحول إرادتك إلى الأمور الخارجة عن نطاق سيطرتك من أجل إبهار شخص ما، فتأكد من أنك قد دمرت هدفك من الحياة بأكمله. كن سعيدًا إن كان يكونك فيلسوفًا في كل ما تفعله، وإذا كنت ترغب في أن يراك الناس فيلسوفًا، فأظهر لنفسك أولاً أنك واحد منهم، وستنجح."

— إيكيتوس، من كتاب *Enchiridion*

هل يوجد شيء يسبب الحزن أكثر من الجهود المضنية التي قد نبذلها من أجل إبهار شخص ما؟ قد تبدو الأمور التي نفعلها من أجل الفوز بقبول شخص ما - عند استعراضها في وقت لاحق - كأنها ناتجة عن نوع من الجنون اللحظي. فقد نبدأ فجأة بارتداء ملابس سخيفة وغير مريحة قيل لنا إنها رائعة، ونتناول أطعمة مختلفة، ونتحدث بأسلوب مختلف، وأصبحنا أيضًا ننتظر مكالمات هاتفية أو رسالة نصية بفارغ الصبر. فإذا فعلنا تلك الأمور لأننا نحب فعلها، فهذا سيكون أمرًا جيدًا، ولكن ليس الأمر على هذا المنوال، فإنها عبارة عن وسيلة لتحقيق الغاية - أن نحصل على قبول شخص ما.

المثير للسخرية في الأمر، كما وضع ماركوس أوريليوس مرارًا وتكرارًا، أن الأشخاص الذين نتوق لسماع آرائهم ليسوا عظماء لهذه الدرجة. إنهم مليئون بالعيوب - فهم يلهون وينبهرون بجميع أنواع الأمور السخيفة. إننا ندرك هذا جيدًا، ولكننا نتجاهل التفكير فيه. وفي اقتباس آخر من فيلم *Fight Club*: "إننا نشترى أشياء لا نحتاج إليها لتبهر أناسًا لا نحبهم".

ألا يبدو هذا الأمر سخيفًا والأهم من ذلك، ألا يتعلق الأمر بمدى حصولك على السكينة والأمان الذي يمكن للفلسفة أن تمدك بهما؟

٣٠ مارس

المنطق في كل شيء

“أسرع إلى منطقتك المسيطر، إلى المنطق الشامل، وإلى منطق جارك، أسرع إلى عقلك لكي تجعله عادلاً، وإلى المنطق الشامل لتتذكر موقعك منه، وإلى عقل جارك لتعرف إذا ما كان جاهلاً أم مثقفاً – مع ملاحظة أنه يشبه عقلك”.

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

إن لم تخضع حياتنا لسيطرة المنطق، فما الذي سيسيطر عليها إذن؟ النزعات؟ النزوات؟ المحاكاة؟ العادات غير العاقلة؟ مع فحوصنا لسلوكياتنا السابقة، كم نشعر بالأسف عندما نجد أن تلك هي الحال التي عليها أمورنا – إننا لم نكن نتصرف عن وعي أو عمد بل كنا منقادين بقوى لم نكلف أنفسنا عناء تقييمها. وقد يتصادف أن تلك هي المواقف التي من المرجح أن نندم عليها.

٣١ مارس

أنت فتاج تدريبك

"مطاردة ما لا يمكن تحقيقه يعد ضرباً من الجنون، ولكن العامة لا يمكنهم فعل أي شيء لخر".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

الكلب الذي يترك لمطاردة السيارات سيطارد السيارات. والطفل الذي يربى دون فرض قيود عليه سيثب مدلاً. والمستثمر غير المنضبط ليس مستثمراً - إنه مقامر. إن العقل الذي لا يسيطر على نفسه، ولا يدرك قدرته على تنظيم نفسه، سيُخدع بواسطة الأحداث الخارجية والنزعات غير المفيدة. لا يمكن أن يكون هذا هو القدر الذي تأمله؛ لذا عليك أن تعي ذلك: عليك أن تبدأ الآن بالتدريبات والعادات التي ستستبدلها بالجهل والنظم السيئة. حينها فقط ستبدأ بالتصرف والفعل بصورة مختلفة، وحينها فقط ستوقف عن السعي لتحقيق المستحيل، والنظر تحت قدميك، وامتلاك الأشياء غير الضرورية.

أبريل

الفكر غير المنحاز

١ أبريل لون أفكارك

"سيأخذ عقلك دومًا شكل الأفكار التي يفكر فيها عادة، حيث إن الروح البشرية تتلون بلون تلك الانطباعات".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

إن تثبيت جسدك في وضعية جلوس معينة كل يوم لفترات طويلة، فسيتغير شكل انحناءات عمودك الفقري. ويمكن للطبيب أن يستنبط من صور الأشعة (أو من التشريح) إذا ما كان المرء يعمل على مكتب من أجل قوت يومه. وإذا وضعت قدمك في حذاء ضيق كل يوم، فستبدأ بأخذ شكل هذا الحذاء أيضًا. وينطبق الأمر ذاته على العقل؛ فإذا اعتنقت منظورًا سلبياً طوال الوقت، فسرعان ما سيبدو كل شيء في عينيك سلبياً. لذا أغلق عقلك وستصبح عنيداً ومتشبتاً برأيك، وإذا لونتته بلون الأفكار الخطأ فستتلون حياتك بأكملها باللون نفسه.

٢ أبريل

احذر ما تسمح له بالدخول

"الماسي والصراعات والمخاوف وقلة الإحساس والعبودية، عندما لا يحاول ذهنك انتقادها أو يسمح لها بدخوله فإنها - وبشكل يومي - تمحو مبادئك الثابتة".
- ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

ما مدى صعوبة الإقدام على الأفعال الجيدة عندما تكون محاطًا بأشخاص ذوي نظرة دونية؟ ما مدى صعوبة أن تكون إيجابيًا ومتعاطفًا عندما تكون عالقًا في الفقاعة السلبية للأحداث التليفزيونية؟ ما مدى صعوبة أن تركز على شئونك عندما تشغل بمآسي الآخرين وصراعاتهم؟
لا شك في أننا سنتعرض لتلك المؤثرات في مرحلة ما من حياتنا، بصرف النظر عن مدى محاولتنا لتجنبها. ولكن، عندما نفعّل، فلا يوجد شيء يجبرنا على أن نسمح لتلك المؤثرات باختراق عقولنا. إننا نمتلك القدرة على أخذ حذرنا وأن نقرر ما نسمح به داخل عقولنا. وقد يصل ضيوف غير مدعوين إلى منزلك، ولكنك لست مجبرًا على دعوتهم على العشاء - لست مضطرًا لإدخالهم في عقلك.

٢ أبريل

مخدوعون ومنقسمون

"الظروف هي التي تخدمنا - ويجب عليك أن تدرك هذا. إننا نتقبل الشر قبل الخير، وننتهي نقبض ما كنا نشتهي ذات يوم. ودعواتنا تناقض دعواتنا الأخرى وخططنا نقاتل خططنا الأخرى".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

قد تقول امرأة إنها ترغب في لقاء الرجل المناسب والزواج به، ولكنها لا تقابل إلا الحمقى. وربما يقول الرجل إنه يتمنى أن يعثر على وظيفة أحلامه، ولكنه لم يكلف نفسه عناء البحث عنها. كما أن مديري الشركات يحاولون أن يطبقوا استراتيجيتي عمل مختلفتين في الوقت ذاته - ويسمون ذلك احتياطًا - ولكنهم يُصعبون عندما تفشلان كلاهما.

إن جميع هؤلاء الأشخاص - مثلنا تمامًا - منخدعون ومنقسمون. فأحدى أيديهم تعمل ضد الأخرى. كما قال مارتن لوثر كينج الابن ذات مرة: "هناك أمر شبيه بالحرب الأهلية يكتف حياتنا بأكملها" - حرب دائرة داخل كل فرد منا بين جانب الخير وجانب الشر من روحه.

يقول الفلاسفة الرومانيون إن تلك الحرب تنتج عادة عن رغباتنا المتناقضة، وأحكامنا الفاشلة وأفكارنا المنحازة. ولا نتوقف لنسأل: حسنًا، ما الذي أريده حقًا؟ ما الذي أسعى إليه حقًا هنا؟ وإن فعلنا، سنلحظ رغباتنا المتناقضة والمتضاربة؛ ومن ثم سنتوقف عن العمل ضد أنفسنا.

٤ أبريل

لا تدع تلك الأمور تصل إلى رأسك

"تأكد من ألا ينصّبك أحد" إمبراطورًا، تجنب وصمة الإمبراطورية. قد يقع هذا الأمر معك؛ لذا حافظ على بساطتك وطيبتك ونقائك وصفائك وجبك للعدالة وتقواك وكرمك وشغفك وإقدامك بقوة على عمل الخير، حارب من أجل أن تبقى الشخص الذي تمننت الفلسفة أن تجعلك عليه. واعبد ربك، وراعِ الآخرين؛ فالحياة قصيرة - وفاكهة هذه الحياة هي الشخصية الجيدة وأفعال الخير".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

من الصعب أن نحاول استيعاب كيف كانت الحياة في نظر ماركوس أوريليوس - إنه لم يولد إمبراطورًا، كما أنه لم يصل إلى العرش عن عمد؛ بل لقد أُلقي عبء الحكم عليه إلقاءً، وفجأة أصبح أثري أثرياء العالم، وقائد أقوى جيش على سطح الأرض، وحاكم أكبر إمبراطورية في التاريخ، وكان الناس ينظرون إليه باحترام شديد.

لا عجب من أنه كتب لنفسه مثل تلك الخطابات الصغيرة مذكرًا نفسه بالألا تغتر، فمن دونها، كان من الممكن أن يفقد إحساسه بالأمور المهمة، وأن يقع فريسة لأكاذيب جميع الأشخاص الذين كانوا يتقربون منه للحصول على بعض المنافع. وها نحن ذا، عرضة لخطر تشتيت أنفسنا؛ أيًا كان ما نفعله.

عندما نختبر النجاح، علينا أن نتأكد من أنه لن يغيرنا - وأنتنا سنظل ثابتين على مبادئنا برغم جميع الإغراءات. لذا يجب أن يقودنا المنطق بصرف النظر عن إذا ما كنا ذوي حظ سعيد أم لا.

° أبريل

ثق، ولكن تثبت

"بادئ ذي بدء، لا تدع قوة الانطباعات تشغلك كثيرًا. قل لها: تمهلي قليلاً ودعيني أر ماذا تكونين ومن أين أتيت - دعيني أختبرك..."

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses* —

من بين عجائب عقلك تلك السرعة التي يمكنه أن يستوعب بها الأمور ويصنفها. كما كتب مالكولم جلادويل في كتاب *Blink*، دائماً ما نتخذ قرارات فائقة التسرع بناءً على سنوات مضت من الخبرة والمعرفة، إلى جانب استخدام المهارة نفسها للتأكيد على الإجحاف والقبولية والفرصيات. ومن الجلي أن نوعية التفكير الأولى هي مصدر القوة، في حين تعتبر الثانية نقطة ضعف كبيرة. لن نخسر الكثير إن تلقينا اللوم على تفكيرنا في أفكارنا الخاصة. هل هذا أمر سيئ بالفعل؟ ما الذي أعرفه عن ذلك الشخص؟ لِمَ أمتلك تلك المشاعر القوية في تلك اللحظة؟ هل يضيف القلق الكثير للموقف؟ ما الذي يميز...؟ عبر طرح تلك الأسئلة - وعبر وضع انطباعاتنا موضع الاختبار كما ينصح إيكيتوس - تقل احتمالية أن نتجرف وراءها أو أن نُقدِّم على فعل بناءً على انطباعات خطأ أو منحازة. إننا ما زلنا نمتلك حرية استخدام غرائزنا، ولكن، يجدر بنا دومًا أن نكون، كما يقول المثل الروسي: "ثق، ولكن تثبت".

٦ أبريل

أعد نفسك للسلبية

"أول ما عليك فعله في الصباح عندما تستيقظ من نومك، أن تقول لنفسك: سأجابه الفضوليين وناكري الجميل والنرجسيين والكاذبين والغيورين المنافقين. لقد ابتلوا جميعهم بتلك المصائب: لأنهم لا يعرفون الفارق بين الخير والشر. ولأنني أدركت جمال الخير وقبح الشر، أعلم أن أولئك الخاطئين لا يزالون قريبين مني... وأن أياً منهم لن يمكنه إلحاق الضرر بي أو أن يورطني في أعمال الشر - ولن يمكنني أن أغضب من أقاربي أو أن أكرههم: لأننا جُبلنا على التعاون".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

قد تكون على يقين تام في مرحلة ما من اليوم أنك بصدد التعامل مع شخص ما تراه أحمق (وهناك الكثيرون منهم)، والسؤال المطروح في هذه الحالة: هل ستكون مستعداً لذلك؟

يستدعي هذا الأمر إلى الذاكرة الدعابة التي ألقاها في القرن الثامن عشر الكاتب والساحر نيكولاس تشامفورت حين قال: إن "ابتلعت ضفدعة كل صباح"، فستملك المناعة ضد أي شيء آخر يثير الاشمئزاز قد يحدث لك خلال ما تبقى من اليوم. أليس من الأفضل أن تستوعب في وقت مبكر - بمجرد أن تصحو من نومك - أن الناس عادة ما يتصرفون بطرق أنانية وجاهلة (ابتلاع الضفدعة) بدلاً من أن تكتشف ذلك خلال اليوم؟

ولكن هناك جزءاً آخر من هذا الأمر، كما أن هناك جزءاً آخر من اقتباس ماركوس: "لا يوجد من يمكنه أن يورطني في القبح، ولن يمكنني أن أغضب من أقاربي أو أن أكرههم". ليس الهدف من الاستعداد لتحديد طبيعة كل شخص مقدماً، بل كونك على استعداد للتعامل معهم، وسيتمكنك أن تتعامل بصبر وتسامح وتفهم.

٧ أبريل

توقع أن تغير من آرائك

"هناك أمران يجب أن يُزالا من جميع البشر: الآراء المتعجرفة، ووضع الثقة فيمن لا يستحقها. يتوقع أصحاب الآراء المتعجرفة أنهم لن يحتاجوا إلى أي شيء آخر، ويفترض من يضعون ثقتهم فيمن لا يستحقونها أنه في ظل الظروف الجارفة لا يمكن أن توجد السعادة".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

ك مرة بدأنا مشروعًا ونحن على يقين من أننا نعلم جيدًا ما ستؤول إليه الأمور؟ كم من المرات التقينا أناسًا واعتقدنا أننا نعلم من يكونون وماذا يكونون؟ وكم من المرات أثبتت فرضياتنا أنها خطأ تمامًا؟ لهذا السبب، يجب علينا أن نقاوم تحيزاتنا وتحاملنا: لأنها تمثل عبئًا. لذلك اسأل نفسك: ما الذي لم أفكر فيه؟ لم آلت الأمور إلى هذا المأل؟ هل أنا جزء من المشكلة أم من الحل؟ هل يمكن أن أكون مخطئًا؟ احذر بشدة من أن تبجل الأمور التي لا تعلم عنها شيئًا، ومن ثم ابدأ بتقييمها طبقًا للمعرفة التي تمتلكها. تذكر: إن كانت هناك تعاليم جوهرية تُبنى عليها تلك الفلسفة، فستكون أننا لسنا أذكياء أو حكماء بالقدر الذي نعتقد أننا عليه. وإن أردنا أن نصبح حكماء، فإن هذا سيتحقق عن طريق حب الاستطلاع والتواضع في الوقت ذاته - وليس كما يحب الكثيرون أن يمتدوا، من خلال الثقة العمياء والارتياح والغرور.

٨ أبريل

تكلفة تقبل الزيف

"عندما يتعلق الأمر بالمال، وهو موضع اهتمامنا الأكبر، فإننا نمتلك الكثير من الأدوات لاكتشاف القيمة... مثلما هي الحال عندما نولي اهتمامًا كبيرًا بالحكم على الأمور التي قد تؤدي بنا إلى المسارات الخطأ. ولكن، عندما يتعلق الأمر بمبادئنا المسيطرة، فإننا نتناب وتكاسل، وتتقبل أيًا من المظاهر التي قد تلوح أمام أعيننا من دون حساب تكلفتها".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

عندما كانت العملات بدائية، كان الناس يقضون أوقاتًا طويلة في محاولة اختبارها من أجل التأكد مما إذا كانت العملات التي حصلوا عليها أصلية أم مزيفة. الكلمة الإغريقية القديمة *dokimazein* وتعني "كتابة مقال" أو فحص جودة خام المعادن. وقد كان التجار ماهرين بدرجة كبيرة في اختبار العملات لدرجة أنهم كانوا يلقون بها على سطح صلب ويستمعون إلى صوت الرنين الذي تصدره. وحتى وقتنا هذا، إن أعطاك شخص ما ورقة بقيمة مائة دولار، فقد تفركها بين أصابعك أو ترفعها لتتظر إليها في الضوء حتى تتأكد من أنها ليست مزيفة.

كل هذا يحدث من أجل عملات تخيلية ابتكرها المجتمع. والهدف من تلك الاستمارة أن نلقي الضوء على كم الجهد الذي نبذله للتأكد من أن الأموال حقيقية، في حين نتقبل الأفكار أو المزاعم التي من شأنها تغيير حياتنا من دون أن نحاول تفنيدها. وهناك فرضية ساخرة واحدة تتعلق بتلك السطور: أن امتلاك الكثير من المال يجعلك ثريًا، وأنه إذا كان الكثيرين من الناس يؤمنون بصحة أمر ما، فسيكون صحيحًا.

يجدر بنا حتمًا أن نختبر تلك الأفكار بحماسة اختبارنا للنقود نفسها. لأن، كما يذكرنا إيكيتوس: "المهمة الأولى الأعظم للفيلسوف هي اختبار المظاهر وتصنيفها، وعدم التصرف بناءً على أمور لم نختبرها".

٩ أبريل

اختبر انطباعاتك

"منذ البداية، اعتد أن تقول لكل انطباعاتك: أنت مجرد انطباع ولست بأية حال من الأحوال مثل ما تبدو عليه. بعد ذلك، تفحص تلك الانطباعات واختبرها طبقاً للقواعد التي تمتلكها، والتي تعد أولها وأعظمها - إذا ما كانت تنتمي إلى الأمور التي يمكنك التحكم فيها، أو تنتمي إلى الأمور التي لا يمكنك التحكم فيها، وإذا كانت تنتمي للنوع الثاني، فكن على استعداد لترد: إنها لا تمثل أي شيء بالنسبة لي".

— إيكيتوس، من كتاب *Enchiridion* —

في ذلك العالم الذي لا يهتم إلا بكم الأشياء لا بنوعها، والمثلئ بالسياسات والعمليات، قد يرتد البعض إلى الجهة المعاكسة. ولذلك فإن القادة الشجعان "يثقون بحدسهم"، والمرشدين الروحيين سيقولون إنه من المهم أن "تدع مسدك يقودك". وقد يسألنا صديق يحاول مساعدتنا على اتخاذ القرارات الصعبة: "ما الذي تشعر بأنه صحيح؟".

وتلك الطرق لاتخاذ القرارات تناقض الكثير من دراسات الحالة حين قادت المرائز الناس مباشرة إلى الدمار. إن حواسنا تخطئ طوال الوقت، ومثلما مضمت الحيوانات إلى المراحل البطيئة للتطور، طورنا نحن أيضاً جميع أنواع الحارِب والتحييزات وردود الأفعال العاطفية التي ربما كانت ناجحة عندما نعيش في سهول السافانا، ولكنها لم تعد مثمرة على الإطلاق في عالمنا الماصر.

يتعلق جزء من الفلسفة اليونانية بفرس الوعي الذي يمكّنك من التراجع وتحليل حواسك والتساؤل عن مدى دقتها ومواصلة استخدام الأمور الإيجابية البناءة التي تقودك إليها. لا شك في أنك قد تتعرض لإغراء الضرب بالنظام الانضباط عرض الحائط، وأن تتبع ما تراه صحيحاً - ولكن، إذا كانت الأمور الصعبة التي فعلناها في شبابنا وندمنا عليها تمثل مؤشرات بالنسبة لنا، ندرك أن ما قد يبدو صحيحاً الآن قد لا يظل كذلك بمرور الوقت. لذا، تشكك في حواسك، ومرة أخرى أقول: ثق، ولكن تثبت.

١٠ أبريل

الأحكام تسبب الاضطرابات

"الأحداث وحدها لا تسبب الاضطراب للناس، بل أحكامهم عليها هي ما يسبب ذلك".
— إبيكتيوس، من كتاب *Enchiridion*

فرق محارب الساموراي موساشي بين "أعيننا المدركة" و"أعيننا الملاحظة". حيث ترى العين الملاحظة الأمور كما هي، أما العين المدركة فتري ما كان من المفترض أن تعنيه الأمور. أيهما في رأيك تسبب لنا المعاناة الأكبر؟

قد يكون الحدث خاليًا من الحركة، وموضوعيًا، وطبيعيًا – هذا ما تراه أعيننا الملاحظة.

"سيدمروني هذا الأمر. كيف حدث هذا؟ آه، إن الأمر خطأ تمامًا" – هذا ما تقوله أعيننا المدركة في أثناء عملها، وتحضر معها الاضطراب، ومن ثم تلقي باللوم على الحدث.

١١ أبريل

إن كنت ترغب في التعلم، كن متواضعاً

"تخلص من ارائك المتعجرفة، فمن المستحيل بالنسبة للمرء أن يتعلم ما يظن أنه يعرفه بالفعل".

— إبيكتيوس، من كتاب *Discourses*

من بين جميع الفلاسفة الرومانيين، كان إبيكتيوس الأقرب لكونه معلماً مهنياً. فقد كان يمتلك مدرسة، وكان يعطي دروساً. في واقع الأمر، لقد وصلتنا حكمته عبر أحد تلامذته الذي دون الكثير من الملاحظات عن محاضراته. من بين الأمور التي جعلت إبيكتيوس يُحبط من طلبة الفلسفة - والتي أحبطت جميع أساتذة الجامعات منذ فجر التاريخ - هي كيف يدعي الطلاب أنهم يريدون التعلم رغم أنهم يعتقدون من داخلهم أنهم يعلمون كل شيء.

في واقع الأمر، نعتقد جميعنا أننا نعلم كل شيء، وسيمكننا تعلم المزيد إن هبنا ذلك التوجه جانباً؛ فرغم ذكائنا أو نجاحنا، سيظل هناك من هم أذكى منا وأنجح منا وأحكم منا. وقد وضع "إيمرسون" الأمر بصورة جيدة حين قال: "إنني أعتبر كل إنسان أتعبه أستاذي بشكل ما، وبالتالي أتعلم منه".

فإذا كنت ترغب في التعلم، وإن كنت ترغب في تحسين حياتك، فسيكون البحث في أعمال المعلمين والفلاسفة، وكذلك الكتب العظيمة، بداية جيدة. ولكن، ستكون تلك المقاربة فعالة إن كنت متواضعاً ومستعداً لتعديل الآراء التي تؤمن بها.

١٢ أبريل

أرفض الهبات صعبة المنال

"أثريوس: من الذي يرفض فيض الهبات التي يمنحها الله إياه؟
تيسيتس: أي شخص أدرك أنها سوف تعود من حيث أتت".

— سينيكا، من كتاب *Thyestes*

تعتبر مسرحية تيسيتس أكثر مسرحيات سينيكا كأبة وتشويشًا، وحتى بعد مرور ألفي عام، لا تزال من كلاسيكيات الدراما الدموية. ومن دون إفساد السياق، أخذ الاقتباس السابق من مشهد يحاول أثريوس فيه أن يجرشقيقه، الذي يكرهه تيسيتس، إلى فخ محكم عبر تقديم هدايا جميلة ومفريه. وفي البداية، رفضها تيسيتس، الأمر الذي حير عدوه كثيرًا.

إننا نندهش دومًا عندما يرفض شخص ما هدية غالية الثمن أو تشريرًا أو نجاحًا. لقد رفض الجنرال ويليام تي. شيرمان عروضًا كثيرة ليصبح رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية، وقال في إحدى هذه المرات: "لن أقبل إن رُشحت ولن أخدم إن انتُخبت". ولو كان صديقه يولييسيس إس. جرانت قد أصدر تصريحًا مثل "تصريح شيرمان" (كما أصبح يُعرف هذا الرفض)، لكان جرانت قد حافظ على إرثه من تحولات الأحداث الكارثية التي عانى منها.

ورغم تشككه في البداية، فقد استسلم تيسيتس للإغراءات واقتنع بقبول "المنح المفاجئة" ... والتي تبين في النهاية أنها خدعة تخفي مأساة رهيبه في طياتها. لا يعني هذا أن جميع الفرص محفوفة بالمخاطر، ولكن المسرحية كانت تهدف إلى أن تذكرنا بأن انجذابنا نحو الأشياء الجديدة اللامعة قد يوقعنا في مشكلات كبيرة.

١٣ أبريل

أقل، ولكن أكثر

"لا تتصرف بحقد أو أنانية أو من دون عناية واجبة أو أن تكون معارضاً. ولا تحاول الإفراط في تجميل أفكارك باستخدام الكلمات الجميلة. لا تكن شخصاً يقول الكثير ويفعل القليل... كن مبتهجاً، ولا تنتظر أية مساعدة خارجية أو راحة قد يجلبها الآخرون. وقد يحتاج المرء لأن ينهض بمفرده، ولا يحتاج لأية مساعدة ليفعل هذا".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

في معظم مجالات الحياة، تنطبق مقولة "أقل، ولكن أكثر". فعلى سبيل المثال، عادة ما يكون الكتاب الذين يعجبوننا خبراء في الاقتصاد في الكلمات وإيجازها. وما يتركونه عادة ما يكون مهمًا - بل وقد يكون أكثر أهمية - مما يذكرونه. وهناك قصيدة شعرية كتبها "فيليب ليفين" تحت عنوان "إنه لمن يستخدم أبدًا كلمة لن يستخدمها أحد". ومن مسرحية *هاملت*، كان أفضل رد هورد الملكة جيرترود بعد خطاب بولونيوس البلاغي الطويل: "المزيد من الأمور المهمة بكلمات أقل". لذلك ادخل في صلب الموضوع مباشرة.

تخيل الإمبراطور اليوناني، بجمهورية المأسور بكلماته وسلطته اللانهائية، بهول لنفسه ألا يكون الشخص "الذي يقول الكثير ويفعل الكثير". دع هذا الأمر يكن تذكرة لك في المرة القادمة عندما تشعر بالاستمتاع بكثرة كلماتك أو بالزهو بنفسك - المرة القادمة عندما تشعر بالرغبة في إبهار الناس.

١٤ أبريل

أن تصبح خبيراً في الأمور المهمة

"صدقني، من الأفضل أن تعد موازنة حياتك بدلاً من أن تعد موازنة سوق الحبوب".
— سينيكا، من كتاب *On the Brevity of Life*

هناك أمور يمكن للبعض أن يصبحوا خبراء فيها: الرياضات الغريبة، وتفاهات المشاهير، وأسواق السلع والبضائع الثانوية، والعادات الصحية التي من القرن الثالث عشر.

يمكننا أن نصبح بارعين في الأمور التي نتلقى أجرًا مقابل أدائها، أو في العادات التي نأمل في أن نتلقى أجرًا مقابل أدائها. إلا أن حياتنا وعاداتنا وتوجهاتنا قد تكون غامضة بالنسبة لنا.

وقد كتب سينيكا تلك التذكرة المهمة إلى حماء، والذي كان في ذلك الوقت مسئولاً عن صوامع الحبوب اليونانية، ولكنه خسر منصبه بعد ذلك لأسباب سياسية. يقول سينيكا: إلى من يهتم: يجب عليك الآن أن تركز تلك الطاقة على حياتك.

بحلول نهاية وقت حياتك على هذا الكوكب، ما الخبرة التي ستكون ذات قيمة بالنسبة لك - فهمك لأمور الحياة والموت، أم إلمامك بالثقافات العامة؟ أيها سيساعد أطفالك أكثر - نظرتك المتعمقة إلى السعادة والمغزى، أم متابعتك للأخبار السياسية العاجلة كل يوم طوال ٢٠ عامًا؟

١٥ أبريل

ادفع ضرائبك

"لا شيء يحدث لي يستحق أن استقبله بعبوس أو نفور. فسأدفع ضرائبي عن طيب خاطر. والآن، جميع الأمور التي تسبب الشكوى أو النفور مثلها مثل الضرائب في الحياة - أمور لا يجدر بك، عزيزي لوسيليوس، أن تأمل في أن تُعفى أو تتهرب منها".
- سينيك، من كتاب *Moral Letters*

عندما يحين موعد دفع ضرائبك على الدخل، قد تبدو مثل الكثير من الناس: تشكو مما يجب عليك دفعه للحكومة - هل يجب أن أدفع ٤٠٪ من كل ما أملكه إلى هؤلاء؟ وما السبب؟

بادئ ذي بدء، تذهب الضرائب إلى الكثير من البرامج والخدمات التي أأزدها على محمل الجد. ثانيًا، هل تظن أنك مميز؟ لطالما ظل الناس يشكون من الضرائب طوال آلاف السنين، وقد ماتوا الآن. ثالثًا، تعتبر تلك مشكلة بالنسبة لك، كما أن هذا الأمر أفضل بكثير من ألا تجني الكثير من المال لدرجة ألا تتمكن من دفع المال للحكومة أو أن تعيش في فوضى أو أن تدفع مقابل جميع الخدمات الأساسية خلال كفاحك ضد الطبيعة.

الأمر الأهم أن الضرائب على الدخل ليست هي الضرائب الوحيدة التي دفعها في حياتك، بل إنها النوع المالي منها فقط. إن كل شيء نفعله يحمل من طياته تكلفة، فالانتظار ضريبة السفر، والشائعات والنميمة ضريبة الشهرة، والخلافات والشجار من وقت لآخر ضريبة مفروضة حتى على أنجح العلاقات. والمقد ضريبة الثراء وامتلاك الأشياء التي يرغب فيها الآخرون، كما أن التوتر والمشكلات هما الضريبة المصاحبة للنجاح... وتطول القائمة إلى ما لا نهاية. هناك الكثير من أنواع الضرائب في الحياة يمكنك أن تحاول مقاومتها، وقد عمل الكثير من الأمور العظيمة - التي تضعف في النهاية - من أجل تقاؤها، أو يمكنك أن تدفعها عن طيب خاطر وتستمتع بما يمكنك الاحتفاظ به.

١٦ أبريل

لاحظ السبب والنتيجة

"انتبه جيدًا خلال المحادثات لما يقال، وإلى نتائج أية أفعال. وفي أثناء الأفعال، ابحث من فورك عن الأهداف، وراء الكلمات واستمع جيدًا لدلالاتها".

– ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

عبر أعمال عالم النفس ألبرت إليس، وصلت الفلسفة اليونانية إلى الملايين من البشر من خلال ما يُطلق عليه اسم العلاج الإدراكي السلوكي. وكنوع من العلاج، يساعد العلاج الإدراكي السلوكي المرضى على تحديد الأنماط المدمرة في أفكارهم وسلوكياتهم حتى يتمكنوا، بمرور الوقت، من توجيهها والتأثير فيها بطريقة أكثر إيجابية.

لا شك في أن ماركوس أوريليوس لم يكن قد تلقى أية تدريبات رسمية في علم النفس، إلا أن كلماته تلك تحمل أهمية مماثلة لكلمات أي طبيب. إنه يطلب منك أن تصبح ملاحظًا لأفكارك ونتائجها: من أين تأتي؟ ما الانحيازات التي تحملها؟ هل هي بناءة أم هدامة؟ هل تجعلك ترتكب الأخطاء أم تجعلك تنخرط في سلوكيات قد تتدمر عليها فيما بعد؟ ابحث عن الأنماط، واعثر على مكان التقاء السبب والنتيجة.

عندما تتمكن من تحقيق هذا الأمر، يمكنك كسر الأنماط السلوكية السلبية، وحينها فقط يمكن للأشياء الجيدة في الحياة الحقيقية أن تحدث.

١٧ أبريل

لا ضرر ولا ضرار

"إذا تخليت عن رأيك بشأن كونك قد تعرضت للضرر، ستجد أن الضرر نفسه قد ابتعد عنك. لذا تخل عن اعتقادك أنك تعرضت للضرر، وسيختفي الضرر".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

كلمة تحمل الكلمة معاني متعددة. وقد يكون أحد معانيها قاسياً ومعنى آخر ربيعاً تماماً. وقد تعني الكلمة الواحدة إما إهانة قاسية أو إطراءات جيدة. والطريقة ذاتها، يمكن لكلمة تُقال على شكل دعابة أن تغير تماماً من معناها المهيمن القاسي.

قد يحمل تفسير ملاحظة أو كلمة قوة كبيرة؛ وهذا هو الفارق بين الدعابة وإيذاء المشاعر، والفارق بين احتدام الشجار أو التواصل بين شخصين. هذا هو سبب أهمية تحكمننا في نزعاتنا ووجهات نظرنا عن الأمور. وعندما نسمع أو نرى شيئاً، ما التفسيرات التي تفضي إلى ذهنك؟ ما تفسيراتك الجاهزة إهبات شخص آخر؟

إذا كان شعورك بالانزعاج أو الأذى أمراً لا تحب أن تشعر به كثيراً، فتأكد من أن تجعل تفسيراتك للكلمات الآخرين هذا الأمر ممكناً. تخير الاستنتاج الصحيح لأفعال شخص ما أو من الأحداث الخارجية، ومن المرجح جداً أن تصل إلى الرد المناسب.

١٨ أبريل

الآراء مثل...

"ما الحظ العاثر؟ إنه رأيي. ما الصراع والنزاع واللوم والالتهام والتدخل والطيش؟ إنها جميعها آراء، وأكثر من هذا، إنها آراء تقع خارج نطاق خيار اتنا العقلانية، تُقدم لنا على أنها جيدة أو سيئة. دع شخصًا ما يغير من آرائه فيما يتعلق بما يقع في نطاق خياره فقط، وأضمن لك أن هذا الشخص سيحصل على صفاء السريرة، أيًا كان ما قد يدور من حوله".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

الآراء، كل شخص يملك آراء.

فكر في جميع الآراء التي تمتلكها: بشأن إذا ما كان طقس اليوم جيدًا أم لا، وبشأن ما يعتقده المتحررون والمحافظون، وبشأن إذا ما كانت الملاحظة التي قلتها وقعت أم لا، وبشأن إذا ما كنت ناجحًا (أم لا)، وتطول القائمة. إننا ننظر دائمًا إلى العالم من حولنا ونفرض آراءنا عليه. وتتشكل آراؤنا دومًا بواسطة المعتقدات (الدينية أو الثقافية)، والحقوق والتوقعات، والجهل في بعض الأحيان.

لا عجب من أننا نشعر بالاستياء والغضب طوال الوقت، ولكن، ماذا لو تخلينا عن تلك الآراء؟ دعنا نجرب اجتثاثها (القطع أو الإقصاء) من حياتنا حتى تصبح الأمور أكثر بساطة، وألا تصبح جيدة أو سيئة، وغير مصبوغة بالآراء أو الأحكام، بل تكون كما هي.

١٩ أبريل

نطاق نزعاتنا

"يقول إبيكتيتوس إنه يجب علينا أن نكتشف فن قبول نطاق نزعاتنا وتولية انتباه خاص له - فنزعاتنا خاضعة لتحفظاتنا، وللصالح العام، وهي أهل لأن تكون ذات قيمة حقيقية".
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

إليك اقتباس الإمبراطور، أكثر الرجال سطوة في العالم، ففي يومياته تظهر فيه حكمة عبد سابق (ومن منطلق معرفتنا بأن ماركوس ربما وصلته تعاليم مباشرة من إبيكتيتوس عبر أحد تلامذته السابقين). وتتحدث تلك الحكمة من الاستسلام وخدمة الصالح العام - عن حدود سلطاتنا وأهمية تفحص نزعاتنا - الأمر الذي يحتاج كل صاحب سلطة لسماعه.

يبدو أن السلطة والعجز نادراً ما يمكنهما الدخول في المدار نفسه - ولكن، عندما يفعلان ذلك سيمكنهما تغيير العالم. فكر في الرئيس أبراهام لينكولن وهو يلتقي أو يرأس، أو يتعلم من فريدريك دوجلاس، والذي هو عبد سابق آخر يمتلك الكثير من الحكمة والبصيرة.

على أية حال، عاش جميع هؤلاء الرجال وفقاً للمبادئ المذكورة هنا: في حياتنا - سواء كنا أصحاب سلطة أو عاجزين - من الضروري أن نقسح مجالاً لما قد يحدث وأن نحافظ على الصالح العام والقيمة الحقيقية للأولويات والأمور الجوهرية. والأهم من كل هذا، أن تكون على استعداد للتعلم من كل شخص وكل شيء، بصرف النظر عن موقعك في الحياة.

٢٠ أبريل

الخير الحقيقي بسيط

"إليك طريقة للتفكير في الأمور التي يراها الجميع على أنها أشياء جيدة: إن بدأت التفكير في الأمور التي لا جدال في أنها جيدة - الحكمة والسيطرة على النفس والعدالة والشجاعة - فمع تلك المفاهيم المسبقة لن تعود قادرًا على الاستماع إلى شكاوى العامة من أن هناك الكثير من الأمور الجيدة التي لا يمكننا تجربتها في الحياة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هل من التناقض أن نقول إن هناك أمورًا يقدرها الناس (ويضغطون عليك لكي تقدرها أيضًا) ، وأن هناك أمورًا جيدة بالفعل؟ أم تتساءل عما إذا كانت الثروة والشهرة من بين تلك الأمور؟ كما لاحظ سينيكا في واحدة من مسرحياته:

"لو كانت قلوب الأثرياء منفتحة للجميع!

فما مدى مقدار الخوف على ثروتهم الكبيرة في قلوبهم؟"

طوال قرون، زعم الناس أن الثروة هي علاج ناجح لتعاستهم أو مشكلاتهم. ماذا غيرها سيعملون بجد كبير من أجله؟ ولكن، عندما يمتلك الناس الثروة والمناصب التي يتوقون إليها، يدركون أنها لم تكن ما كانوا يتمنونها. وينطبق الأمر ذاته على الكثير من الأمور التي نتمناها من دون أن نفكر فيها.

من جانب آخر، "السلعة" الذي يتحدث عنها أصحاب الفلسفة اليونانية أكثر بساطة وأكثر مباشرة: إنها الحكمة والسيطرة على الذات والعدالة والشجاعة. ولن يشعر أي شخص يحقق تلك الفضائل بالندم الذي يشعر به المشتررون.

٢١ أبريل

لا تدع انتباهك ينحرف عن مساره

"عندما تدع انتباهك ينحرف ولو قليلاً، لا تعتقد أنك ستستعيد سيطرتك عليه حينما ترغب - بل ضع في اعتبارك أنه بسبب أخطاء اليوم سيصبح كل ما يلي أسوأ بالضرورة... هل من الممكن أن تكون منزهاً عن الخطأ؟ لا، بآية حال من الأحوال، ولكن من الممكن أن تكون شخصاً يطمح دوماً لتجنب الخطأ. لذا يجب أن نسعد باننا تمكننا على الأقل من تجنب بضعة أخطاء عبر عدم السماح لانتباهنا بالانحراف عن مساره".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

القتبست وينيفريد جالاجر، في كتابها *Rapt*، كلمات ديفيد ماير، عالم الإدراك بجامعة ميتشيغان، حين قال: "لم يبتر أيشتين النظرية النسبية، ما كان يعمل على عدة مهام في مكتب براءات الاختراع السويسري"، بل يمكن من ابتكارها بعدما امتلك الوقت من أجل التركيز والدراسة. إن الانتباه مهم - وفي تلك الحقبة حيث يتعرض انتباهنا للهجوم عبر كل تطبيق جديد وموقع إلكتروني ومقال وكتاب وتغريدة ومنشور، ارتفعت قيمته بدرجة كبيرة. جزء مما قاله إيكيتوس في هذا الاقتباس هو أن الانتباه عادة، وإذا تركت انتباهك ينحرف عن مساره ويتشتت، فإن هذا سيفضي عادات سيئة ويسمح بالوقوع في الأخطاء.

لن تتمكن أبداً من إتمام مهامك إن سمحت لجميع الإلهاءات بتشتيتك. يعتبر انتباهك من بين أهم مواردك، فلا تشتته.

٢٢ أبريل

علامات المنطق العقلائي

"إليك سمات الروح العقلانية: الوعي الذاتي والفحص الذاتي والإصرار الذاتي. إن تلك الروح تجني ما تزرع... وتنجح في مساعدتها..."

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لكي تصبح عقلائيًا اليوم، عليك أن تفعل ثلاثة أمور:

أولاً، عليك أن تتظر داخلك.

بعد ذلك، عليك أن تتفحص نفسك بدقة.

وأخيراً، عليك أن تتخذ قراراتك الخاصة - من دون أي تأثير من النزعات

أو الأفكار الجماعية.

٢٣ أبريل

العقل ملكك بالكامل

"أنت مكون من ثلاثة أجزاء: جسم ونفس وعقل، وكل من الجزئين الأول والثاني، يعتبران ملكاً لك، بشرط الاعتناء بهما. أما الجزء الثالث، فهو ملكك بالكامل".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

يمكن أن يهلك الجسم بفعل المرض أو الإصابة أو العجز أو بسبب حادث ما جئ. وقد يتعرض للسجن أو التعذيب، وقد يتوقف النّفس فجأة لأن وقتنا انتهى، أو عندما يمنعه أحد عنا. وكذلك من الممكن أن تحدث صعوبة في النفس بسبب الإجهاد أو المرض أيضاً. ولكن عقولنا تظل ملكنا حتى نهاية الحياة.

ليس جزءاً الحياة الأخران هما ما يتحدث عنهما ماركوس - أجسامنا وأماسنا - فهو لا يتبرهما مهمين؛ لأنهما ليسا "ملكنا" بالكامل على النقيض من عقولنا. إنك قد لا تقضي الكثير من الوقت في إصلاح منزل استأجرته، أليس كذلك؟ إن عقولنا ملكنا - بكل حرية ووضوح. دعونا نتأكد من أننا نتعامل معه بالصورة الصحيحة.

٢٤ أبريل

الاستخدام البناء للاحتقار

"عندما يوضع اللحم أو غيره من أصناف الطعام أمامنا، سنفكر في أنه عبارة عن سمك ميت، أو طائر ميت، وأن هذا العصير نتاج عصر مجموعة من الفواكه، وأن هذا الثوب الأنيق عبارة عن صوف أغنام مصبوغ بدم المحار، أو أن التعبير عن الحميمية عبارة عن احتكاك أعضاء بيضها - وبالمثل، قد تأخذ انطباعاتنا أحياناً حقيقية وتحاول تحليلها؛ لذا، فإننا نراها على حقيقتها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هناك ممارسة فلسفية رومانية واحدة يمكن وصفها بأنها تعبيرات احتقار. ويستخدم أتباع الفلسفة اليونانية اللغة التشاؤمية كطريقة لتفسير بعض من أكثر أجزاء الحياة خيالية أو اشتواءً. ماذا عن دعاية ماركوس المتعلقة بالتعبير عن الحميمية - لِمَ قد يقول شيئاً مثل هذا؟ حسناً، إن وقفت للحظة ونظرت لها من هذا المنظور السخيف، قد لا يكون من المحتمل أن تفعل أمراً ما مخجلاً أو محرّجاً من أجل فعله. ويعتبر ما قاله مناقضاً لتلك النزعة الطبيعية التي نراها جيدة. ويمكننا تطبيق هذا النوع من التفكير على الكثير من الأمور التي يقدرها الناس. لذا فكر في تلك الصورة الجميلة التي تراها على شبكات التواصل الاجتماعي وتجعلك تشعر بالغيرة - تخيل صاحبها وهو ينشرها بعناية. ماذا عن الترقية التي تعني الكثير بالنسبة لك؟ انظر في حياة الفاجحين الآخرين المزعومين. ألا تزال تظن أنها رائعة؟ والمال الذي نرغبه بشدة ونتردد في إنفاقه - تخيل كم البكتيريا والقاذورات عليه. ماذا عن ذلك الشخص الوسيم الأنيق الذي يعجبك من بعيد؟ تذكر أنه إذا كان أعزب، فإن هناك من تركه في وقت ما، وربما كان هناك ما يعيبه.

يجب ألا يتحول هذا التمرين إلى شيء سلبي؛ لأنه سيقدم بعضاً من الموضوعية التي نحتاج إليها بشدة.

٢٥ أبريل

لا يوجد ما يعيب أن تكون مخطئاً

"إن تمكن أحد من أن يظهر لي ويقنعني بأني أفكر وأتصرف بطريقة خطأ، فساغير من أسلوبي - ولأني أبحث عن الحقيقة، التي لن تضر أحد. إن الذي يتعرض للضرر هو الشخص الذي يلتزم بالخداع والجهل".

— ماركوس أوريليوس. من كتاب *Meditations*

حاول شخص ما ذات مرة أن يجادل الفيلسوف شيشيرون عبر اقتباس ١٨مات قالها أو كتبها. قال هذا الشخص إن شيشيرون أصبح يقول الآن أشياء مفايرة لما كان يعتقده في الماضي. وكان رده: "أنا أعيش كل يوم بيومه. وإذا إن هناك امر أراه محتملاً أقوله، وبهذه الطريقة، على التقيض من الآخرين، أظل حراً".

لا يجدر بأحد أن يخجل من تغيير رأيه - هذا هو الهدف من وجود العقل. يقول إيمرسون: "الاستمرارية الحمقاء هي خادم العقول الضحلة، والتي يعشقها سفار الموظفين والفلاسفة والحكماء". لهذا السبب نبذل الكثير في سبيل تعليم أنفسنا الحكمة. وقد يكون من المخزي ألا ينتهي بنا المطاف وقد اكتشفنا أننا كنا مخطئين في الماضي.

تذكر: أنت حر. وعندما يوضح شخص ما عيباً في معتقداتك أو أفعالك، فإنه بذلك لا ينتقدك، بل إنه يعرض لك بديلاً أفضل، فتقبله.

٢٦ أبريل

أمور تحدث خلال التدريب

"عندما يجرحك زميلك في التدريب، فإنك لن تعطي الأمر أكثر مما يستحق أو تنظر له بشك أو تعتقد أن تلك مؤامرة حاكها ضدك، ولكنك ستحذر منه، ليس كعدو بل من أجل تجنب ضرباته الصمقاء. ويمكنك أن تتعامل بالطريقة ذاتها مع جميع جوانب حياتك. علينا أن نتجاهل الكثير من الأمور مع زملائنا في التدريب. لذا، كما قلت، يمكنك تفاديهم من دون شكوك أو كراهية".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

عبر النظر لكل يوم وكل موقف كنوع من التدريب، تقل جميع الاحتمالات فجأة. والطريقة التي تفسر بها أخطاءك وأخطاء الآخرين تصبح فجأة أكثر تسامحًا، ولا شك في أن هذا سيكون توجهاً أكثر مرونة من التصرف وكان احتمالات كل مواجهة ستعرض الأمر بأكمله للخطر.

عندما تتمكن من صد ضربة بالمرفق أو ضربة غير قانونية اليوم، تجاهل ألمك وذكر نفسك: أنا ما زلت أتعلم، وشريكي في التدريب لا يزال يتعلم أيضًا. إنه تدريب بالنسبة لكلينا - هذا كل شيء. لقد تعلمت المزيد عنه، ومن رد فعلي سيتعلم هو المزيد أيضًا عني.

٢٧ أبريل

حول الأمر من الداخل للخارج

"أقلب الأمر من الداخل إلى الخارج، وانظر كيف سيبدو على حقيقته - كيف ستبدو الحياة عندما تراها على حقيقتها القديمة والمريضة والمهينة؟ كم هي قصيرة أعمار من يمتدحهم الناس مثلما هي قصيرة أعمار هؤلاء المادحين... كم هي قصيرة أعمار من يندكرهم الناس مثلما هي قصيرة أعمار هؤلاء المتذكرين؟ بل إن من يتم حفظ سيرتهم في مكان ما من هذه الأرض قد لا يتذكرهم كل الناس، وقد يتذكرهم كل شخص بطريقة مختلفة. عندما ترى ذلك جيداً، ستبدو لك الحياة كلها أشبه بنقطة في بحر."

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

تدور الفلسفة اليونانية حول النظر إلى الأمور من جميع الزوايا - ومن السهل اراك بمض المواقف من مختلف وجهات النظر. في المواقف التي من المحتمل أن تكون سلبية، سيكون الهدف، حتى ولو كان سطحيًا، مهمًا جدًا. قد يساعدنا ذلك المنظور على رؤية الأمور بوضوح من دون التعمق أكثر فيما قد تمثله أو ما سببها. وهي مواقف أخرى، خاصة تلك المواقف التي تتضمن أمرًا مذهبًا أو يستحق الذكر، ستكون التعبيرات النقدية مفيدة. وعبر تفحص المواقف من الداخل للخارج، لن يمكننا أن تؤثر فيها كثيرًا، ومن غير المرجح أن نخرجنا من مسارنا.

تعمق أكثر في خوفك من الموت أو الغموض، فماذا ستجد؟ إذا فحصت بعض المراسم الأنيقة من الداخل للخارج، فماذا ستجد؟

٢٨ أبريل

الترغبات تجعلك خادماً

"تانتالوس: القوة الأسمى هي..."

تستيس: اللاقوة، عندما لا ترغب في أي شيء."

— سينيكا، من كتاب *Thyestes*

هي عالمنا المعاصر، أصبح التعامل مع الطفليان أكثر طواعية مما كان في العصور العتيقة. فقد أصبحنا نخضع لرؤسائنا المسيطرين رغم أننا قادرون على العثور على وظائف أخرى إن رغبتنا في ذلك. لِمَ أصبحنا نغير أسلوب ارتدائنا للملابس أو نعزف عن قول ما نرغب في قوله؟ لأننا نرغب في التواؤم مع مجموعة رائعة من البشر. لِمَ نخضع للنقاد أو العملاء القاسين؟ لأننا نرغب في قبولهم. وفي تلك الحالات، تتبع سطوة أولئك الأشخاص علينا من خلال رغباتنا. غير من هذا، وستصبح حرّاً.

كان مصور الموضة الراحل بيل كاتينجهام يرفض في بعض الأحيان أن يرسل فواتير عمله إلى المجلات، وعندما سأله أحد المصورين المبتدئين عن السبب، كان رد كاتينجهام ملحمياً: "إن لم تتقاض منهم المال، فلن يمكنهم أن يملوا عليك ما عليك فعله يا بني".

تذكر: أخذ المال، الرغبة في المال - مجازياً أو حرفياً - يجعلك خادماً لمن يملكونه. أما اللامبالاة بالمال، كما يقول سينيكا، فتحول تلك السلطة الكبيرة إلى لاسلطة، طالما كانت حياتك تهتمك على أقل تقدير.

٢٩ أبريل

أزل التراب عن حياتك

"راقب النجوم في مداراتها وتخيل نفسك تجري إلى جوارها. فكر بصورة متواصلة في هير العناصر بعضها إلى الآخر، حيث إن تلك الأفكار تزيل التراب عن الحياة الدنيا".
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

من المستحيل تقريباً أن تنظر إلى النجوم ولا تشعر بأي شيء. وكما وضع عالم
الأممك نيل ديجراس، يملؤنا الكون بمشاعر معقدة. فمن جانب، نشعر بالضآلة
اللاهائية مقارنة بالكون الشاسع، ومن جانب آخر، نشعر بتواصل كبير مع كيان
الهدى منا.

من الجلي، من منطلق حقيقة أننا نعيش في أجسامنا كل يوم، أنه قد تُعزى
الهدىكبير في أن هذا هو الأمر الأهم في العالم. ولكننا ندحض هذه النزعة عبر
الهدى إلى الطبيعة - إلى أمور كيانات أكبر منا. هناك كلمات كتبها سينيكا،
حاولت بعد ذلك إلى حكم، تعبر عن رؤية ماركوس بشكل رائع: "العالم في حد
الهدى دار عبادة كبيرة".

إن النظر إلى السماء الجميلة الشاسعة يعتبر مضاداً للشعور المزعج
الهدى حواف الدنيوية. ومن الجيد أن تتترك نفسك للاستغراق بالكامل في هذا
الهدى، كلما أمكنك ذلك.

٣٠ أبريل

ماذا عن مواكبة شخصيتك؟

"مثلما تختلف الأمور العقلانية وغير العقلانية من شخص لآخر، يختلف أيضًا الخير والشر والنفع والضرر من شخص لآخر. لهذا السبب نحتاج إلى التعليم حتى تتمكن من تعلم كيفية تعديل أفكارنا عن الأمور العقلانية واللاعقلانية بما يتواءم مع الطبيعة. وغير تحديد تلك الأمور، فإننا لا نعتمد على تقديرنا لقيمة الأمور الخارجية فحسب، بل نطبق أيضًا قاعدة مواكبة شخصياتنا."

— إيكيتيوس، من كتاب *Discourses*

من السهل أن تنجرف وراء آرائنا عن الأمور، ويشبه الأمر أن نلتزم بنصوص غير مرئية - أن نتبع التعليمات أو الأنماط التي لا نفهمها. وكلما زادت تساؤلاتك عن تلك النصوص وكلما زدت من إخضاعها لاختبارات تعلمك، كنت أنت بوصلة نفسك، وامتلكت فئات وأفكارًا تخصك وحدك لا أحد آخر.

تعتبر الشخصية دفاعًا قويًا من قبلك في عالم يمكن للعب فيه أن يضللك ويشتريك ويغريك ويغيرك. فإذا كنت تعلم ما عليك أن تعتقده ولم تعتقده، سيمكنك أن تتجنب العلاقات الضارة والوظائف السيئة والأصدقاء غير الأوفياء، وعددًا كبيرًا من الأمراض التي تصيب الناس الذين لم يحاولوا التفكير في أعرق مخاوفهم - هذا ما عليك تعلمه، ولهذا السبب قمت بهذا العمل.

الجزء ٢

نظام الإقدام
على الأفعال

مايو

الأفعال المناسبة

١ مايو

اجعل شخصيتك أفضل تعبير عن نفسك

"لا تتواجد الفلسفة من أجل العرض على الآخرين، بل من أجل الانتباه لما نحتاج إليه ومراعاته".

— موسونيوس روفوس، من كتاب *Lectures*

بيرتدي رجل الدين ثوبه ويضع يافته، ويرتدي المصرفي بزته باهظة الثمن ويحمل حقيبة أوراقه، أما معتنق الفلسفة اليونانية فليس لديه زي موحد ولا يمثل أرباب قوالب متكررة. ولا يمكنك أن تحدد من مظهره أو شكله أو صوته. ما الطريقة الوحيدة لتحديد أصحاب الفلسفة اليونانية؟ عن طريق شخصياتهم.

٢ مايو

كن الشخص الذي تريد أن تكون عليه

"أخبر نفسك أولاً بنوعية الشخص الذي تريد أن تصبح عليه، ثم افعل ما عليك فعله لتحقيق ما تصبو إليه. لا يتغير الأمر في جميع الحالات التي شهدناها تقريباً؛ حيث يختار الرياضيون أولاً الرياضة التي يرغبون في مزاولتها، ومن ثم يبدأون بالتدريب عليها".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

من غير المرجح أن يصيب رامي السهام هدفاً لم يصوب نحوه. وينطبق الأمر ذاته عليك، أيًا كان هدفك. ومن المؤكد أنك لن تصيب هدفك إن لم تكلف نفسك عناء شد القوس وإطلاق السهم. ويرشدنا إدراكنا ومبادئنا نحو اختيار ما نريد - ولكن، في نهاية المطاف، أفعالنا وحدها هي التي تحدد إذا ما كنا سنتمكن من تحقيق ما نريد أم لا.

لذا، نعم، اقض بعض الوقت - وقتاً حقيقياً من دون مقاطعات - في التفكير في الأمور التي تهلك وفي أولوياتك. بعد ذلك، *اعمل* في هذا الاتجاه وتجاهل جميع الاتجاهات الأخرى - لن يكفي الأمل والتمني، فعلى المرء أن يفعل وأن يقدم على الفعل الصحيح.

٣ مايو

اعرض، ولا تقل ما تعرف

"أن من يتلقون النظريات الفورية يميلون إلى لفظها، مثلما تلفظ المعدة المعتلة الطعام. عليك أولاً أن تهضم نظرياتك جيداً، وبذلك لن تلفظها. وإلا ستكون نظريات نية وفاسدة ولا تسمن أو تغني من جوع. وبعد أن تهضمها جيداً، أظهر التغييرات في خياراتك العقلانية. مثلما تظهر عضلات الرياضيين تغذيتهم الجيدة وتمارينهم المكثفة، ومثلما تظهر أعمال الفنان ما تعلمه."

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

من السهل تذكر الكثير من الأقوال المأثورة لأتباع الفلسفة اليونانية، فهي تجعل من يقتبسها يبدو ذكياً. ولكن، ليس هذا ما تدور حوله تلك الفلسفة، فالهدف هو تحويل تلك الكلمات إلى أفعال. كما قال موسونيوس روفوس، يظهر تفسير الفلسفة عندما "يتمكن المرء من الجمع بين التعلم الجيد والفعل الجيد".

واليوم، أوفي أي وقت آخر، عندما تجد أنك ترغب في التنازل عن بعض المعرفة التي تمتلكها، تمسك بها واسأل نفسك: هل سيكون من الأفضل بالنسبة لي أن أتقوه بالكلمات أم أن أدع أفعالي وخياراتي تعبر عن المعرفة التي أمتلكها؟

٤ مايو

ما الأمور المذهلة للغاية

"ليس من الأفضل أن تشتهر بين الكثيرين بأنك تعيش حياة جيدة بدلاً من أنك تعيش حياة مترفة جداً؟ ليس من الأفضل أن تنفق المال على الناس بدلاً من إنفاقه على الخشب والحجارة؟"

— موسونيوس روفوس، من كتاب *Lectures*

فكر في كل ما تعرفه عن حياة الأثرياء والمشاهير، حيث يشترون الكثير من الأشياء في منازلهم مقابل الملايين، والكثير من الرحلات إلى مصففي الشعر، وامتلاكهم النمرور والفيلة كحيوانات أليفة.

كانت الشائعات والسمعة السيئة نفسها منتشرة في روما القديمة. وكان هناك جزء من أفراد الشعب اليوناني معروفين بأنهم يتفوقون الآلاف من أموالهم على برك السباحة الرائعة، وكان البعض الآخر يشتهر بالحفلات الماجنة والولائم الكبيرة. وقد حملت أعمال الشعراء الرومان، على غرار جوفينال ومارسيال، الكثير عن تلك الأنواع من البشر.

كان الأثرياء يجنون الكثير من المال، ثم يحصلون في النهاية على ما يريدون من خلال إنفاق هذا المال: سمعة جيدة. ولكن يالها من سمعة فارغة! فما هو المذهل في أن تظل تنفق وتنفق وتنفق؟ فإذا كنت تمتلك المال الكافي، فمن الذي لن ينفق المال كما يحلوه؟

تمتع ماركوس أوريليوس بالثروة الكافية لبيع بعض أثاث القصر الإمبراطوري ليمسد ديون الحرب. وفي زمن قريب، تبرع خوسيه موخيكا، رئيس الأوروغواي السابق، بنسبة ٩٠٪ من راتبه كرئيس لأعمال الخير وظل يقود سيارته التي يعود تاريخ صناعتها إلى ٢٥ سنة مضت. من قد يفعل أمورًا مثل تلك؟ ليس الجميع. لذا! من الأكثر إبهامًا؟

٥ مايو

أنت المشروع

"المادة الخام للإنسان الخير المتميز هو منطقته الذي يرشده، إنه جسد الطبيب والرياضي، والمزرعة التي يعمل فيها الفلاح".

-- إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

لا ينبغي للمحترفين أن يبرروا قضاء الكثير من أوقاتهم في التدريب على أعمالهم أو ممارستها، إنه عملهم، والتدريب هو ما سيجعلهم يبرعون فيه. ويختلف المادة الخام باختلاف المهنة، مثلما تختلف الأماكن والأوقات باختلاف الشخص والمهنة. إلا أن الشيء الذي لا يتغير هو العمل على تلك المواد الخام والتحسين التدريجي في العمل والكفاءة.

طبقًا لأتباع الفلسفة اليونانية، يعتبر عقلك هو الشيء الثمين الذي يجب أن تعمل عليه بشدة، وتفهمه جيدًا.

٦ مايو

الاستقامة أم ررائع

"ما الذي يجعل الإنسان جميلاً؟ هل هو وجود التميز؟ صديقي الشاب، إذا كنت ترغب في أن تكون جميلاً، فاعمل بجد من أجل التميز. ماذا يكون هذا التميز البشري؟ لاحظ أولئك الذين تحترمهم من دون إحفاف. هل هو العدل أم الجور؟ إنه العدل. هل هو التوازن أم عدم الانضباط؟ إنه التوازن. هل هو من يسيطر على نفسه أم من لا يسيطر على نفسه؟ المسيطر على نفسه. عبر تحويل نفسك إلى هذا النوع من البشر، ستصبح جميلاً - ولكن، إذا تجاهلت تلك الصفات، فستصبح قبيحاً، حتى إن استخدمت جميع الحيل التي تعرفها لكي تبدو رائعاً".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

تعتبر الأفكار المعاصرة عن الجمال شديدة السخافة. وقد أصبحت معاييرنا الخاصة بالجاذبية بعيدة كل البعد عن الأفكار الموجودة في الفلسفة اليونانية، وأصبحنا نُطري ونمجد الأمور التي لا يد لأحد في امتلاكها - مثل الوجنتين الجميلتين، ولون البشرة وطول القامة والأعين الثاقبة.

هل الجمال الحقيقي هو الصفات الجينية، أم يجب أن يعتمد الجمال على الخيارات والأفعال والصفات التي نطورها؟ رباطة الجأش والحس بالعدالة والالتزام بالواجب. إنها صفات جميلة - وأكثر عمقاً من جمال الشكل.

واليوم، يمكنك أن تختار أن تعيش من دون إحفاف، أن تتصرف دون إصدار أحكام، وأن تحافظ على رباطة جأشك، وأن تسيطر على نفسك - حتى عندما يعني هذا إنكار الذات والتضحية. إن لم يكن هذا هو الجمال، فما الجمال إذن؟

٧ مايو

كيف تقضي يومًا سعيدًا

"لقد وضع الله قانونًا على الأرض: إذا كنت تريد الخير، فابدأ بنفسك".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

إليك ما يضمن لك أن تقضي يومًا جيدًا: افعل الخير.

إن جميع الطرق الأخرى للسمادة خارجة عن إرادتك أو لا يمكن تجديدها، إلا أن هذه الطريقة ملكك طوال الوقت ولا تنتهي. إنها النوع المطلق من الاعتماد على الذات.

٨ مايو

الخير والشر؟ انظر إلى خياراتك

"أين يوجد الخير؟ في خياراتنا العقلانية. وأين يوجد الشر؟ في خياراتنا العقلانية. أين توجد الأمور التي لا تتصف بالخير ولا بالشر؟ الأمور الخارجة عن نطاق خياراتنا العقلانية".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

اليوم، عندما تقع الأمور وتجد نفسك تتساءل عما تعنيه - وعندما تجد نفسك تتأمل القرارات المختلفة، تذكر: تتبع الأمور الجيدة لفعلها دومًا من خياراتنا العقلانية. لا يتعلق الأمر بإذا ما كان هناك شيء تحصل عليه كمكافأة، أو إذا ما كان سينجح، بل إذا ما كان الخيار الصحيح. تساعدنا مقولة إيكيتوس على التحرر من جميع تلك الأمور بوضوح وثقة. هل هذا الأمر خير أم شر؟ هل هو صحيح أم خطأ؟ تجاهل كل شيء آخر، وركز فقط على خياراتك.

٩ مايو

عش يومك

"دعونا إذن ننتقل بصدق، متحيين جانبًا الكثير من الملهيات وأن نبذل قصارى جهدنا من أجل هدف وحيد، قبل أن ندرك في وقت متأخر أن الزمن يمضي بسرعة ولا يمكن إيقافه ونصبح متأخرين عن الركب. كما أنه مع بزوغ فجر كل يوم، يجب أن تستقبله كما لو كان أفضل يوم على الإطلاق، واجعله ملكك. كما أنه علينا أن نحاول الإمساك بما قد يفر من بين أيدينا.."

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

ستسبح لك فرصة واحدة كل يوم، وستكون أمامك ٢٤ ساعة لتفغنمها، ومن أم ستمضي وتختفي إلى الأبد. هل ستميش يومك بكل ما فيه؟ هل ستقول: "لقد همت الأمر"، وتبذل أقصى ما في وسعك لتكون أفضل ما يمكن أن تكون عليه؟ ما الذي ستتمكن من الاستفادة منه اليوم قبل أن ينسل من بين أصابعك ويصبح من الماضي؟ عندما يسألك شخص ما عما فعلته بالأمس، هل ترغب في أن تكون إجابتك هي: "لا شيء"؟

١٠ مايو

لا تكن مُلهَمًا، بل كن مُلهَمًا

"دعونا نقدم أيضًا على بعض الأفعال التابعة من داخلنا - وننضم إلى مصاف الأشخاص الأكثر تميزًا".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

كان من الشائع عن الإغريق والرومان، مثلما هو الآن، أن يحاول السياسيون السيطرة على الجماهير. وقد يقولون عبارات إطراء على تلك الجماهير، أو على الدولة، أو التحدث عن الانتصارات العسكرية الماضية. كم من المرات سمعت مرشحًا سياسيًا يقول: "هذه هي أعظم دولة في تاريخ العالم؟". كما قال الخطيب ديموثينيس: "سنجلس طواعية لساعات من أجل سماع خطيب يقف أمام معلم شهير أو حكيم ليمدح أسلافنا ويصف أعمالهم البطولية ويمجد إنجازاتهم".

ولكن، ما الذي قد تحققه تلك المداينة؟ لا شيء. والأسوأ من ذلك أن الإعجاب بتلك الإطراءات البراقة يلهينا عن أغراضهم الحقيقية. وكما يوضح "ديموثينيس"، يعتبر ذلك خيانة لأسلافنا الذين ألهمونا. ثم اختتم خطابه إلى شعب أثينا بكلمات اقتبسها سينيكا بعد ذلك وظلت باقية لقرون تالية، حيث قال: "أعلم أن أسلافك قد تمكنوا من اقتناص تلك الغنائم، ولا يعني هذا أنه يجدر بك أن تنظر لها بإعجاب، بل أن تحاكي مناقب الرجال الذين حققوها". وينطبق الأمر ذاته على الاقتباسات في هذا الكتاب، وكذلك على الكلمات الملهمة التي قد تسمعها في أي مكان آخر - فلا تعجب بها فحسب، بل استخدمها، واجعلها مرشدك في الحياة.

١١ مايو

الشعور بالذنب أسوأ من السجن

"أعظم شيء يؤدي إلى راحة البال هو ألا تفعل شيئاً خطأ؛ حيث إن أولئك الذين لا يمكنهم السيطرة على أنفسهم يعيشون حياة مضللة ومضطربة".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

فكر في الهاريين الذين يسلمون أنفسهم للسلطات بعد أعوام من الهرب، لم قد يفعلون ذلك؟ لقد كانوا أحراراً، وسبقون سلطات إنفاذ القانون بخطوة دائماً، ولكنهم استسلموا؛ لأن الشعور بالذنب وضغوط حياة الهرب تصبح في النهاية أسوأ من فكرة فقدان الحرية - هي واقع الأمر، تعتبر هذه الحياة نوعاً مختلفاً من السجن.

كما أن هذا الأمر يشبه لحد كبير وقت اعترافك عندما كنت طفلاً بكذبة كذبتها على والديك اللذين لم يشكوا للحظة في أنك قد تكذب؛ وهذا هو السبب في اعتراف أحد الزوجين طواعية بخداع الآخر - حتى وإن لم يكن أحد الزوجين يعلم شيئاً عن هذا الشعور. وقد يصيح الزوج الذي تعرض للخداع: "لم تخبرني بهذا؟"، ثم يخرج من الباب، فيقول الآخر: "لأن الأمور كانت تسير على خير ما يرام، ولم يمكنني تحمل المزيد من هذا الشعور".

هناك عواقب وخيمة لارتكاب الأخطاء، ليس على المجتمع فحسب، بل على مرتكبي الأخطاء أيضاً. انظر إلى حياة غالبية الأشخاص الذين يتجاهلون الأخلاق والانضباط، والفوضى والتعاسة التي يعيشون فيها - عادة ما يكون هذا العقاب أسوأ من العقاب الذي يفرضه المجتمع عليهم.

لهذا السبب، يعترف الكثيرون من المجرمين بجرائمهم أو يستسلمون طواعية. إنهم لا يلتزمون بهذا الأمر دائماً، ولكن خلال أسوأ اللحظات، يدركون أخيراً: تلك ليست بالطريقة الجيدة للحياة. إنهم يرغبون في راحة البال المصاحبة لفعل الأمور الصحيحة. وأنت أيضاً ترغب في ذلك!

١٢ مايو

التعاطف دائماً ما يكون الرد الصحيح

"التعاطف لا يمكن التشكك فيه، ولكن فقط عندما يكون صادقاً، من دون أي نفاق أو تزييف. ما الذي قد يفعله أكثر الناس شراً إن واصلت إظهار التعاطف لو إن وانتك الفرصة ووضحت له الأخطاء التي ارتكبها - في اللحظة نفسها التي يحاول أن يلحق الضرر بك؟".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

ماذا لو، عند معاملتك بخبث في المرة القادمة، لم تمتنع فحسب عن الرد ماذا لو كان ردك التعاطف اللامحدود؟ لو تمكنت من أن "تحب أعدائك وأن تقابل الإساءة بالإحسان"؟ ما التأثير الذي تعتقد أنه سيطلق على الوضع؟ تقول كتب الحكمة إنه عندما يمكنك أن تفعل أمراً جيداً ومراعياً لعدو لدود، فسيشبه الأمر أن "تضع كومة من الفحم المحترق على رأسه". إن ردة الفعل المتوقعة على الكراهية هي المزيد من الكراهية؛ فعندما يواجه لك شخص ما كلمات مهينة أو بذيئة اليوم، فسيتوقع منك أن ترد بالمثل - وليس بتعاطف. وعندما لا يحدث هذا، سيشعر بالخزي، وسيصبح الأمر كالصدمة بالنسبة له. وسيجعلك ويجعله شخصاً أفضل.

إن الوقاحة واللؤم والقسوة ما هي إلا قناع لنقاط ضعف دفيئة. ولن يكون التعاطف في مثل هذه المواقف ممكناً إلا لمن يملكون القوة الأكبر. إنك تمتلك القوة، فاستخدمها.

١٢ مايو

تأجيل نار العادات

"تؤكد كل عادة وقدرة وتتطور بواسطة الأفعال المماثلة لها، السير بالسير، والعدو بالعدو... لذلك إذا كنت ترغب في فعل أمر ما فاجعله عادة، أو إذا لم ترغب في فعل أمر ما، فلا تجعله عادة، واجعل أمرًا آخر بدلًا منه عادة. وينطبق الأمر ذاته على حالتنا الذهنية. وعندما تغضب، فإنك لم تجرب هذا الشر فحسب، بل نميت أيضًا عادة سيئة، وأضفت الحطب إلى النار".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

يقول أرسطو: "إننا نمارس التميز بصورة متكررة؛ لذا فإنه ليس فعلًا، بل عادة". يضيف الفلاسفة الرومانيون إلى تلك الكلمات: أننا نتاج أفكارنا (وكذلك أفكارك المعتادة، وكذلك شخصيتك الذهنية، كما قال ماركوس أوريليوس). فكر في الأنشطة التي قمت بها الأسبوع الماضي، وكذلك الأنشطة التي مخطت لها لليوم والأسبوع القادم. بالنسبة للشخص الذي ترغب في أن تكونه، أو الشخص الذي ترى نفسك عليه - ما مدى التشابه بين أفعالك وأفعاله؟ ما النار التي تؤججها؟ ما الشخص الذي تتحول لتصبح عليه؟

١٤ مايو

تكنن رفاهتنا في أفعالنا

"يربط أولئك المهوسون بالمجد رفاهيتهم برفاهية الآخرين، وأولئك الذين يحبون المتعة يربطونها بالمشاعر، أما الذين يملكون الإدراك الصحيح، فهم يبحثون عن تلك الأمور في أفعالهم... لذا فكر في شخصية هؤلاء الذين ترغب في إسعادهم، والممتلكات التي ترغب في امتلاكها، والوسائل التي توظفها لتحقيق تلك الغايات. ما مدى سرعة محو الزمان لتلك الأمور، وما الذي يمكنك أن تمحو منها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

إذا اعتمدت سعادتك على تحقيق أهداف بعينها، فماذا قد يحدث إن تغير مسار الأحداث؟ ماذا سيحدث إن تعرضت للإهانة؟ أو قاطعتك الأحداث الخارجية؟ ماذا لو تمكنت من تحقيق كل ما تصبو إليه، ولكنك لم تر أن أحدًا قد انبهر بما تفعله؟ هنا تكمن مشكلة أن تدع سعادتك تتحدد بأمر خارجة عن إرادتك، إنها مخاطرة جنونية.

إذا ركز ممثل ما على تقبل الجمهور لأعماله - فسواء أحبه النقاد أو تقبله الجمهور بالورود والرياحين، سيظل دومًا يشعر بخيبة الأمل والحزن. ولكن، إن كان يحب *أداءه* - وبذل قصارى جهده لجعله أفضل ما يمكن - فسيشعر دومًا بالرضا عن عمله. وكما هي الحال تمامًا، يجدر بنا أن نستمد متعتنا من أفعالنا - عبر الإقدام على الأفعال الصحيحة - بدلًا من أن تكون ناتجة عن أفعال الآخرين.

يجب ألا يكون طموحنا أن نفوز فحسب، بل أن نلعب بكل طاقتنا. وألا يكون هدفنا أن نحصل على الشكر أو التقدير، بل تقديم المساعدة وفعل ما نراه صائبًا. كذلك يجب ألا ينصب تركيزنا على ما قد يحدث لنا، بل على استجابتنا. ومن خلال التصرف بهذه الطريقة، سنعثر دومًا على السعادة والمرونة.

١٥ مايو

عدد نعمك

"لا تركز تفكيرك على الأمور التي لا تملكها ممتنًا أن لو كانت ملكك، بل ركز على عدد
الأمور التي تمتلكها بالفعل وفكر في مدى رغبتك فيها إن لم تكن ملكك. ولكن، احذر! فلا
تقدر تلك الأمور لدرجة أن تضطرب حياتك إن فقدتها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لشتهي دومًا ما يملكه الآخرون، ونبذل أقصى ما في وسعنا لكي نواكب
الجميع، في حين يحاول الجميع أن يواكبونا.
إن الأمر كان سيصبح مضحكًا لو لم يكن شيئًا لتلك الدرجة. لذا، اليوم،
وهنا، فاعلم عن محاولة امتلاك ما يملكه الآخرون، وقاوم الرغبة الملحة للجمع
والانكديس، فإنها ليست الطريقة الصحيحة للعيش والتصرف. قدر ما تملكه
واسأله جيدًا، ودع هذا التوجه يقد أفعالك.

١٦ مايو

أسلوب السلسلة

"إذا لم تكن ترغب في أن تكون سريع الغضب، فلا تغدُ تلك العادة، بل حاول، كخطوة أولى، أن تظل هادئًا، واحسب عدد الأيام التي لم تغضب فيها إذا كنت معتادًا أن تستشيط غضبًا كل يوم، والآن، يومًا بعد يوم، وفي المستقبل مرة كل ثلاثة أو أربعة أيام... وإن تمكنت من جعلها مرة كل ٢٠ يومًا، فاحمد الله على ذلك. إن العادة تضعف في البداية ومن ثم تختفي. وعندما يمكنك أن تقول: لم أفقد أعصابي اليوم، أو الغد، أو طوال ثلاثة أو أربعة أشهر، وتمكنت من الحفاظ على هدوئي، فستدرك أن صحتك أصبحت أفضل."

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

ذات مرة، أسدى الممثل الكوميدي جيرى ساينفيلد نصيحة لكوميدي شاب يدعى براد إيزاك تتعلق بكيفية كتابة النصوص الكوميديّة وإنشائها. قال له: احتفظ بدفتر يوميّات، وفي كل يوم عندما تكتب دعايات، ضع علامة عليها. وسرعان ما ستحصل على تسلسل مستمر - ومن ثم ستصبح مهتمك هي ألا تكسر هذا التسلسل. فالنجاح يتحول إلى زخم، وبمجرد أن تحقق بعض النجاح، سيصبح من السهل أن تستمر في تحقيقه.

وفي حين استخدم ساينفيلد أسلوب التسلسل من أجل إنشاء عادة إيجابية، كان إيكيتوس يقول إنه يمكن استخدامه أيضًا لمحو العادات السلبية. ولا يختلف هذا الأمر كثيرًا عن الامتناع عن شيء ما "كل يوم على حدة". ابدأ بيوم واحد لفعل أي شيء ترغب فيه، سواء كان هذا السيطرة على غضبك أو تركيز انتباهك أو التوقف عن التسويف. ثم افعل المثل في اليوم التالي واليوم الذي يليه. أنشئ تسلسلاً واعمل على ألا ينكسر، ولا تقطع سلسلة انتصاراتك.

١٧ مايو

الفلسفة اليونانية عبارة عن عمل قيد التنفيذ

"أشتر إلى شخص مريض وسعيد، معرض للخطر وسعيد، يحتضر وسعيد، منفي وسعيد، موصوم بالعار وسعيد. أشتر إليه! كم أود أن أرى شخصًا يؤمن بالفلسفة اليونانية. ولكن؛ لأنك لا تستطيع أن تشير إلى شخص كامل الصفات، أشتر على الأقل إلى شخص يحاول بشدة أن يبدو كذلك، أو يميل لأن يصبح كذلك... أشتر إليه!"

— إبيكتيوس، من كتاب *Discourses*

بداً من رؤية الفلسفة على أنها غاية يطمح المرء في الوصول إليها، انظر إليها على أنها أمر يطبقه المرء... ليس دائماً، ولكن على مدار حياته - مع امراز تقدم تدريجي على طول الطريق، عبر التنفيذ المتواصل، وليس عبر النضال الذي لا شكل له.

كان إبيكتيوس يحب أن يزعزع ثقة طلابه برضاهم الراسخ عن تقدمهم، أن يرغب في أن يذكرهم - وأنت كذلك في اللحظة الحالية - بالعمل المتواصل والتدريب الشاق الذي يحتاجون إليه كل يوم إذا أرادوا أن يصلوا إلى ذلك الشكل الكامل.

من المهم بالنسبة لنا أن نتذكر في رحلة التحسين الذاتي: أن المرء لن يصل أبداً إلى وجهته النهائية، فالحكيم المثالي - الذي ينتمي للفلسفة اليونانية والذي يتصرف بطريقة مثالية في جميع المواقف - هو القدوة وليس الغاية.

١٨ مايو

طريقة فعلك لأي شيء هي طريقة فعلك لكل شيء

"انتبه لما يوجد أمام عينيك - المبدأ أو المهمة أو ما تتخيله".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

من الرائع أن تفكر في المستقبل، ومن السهل أن تُجتر ذكريات الماضي، ولكن من الأصعب أن نستثمر تلك الطاقة من أجل التركيز على ما بين أيدينا في تلك اللحظة - خاصة إذا كان أمرًا لا نرغب في فعله. قد نفكر: إنها مجرد وظيفة، ولا تعبر عني. إنها ليست مهمة، ولكنها مهمة. ومن يدري - ربما كانت العمل الأخير الذي تؤديه في حياتك. ها هو فلان "الموظف المجتهد" قد دُفن تحت جبل من المهام غير المنتهية.

هناك مقولة قديمة مفادها: "طريقة فعلك لأي شيء هي طريقة فعلك لكل شيء"، وهي صحيحة تمامًا. إن طريقة تعاملك مع اليوم هي طريقة تعاملك مع كل يوم. وطريقة تعاملك مع اللحظة الحالية هي طريقة تعاملك مع كل لحظة من حياتك.

١٩ مايو

تعلم، مارس، تدرب

"لهذا السبب يحذرنا الفلاسفة من الرضا عن التعلم البحت، ووجوب أن نضيف الممارسة ثم التدريب؛ لأننا بمرور الزمان ننسى ما تعلمناه وينتهي بنا المطاف بفعل النقيض تمامًا، وامتلاك آراء معاكسة لما كنا نمتلكها من قبل".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

قصة قليلة من الناس فقط هم من يشاهدون مقطع فيديو إرشادي أو يسمعون أمرًا يُشرح أمامهم ثم يدركون - ومن المرة الأولى - كيف يفعلونه بإتقان. يضطر، البيتنا إلى فعل أمر ما عدة مرات لكي يتعلموا جيدًا. ومن بين السمات المميزة الممنون القتالية والتدريبات العسكرية والتدريبات الرياضية من أي نوع قضاء ساعات طوال في التدريبات المتكررة. وقد يقضي الرياضيون ذور المستويات العالية سنوات من التدريب لكي يتمكنوا من أداء حركات لا تتدوم إلا لبضع ثوان فقط - أو أقل مثل: خطوة اللعب القصيرة في المباريات، أو كيف تتخلص من شخص يحاول أن يخنقك من الخلف، أو القفزات المثالية. إن المعرفة وحدها لا تكفي، حيث يجب أن يستوعب الجسم والمضلات تلك المعرفة أيضًا حتى تصبح جزءًا منا، وإلا خاطرنا بفقدانها في لحظة شعورنا بالتوتر أو الصعوبات.

وينطبق الأمر ذاته على المبادئ الفلسفية أيضًا؛ فلن يمكنك أن تسمع بضع كلمات لمرة واحدة ومن ثم تتوقع أنه يمكنك أن تعتمد عليها عندما ينهار العالم من حولك. تذكر، لم يكن ماركوس أوريليوس يكتب خواطره من أجل الآخرين، بل كان يكتبها من أجل نفسه. ورغم كونه رجلًا ناجحًا وحكيماً ومتمرسًا، ظل حتى الأيام الأخيرة من حياته يدرب نفسه على فعل الصواب. ومثل لاعب الفنون القتالية الحاصل على الحزام الأسود، ظل يتدرب كل يوم من حياته، ومثل الرياضي المحترف، ظل يدرب نفسه كل أسبوع - رغم اعتقاد الآخرين أن هذا ليس ضروريًا.

٢٠ مايو

الكيف يفوق الكم

"ما الفائدة من امتلاك عدد لا نهائي من الكتب والمكتبات التي لن يمكنك أن تنهيتها جميعها خلال حياتك. إن المتعلم لا يتعلم، بل يُحمل بأعباء كثرة الكتب، ومن الأفضل غرس بذور عدد محدود من الكتاب بدلاً من نثر بذور الكثير منهم".

— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

لا توجد جائزة قد تحصل عليها إن قرأت معظم الكتب المنشورة في العالم قبل أن تموت. وحتى إن كنت أكثر القراء إخلاصًا في العالم – وإن كنت تقرأ كتابًا كاملاً كل يوم – لن يفوق عدد الكتب التي تقرأها عدد الكتب الذي تحتويه مكتبة صغيرة فرعية. ولن يمكنك أن تقترب من عدد الكتب المخزنة في خوادم موقع Google Books أو مواكبة مئات الآلاف من الكتب الجديدة التي تُنشر على موقع Amazon كل عام.

ماذا لو، فيما يتعلق بأنماط قراءتك وتعلمك، حددت أولوياتك لتكون الكيف وليس الكم؟ ماذا لو قرأت قلة من الكتب العظيمة بتعمق بدلاً من القراءة السريعة لجميع الكتب الجديدة؟ قد تحتوي رفوفك على عدد أقل من الكتب، ولكن، سيكون عقلك وحياتك أكثر امتلاءً.

٢١ مايو

إلى أي نوع من الملاكمين تنتمي؟

"ما الفلسفة؟ ألا تعني إعداد أنفسنا لما قد يحدث؟ ألا تدرك أنها الكلمات التي تقولها لنفسك عند الاستعداد للتحمل ثم ترك أي شيء قد يحدث ليحدث؟ وإلا، سيضيه الأمر الملاكم الذي يفادر الحلبة؛ لأنه تلقى بعض للكلمات. في واقع الأمر، يمكنك مغادرة الحلبة من دون عواقب، ولكن ما الميزة التي ستحصل عليها من التخلي عن السعي وراء الحكمة؟ ماذا يجدر بكل منا أن يقول عند كل محنة نواجهها؟ هذا ما تدربت عليه، وهذا هو نظامي".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses* —

كان أصحاب الفلسفة اليونانية يحبون استخدام تشبيهات الملاكمة والمصارعة مثلما نحب استخدام تشبيهات البيسبول وكرة القدم اليوم. ربما لأن الرياضات في عصرهم كانت نوعاً أكثر نقاءً من الفنون القتالية مما نمتلك الآن - كانت بطولات القتال جزءاً لا يتجزأ من حياة الصبية والرجال عند الإغريق والرومان (في واقع الأمر، توصل التحليل الحديث إلى وجود تشوهات في الأذن على التماثيل الإغريقية، وهي إصابة شائعة في الرياضات القتالية). وقد أشار أتباع الفلسفة اليونانية إلى القتال لأنهم لم يكونوا يعرفونه.

كتب سينيكا أن الشخص المرفه الذي لم يتعرض للإصابات يكون ضعيفاً ومن السهل هزيمته في الحلبة، ولكن "الرجل الذي عاش في صراع متواصل مع سوء الحظ، يصبح جلده أكثر سمكاً بفعل المعاناة". ويقول إن مثل هذا الرجل يقاتل حتى الموت، ولكنه لا يستسلم أبداً.

كان هذا ما يعنيه إبيكتيتوس أيضاً. من أي نوع من الملاكمين تكون عندما تترك الحلبة لأنك تعرضت للضرب؟ تلك هي طبيعة الرياضة. أسيمتلك هذا من الاستمرار؟

٢٢ مايو

اليوم هو اليوم الموعود

"لن تحصل إلا على ما تستحق، وبدلاً من أن تكون شخصاً صالحاً اليوم، اخترت العكس أملاً في أن تكون صالحاً غداً".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

"لا أشكو من قصر الوقت... سيكفيني الوقت القليل الذي أملكه. اليوم... هذا اليوم... سأحقق ما سيتحدث الجميع عنه في الغد. سأتحدى الجميع وأذهل العالم".

— سينيكا، من كتاب *Medea*

نعلم ما الأمور الصائبة، ونعلم أنه يجب ألا نشعر بالاستياء، وأنه يجب ألا نأخذ الأمور على محمل شخصي، وأنه يجدر بنا الذهاب إلى متجر الأطعمة الصحية بدلاً من الذهاب إلى مطعم الوجبات السريعة، وأننا بحاجة إلى الجلوس والتركيز لساعة كاملة. لكن الجزء الأصعب هو أن نقرر فعل ذلك في لحظة بمينها.

ما الذي يمنعنا؟ يُطلق الكاتب ستيفن بريسفيلد على تلك القوة اسم المقاومة، كما كتب في كتابه *The War of Art*: "أنت لا تقول لنفسك: لن أكتب أبداً معزوفتي... بل تقول: سأكتب معزوفتي، ولكني سأبدأ في الغد".

اليوم وليس غداً، هو اليوم حين سنبدأ بتغيير أنفسنا نحو الأفضل.

٢٣ مايو

أرني كيف تعيش

"أرني كيف أن الحياة الجيدة لا تتحدد قيمتها بطولها، بل بالاستفادة منها، ومن المحتمل - وليس من الشائع - أن تطول حياة شخص ما كثيرًا، رغم أنه لم يعيش إلا القليل".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

لا حاجة بك لأن تُري سينيكا أي شيء، بل أر نفسك؛ فبصرف النظر عن عدد السنوات التي ستعيشها، من الممكن أن يُقال عن حياتك بكل وضوح وكل صراحة إنها كانت حياة طويلة ورائعة. نحن نعرف جميعًا أشخاصًا على تلك الشاكلة - شخصًا فقدناه مبكرًا، ولكننا نفكر حتى الآن: أتمنى لو تمكنت من تحقيق نصف ما حقق، وحينها سأعتبر أنني عشت حياة رائعة.

إن أفضل طريقة لتحقيق هذا من خلال التركيز على ما تفعله الآن، على المهمة التي بين يديك - سواءً كانت ذات قيمة أو تافهة. كما يقول سينيكا، عبر تركيز انتباهنا بالكامل وعن عمد على الحاضر، فإن هذا "سيهدئ قليلًا من الوقت الذي يمر سريعًا".

٢٤ مايو

صناعة حظهك الحسن

"قد تقول إن الحظ الحسن يبتسم لك في كل مكان وكل وقت، إلا أن الشخص المحظوظ هو الذي يصنع حظه الحسن بنفسه. والحظ الحسن هو الروح المنضبطة جيداً، والنزعات الجيدة والأفعال الجيدة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

ما الفكرة الأكثر إيجابية عن الحظ الحسن؟ هل هي الفكرة التي تتحدد بالكامل بواسطة عوامل عشوائية خارجة عن إرادتك، أم تلك التي تتحدد بناءً على احتمالات يمكن أن تزداد - من دون أية ضمانات على ذلك - عبر اتخاذ القرارات الصائبة والاستعداد الجيد؟ من الجلي أنها الأخيرة؛ وهذا هو سبب انجذاب الأشخاص الناجحين و"المحظوظين" بطريقة غامضة لتلك الفكرة. طبقاً للموقع الإلكتروني الرائع Quote Investigator، تعود نسخ كثيرة من تلك الفكرة إلى القرن السادس عشر إلى المثل القائل: "الاجتهاد هو قمة الحظ الحسن". في حقبة العشرينيات من القرن العشرين، صاغ كولمان كوكس هذا المثل بطريقة أخرى حين قال: "أنا من أشد المؤمنين بالخط؛ كلما زاد اجتهادي في العمل، زاد حظي الحسن" (كانت هذه المقولة تُنسب خطأً إلى توماس جيفرسون؛ الذي لم يقل أي شيء من هذا القبيل). واليوم، أصبحنا نقول: "الحظ هو حيث يلتقي العمل الجاد بالفرصة". أم العكس هو الصحيح؟ يمكنك اليوم أن تأمل أن يواتيك الحظ الحسن، أو قد تعد نفسك لأن تكون محظوظاً عبر التركيز على فعل الصواب في الوقت المناسب - وسيواتيك الحظ الحسن دون أن تحتاج إليه خلال ذلك.

٢٥ مايو

أين تجد السعادة

"تُكمن سعادة البشر في عملهم المناسب. ويتكون عمل البشر المناسب من: التعاطف مع الآخرين، والنفور من استئثاره الحواس، وتحديد الانطباعات الموثوق بها، وتأمل نظام الطبيعة وكل ما يحدث لمواكبته".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

عندما يُحضّر مدربو الكلاب للعمل مع كلاب عاجزة أو تعسة، يبدأون دومًا بطرح سؤال وحيد: "هل تصحّبونه للنزهة؟". إنهم يطرحون هذا السؤال لأن الكلاب تواجهت من أجل مهام بعينها - لكي تعمل - وعندما تُحرم من هذا الجزء من طبيعتها، فإنها تعاني وتحاول التعبير عن تلك المعاناة؛ وهذا أمر حقيقي بصرف النظر عن مدى روعة حياتها وتدليلها.

ينطبق الأمر ذاته على البشر. فعندما تسمع أن أصحاب الفلسفة اليونانية لا يهتمون بمواطن أو أشياء مادية بعينها، فإن هذا لا يعني أنهم لا يستمتعون بها. ولا يعني أن حياتهم خالية من السعادة أو المرح. إنهم يحاولون مساعدتنا على العثور على جوهرنا، أي الشعور بمتعة عملنا البشري الصحيح.

٢٦ مايو

توقف عن مراعاة ما يعتقدّه الآخرون

"إنني أندھش دومًا من مدى حبنا لأنفسنا أكثر من حبنا للآخرين، ولكننا نراعي آراء الآخرين أكثر مما نراعي تقديرنا لأنفسنا... إننا نضع الكثير من الأهمية على آراء أقراننا بشأننا، ولكننا نضع القليل من الأهمية على آرائنا الخاصة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

قل نتجاهل مشاعرنا بشأن أمر ما بسرعة كبيرة ونعتق مشاعر الآخرين. قد نرى أن قميصًا ما يبدو جميلًا في المتجر، ولكن قد نغير رأينا بشأنه إن علق عليه شركاؤنا أو زملاؤنا بأنه ليس جيدًا. قد نكون سعداء جدًا بحياتنا - حتى نكتشف أن هناك شخصًا لا نحبه يمتلك أشياء أكثر منا. والأسوأ أننا قد لا نشعر بالرضا عن إنجازاتنا أو مواهبنا حتى يقول شخص آخر إنها جيدة. مثل معظم ممارسات الفلسفة اليونانية، تحاول تلك الممارسة أن تعلمنا أنه على الرغم من أننا نتحكم في آرائنا، فإننا لا يمكننا أن نتحكم في آراء الآخرين - بشأننا على أقل تقدير. لهذا السبب، يعد وضع أنفسنا تحت رحمة تلك الآراء ومحاولة الحصول على قبول الآخرين مسعى خطرًا. لا تضيع الكثير من وقتك في التفكير بشأن ما يعتقدّه الآخرون، بل فكر فيما تمتدّه أنت، وفكر في النتائج، والتأثير، وفيما إذا كان هذا هو الأمر الصائب لفعله.

٢٧ مايو

افعل الأمور الصغيرة

"تتحقق الرفاهية خطوة صغيرة بعد الأخرى، ولكنها في الحقيقة ليست صغيرة".
رينو، من كتاب ديوجينيس اللايرتي، *Lives of the Eminent Philosophers*

يرجع كاتب السير الذاتية الشهير ديوجينيس اللايرتي ذلك الاقتباس إلى رينو، ولكنه يُقر بأن تلك الكلمات ربما قيلت أيضًا بواسطة سقراط؛ ما يعني أنه ٥. يكون اقتباسًا منقولًا. ولكن، هل يهم ذلك؟ إن الحقيقة لا تتغير.

في هذه الحالة، نعرف الحقيقة جيدًا: الأمور الصغيرة تتراكم، وسيكون الشخص جيدًا ليس لأنه قال إنه كذلك، بل لأنه أقدم على الأعمال الجيدة. إن المرء لا يجمع أفعاله معًا هكذا مرة واحدة فجأة - بل إنها تأتي عبر الكثير من الخيارات الفردية؛ حيث إن الأمر يتعلق بالنهوض في الوقت المناسب، وترتيب هراسك، وتجنب الطرق الملتوية، والاستثمار في نفسك، والقيام بعملك. وتذكر: رغم أن الأفعال الفردية قد تكون صغيرة، فإن تأثيرها الجمعي ليس كذلك.

فكر في جميع الخيارات الصغيرة التي ستظهر نفسها أمامك اليوم. هل نعرف أيها الطريق الصحيح وأيها الطريق السهل؟ تخير الطريق الصحيح، وراقب جميع تلك الأمور الصغيرة وهي تتراكم لتتحول إلى شيء كبير.

٢٨ مايو

الأمران الأولان قبل التصرف

"الأمر الأول الذي يجب فعله - لا تتحمس. إن كل شيء يحدث طبقاً لطبيعة جميع الأشياء، وسرعان ما ستصبح لا أحد في لا مكان، مثلما حدث مع الأباطرة العظماء مثل هادريان وأوجوستوس. الأمر التالي الذي يجب فعله - فكر بعناية في المهمة بين يديك كما هي، مع تذكر أن الهدف من حياتك هو أن تكون إنساناً جيداً. لذلك ابدأ مباشرة بفعل ما تطلبه الطبيعة منك، وتحدث عندما ترى أقصى عدالة وإنصاف - بتعاطف وتواضع وصدق".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

تخيل، للحظة، كيف كانت تبدو حياة ماركوس كإمبراطور. إنه كان مسئولاً عن مجلس الشيوخ الروماني، وكان يقود الجنود في المعارك، ويضع الإستراتيجيات العسكرية العامة للجيش من منطلق كونه قائده الأعلى. كما كان عليه الاستماع للشكاوى - من المواطنين ومن المحامين ومن الحكومات الأجنبية. بمعنى آخر، مثله مثل غالبية أصحاب السلطة، كان عليه اتخاذ القرارات: طوال اليوم، كل يوم، القرار تلو الآخر.

كانت معادلته لاتخاذ القرارات عبارة عن طريقة اختبرها على أرض المعركة من أجل فعل الصواب - حرفياً؛ الأمر الذي يوجب علينا تجربته بأنفسنا. أولاً، لا تتزعج - لأن هذا الأمر سيجعلك تفكر في القرار بطريقة سلبية وسيزيده صعوبة أنت في غنى عنها.

ثانياً، تذكر الغايات والمبادئ التي تقدرها كثيراً، وانظر إلى تلك الأفعال من هذا المنظور وستتمكن من رؤية القرارات الصائبة وتتجنب القرارات الخاطئة. لا تتزعج.

افعل الصواب.

وهذا كل شيء.

٢٩ مايو

العمل علاج

"العمل يغذي العقول النبيلة".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

هل تعلم المشاعر التي تتناكب عندما لا تذهب إلى صالة الألعاب الرياضية ابضعة أيام؟ القليل من الكسل والضيق الخوف من الأماكن المغلقة وعدم الثقة. وهناك مشاعر مشابهة تتناكب أشخاصًا آخرين عندما يذهبون في عطلات طويلة أو بمد تقاعدهم مباشرة. لقد وهبنا العقل والجسم لنستخدمهما - وسيبدأ بالانقلاب على نفسيهما إن لم يتم استخدامهما بطريقة بناءة.

من المحزن أن نفكر في أن هذا النوع من اليأس حقيقة واقعة بالنسبة لكثيرين من الذين يتركون الكثير من قدراتهم من دون أن يستغلوها؛ لأنهم يعملون في وظائف لا يفعلون فيها الكثير، أو لأن لديهم الكثير من وقت الفراغ. والأسوأ عندما نحاول أن نتزع تلك المشاعر من أنفسنا عبر شراء الأشياء أو الخروج من المنزل أو الشجار أو لعب دور الضحية - أننا ننغمس في السرعات الحرارية الجوفاء للوجود بدلًا من العثور على التغذية المناسبة.

والرائع في هذا الأمر أن الحل بسيط ونصب أعيننا دائمًا: اخرج من المنزل واعمل.

٣٠ مايو

العمل يجد أم العمل بالكاد؟

"لا يمكنني أن أقول عن شخص ما إنه يعمل بجد لمجرد أنني سمعت أنه يقرأ ويكتب، حتى إن ظل يعمل طوال الليل. وحتى أعرف ما يعمل هذا الشخص من أجله، لا يمكنني أن أعتبره شخصاً مجتهداً... ولكن يمكنني أن أعتبره كذلك إذا كانت الغاية من عمله هي مبداه المسيطر: أن يحققه وأن يظل في توافق دائم مع الطبيعة".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

ما فرص أن يكون أكثر شخص منشغل تعرفه في الحقيقة هو الأكثر إنتاجية؟ فنحن نميل دومًا إلى اعتبار أن الانشغال دليل على الكفاءة ونعتقد أن قضاء الكثير من الوقت في العمل يجب أن يُكافأ. وبدلاً من هذا، قدر ما تفعله، وسبب فمك إياه، وما الوجهة التي ستصل إليها من خلال فعله. وإن لم تثر على إجابة مرضية، فتوقف عن فعله فوراً.

٣١ مايو

لا يوجد لدينا إلا التزام وحيد

"ما مهمتك؟ أن تكون إنساناً جيداً".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

بهتكم المنتمون للفلسفة اليونانية، أكثر من أي شيء آخر، أن مهمتنا في الحياة هي أن نكون أناساً جيدين. إنه الواجب الرئيسي، ولكننا بارعون في الخروج بمبررات لتجنب القيام به. في اقتباس من مقولات بيليتشيك: "قم بمملك".

يونيو

حل المشكلات

١ يونيو

امتلك دومًا بندًا ذهنيًا معاكسًا

"لا شك في أنه لا أحد يمكنه أن يعوق أهدافك الذهنية؛ لأنه لا يمكن كبتها بالنار أو الحديد أو الطفیان أو التشهير أو أي شيء آخر".

— ماركوس أوريلیوس، من كتاب *Meditations*

المقبات جزء من الحياة - قد تحدث أمور أو تعترضك عقبات أو قد مع أحداث عصبية، ولكن لا يوجد شيء يمكنه إعاقة عقل الفيلسوف عندما به ل بالطريقة المناسبة؛ لأنه في كل منحى من مناحي الحياة، يمتلك "بندًا معاكسًا".

ما هذا؟ إنه خيار دعم. إن خاننا أحد أصدقائنا، يتعلم البند المعاكس مما دت وكيف سيفقر لهذا الشخص خطأه. إن رُج بنا في السجن، يرفض بندنا المعاكس أن نتكسر بواسطة هذا التغير في الأحداث ونحاول أن نفيد زملائنا السجناء. وعندما يتسبب عيب تقني في موعملنا من على الحاسب، يساعدنا بندنا المعاكس على البدء من جديد وأداء العمل بصورة أفضل من سابقتها. قد نمرقل تقدمنا أو يقاطعه، ولكن يمكن تغيير العقل دومًا - حيث إنه يمتلك القدرة على إعادة توجيه مساره.

يقوم جزء من هذا الأمر على تذكر المسار المعتاد للأمور - ينص قانون ميرفي على أنه: "إذا كان يمكن أن ينحى أي شيء المنحى الخطأ، فسيفعل". إذا، فإننا نحافظ على وجود هذا البند المعاكس جاهزًا؛ لأننا نعلم جيدًا أننا قد نضطر إلى استخدامه، ولا يمكن لأحد أن يعوقه.

٢ يونيو

وجهة نظر أفلاطون

"يا لروعة كلمات أفلاطون! عندما ترغب في التحدث عن الناس، من الأفضل أن تلقي نظرة عامة على شخصياتهم، وأن تراها بأكملها مرة واحدة - وينطبق الأمر ذاته على التجمعات والجيوش والمزارع وحفلات الزفاف والطلاق وأحداث الميلاد والوفاة، وساحات القضاء الصاخبة أو الأماكن الهادئة الساكنة، وجميع الأغراب والعطلات والنصب التذكارية والأسواق - مع مزجها جميعها معاً وجمع كل متضادين معاً".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هناك حوار رائع يُطلق عليه اسم "الرحلة الاستكشافية الخيالية" أنه الشاعر لوسيان امتلك فيه الراوي القدرة على التحليق في السماء، ورؤية العالم من أعلى. وعندما حول بصره نحو الأرض، رأى مدى صغر كل شيء: أكثر الناس ثراءً، وأكبر الدول، بل والإمبراطورية بأكملها بدت صغيرة من أعلى. وأصبحت جميع المعارك والمخاوف ضئيلة جداً من وجهة النظر تلك.

في العصور القديمة، كانت تلك الممارسة نظرية فحسب؛ فكان أقصى ارتفاع يمكن لأحد أن يصل إليه هو قمة جبل أو مبنى مكون من عدة طوابق. ولكن، مع التقدم التقني، أصبح الناس قادرين على الرؤية بعيني الطائر حرفياً - حيث أصبحوا يصلون لارتفاعات أعلى من تلك التي تصل إليها الطيور. لقد كان إدجار ميتشيل، رائد الفضاء، أحد أوائل البشر الذين رأوا الكرة الأرضية من الفضاء الخارجي. وقد قال عندما عاد إلى الأرض ما يلي:

"عندما تكون في الفضاء الخارجي، تشعر بشعور لحظي بالعالمية، ويتوجه الناس، وبعدم الرضا العميق عن حالة العالم، وبدافع قوي لأن تفعل أمراً ما بشأن هذا العالم. ومن هناك، من على القمر، تبدو السياسات الدولية غاية في الضآلة، وترغب في سحب أحد السياسيين من رقبته وتجره لمسافة نصف مليون كيلو متر وتقول له: انظر إلى هذا أيها المأفون".

يمكن حل الكثير من المشكلات باستخدام وجهة نظر أفلاطون - فاستخدمها.

٣ يونيو

هل من الجيد أن تتمتع بالمرونة

"هل يمكنه ألا يؤدي الخدمة العسكرية؟ دعه يذهب إلى السلطات الحكومية ليخبرهم بذلك. هل يجب أن يعمل في القطاع الخاص؟ دعه يكن متحدًا نيابة عن آخرين. هل كُتب عليه الصمت؟ دعه يساعد أقرانه من المواطنين عبر رؤية ما يحدث في الدولة والصمت. هل من الخطر أن تدخل الساحات العامة؟ دعه يعرض نفسه في المنازل والتجمعات العامة، على أنه زميل جيد أو صديق مخلص وكشريك معتدل. هل تجاهل واجباته كمواطن؟ دعه يختبر واجباته كإنسان".

— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

قبيل وفاته بوقت قصير، وعندما أصبح الانتصار في الحرب الأهلية في متناول يديه أخيرًا، قص لينكولن قصة على مجموعة من الجنرالات والأدميرالات عن رجل طلب منه عقد اجتماع على مستوى كبار رجال الدولة. أولاً، طلب الرجل أن يعين وزيرًا للخارجية، وعندما رُفض طلبه، طلب منصبًا أقل تواضعًا. وعندما رُفض طلبه للمرة الثانية، طلب العمل كموظف صغير في الجمارك. وعندما اكتشف أنه لن يمكنه الحصول على هذه الوظيفة أيضًا، طلب في النهاية من لينكولن سر والقديمًا من سراويله، فقال لينكولن ضاحكًا: "من الجيد أن تكون متواضعًا".

تجسد تلك القصة مرونة وإصرار أتباع الفلسفة اليونانية: إن لم تتمكن من فعل أمر ما، فربما مكننا من تجربة أمر آخر. وإن لم تتمكن من فعل الأمر الآخر، فربما أمكننا تجربة أمر ثالث. وإن كان الأمر الثالث مستحيلًا، فستظل هناك دومًا أمور أخرى. وحتى إن كان هذا الأمر الأخير هو أن نصبح أناسًا جيدين فستظل هناك دائمًا فرصة لممارسة فلسفتنا، لكي نسهم في كل شيء.

٤ يونيو

هكذا هي الحياة

"لم نشعر بالإمانة إذن؟ لم نشكرو؟ فهكذا هي الحياة".

— سينيك، من كتاب *On Providence*

لم يقل أحد إن الحياة سهلة، ولم يقل أحد إنها عادلة. ولكن، لا تتس أنك سليل سلسلة طويلة ومتواصلة من الأسلاف الذين مروا بصعوبات وعقبات وصراعات لا تتخيلها. إن جيناتهم ودماءهم هي تلك التي تجري في عروقك الآن. ومن دونهم، لم تكن لتوجد. أنت وريث تقاليد مذهلة - ومن منطلق كونك سليلهم الذي بقي، فسيمكنك أن تفعل ما كانوا قادرين على فعله. لقد قُدر لك هذا، ونشأت من أجله. لذا عليك بوضع هذا الأمر في اعتبارك إن أصبحت الأمور عصبية.

٥ يونيو

اضطلع بأمورك

"إننا نبتهل دومًا إلى الله عز وجل سائلين: هل يمكننا الهرب من هذا العذاب؟ أنت أحمق، ألا تمتلك يدين، أم خلقت من دونهما؟ اجلس وادع الله لكي لا يسيل أنفك، أو امسح أنفك بيدك بدلاً من البحث عن مسحها لك".

— إبيكتيوس، من كتاب *Discourses*

العالم ليس عادلاً. والقواعد جائرة، وقد عرفك شخص ما أنها كذلك. بما كانت تلك النظريات صحيحة، ولكن بالتحدث من وجهة النظر العملية - من اللحظة الحالية - بم ستفيدك؟ لن تسدد التقارير الحكومية أو المقالات الإخبارية المثيرة للشفقة فواتيرك أو تشفي ساقك المكسورة أو تقرضك المال الذي تحتاج إليه. ولن يحقق الاستسلام للشفقة على النفس وقول "يا لمصيبتني" أية فائدة تُذكر - لا شيء سوى استنزاف الطاقة والدافع اللذين تحتاج إليهما من أجل فعل شيء ما لحل مشكلاتك.

لدينا خيار: هل نركز على الطرق التي أخطأنا فيها، أم نستخدم الأدوات التي نمتلكها ونبدأ العمل؟ هل ننتظر شخصًا ما لينقذنا، أم نستمع إلى نداء ماركوس أوريليوس التحفيزي أن "نبدأ بإنقاذ أنفسنا - إذا كنا نهتم بأنفسنا - ونفعل ذلك متى نستطيع". هذا أفضل من أن تضطلع بأمورك فحسب (الأمر الذي يعتبر خطوة نحو الأمام في حد ذاته).

٦ يونيو

متى تواصل ومتى تستسلم

"فكر في الأشخاص الذين - ليس بسبب عدم الاستمرارية بل بسبب عدم بذل الجهود الكافية - لم يعيشوا الحياة المستقرة التي تمنوها، بل ظلوا يعيشون الحياة على وتيرة واحدة منذ بدايتها".

— سينيك، من كتاب *On Tranquility of Mind*

في كتابه *The Dip*، استخدم سيث جودين تشبيهًا رائعًا عن أنواع البشر الثلاثة الذين قد تلتقيهم في طابور الدفع في المتجر: الأول، الذي يقف في الطابور الأقصر ويلتزم به بصرف النظر عن كون الطوابير الأخرى تسير بسرعة أكبر من صفه. والثاني الذي ينتقل من طابور لآخر وفقًا لرؤيته أن ذلك سيوفر عليه بضع ثوان. والثالث الذي يغير طابوره مرة واحدة فقط - عندما يبدو أن طابوره بطيء وأن هناك بديلًا أفضل له - ومن ثم يكمل يومه دون أية مشكلات، ويجيرك على أن تسأل: من أي نوع أنت؟

وينصحنا سينيك أيضًا بأن نكون من النوع الثالث، فلا يعني أنك بدأت طريقًا بعينه أنك قد علقت فيه إلى الأبد، خاصة إذا تبين أن هذا الطريق مليء بالعيوب والمعبات. وفي الوقت ذاته، لا يعد هذا مبررًا لأن تكون هوائيًا أو غير ملتزم. وقد يتطلب الأمر شجاعة كبيرة لتقرير فعل الأمور بطريقة مختلفة والقيام بالتغيير. وكذلك يعتبر الانضباط والوعي وإدراك فكرة: "رائع، ولكن هذا الأمر يبدو أفضل" من الإغراءات التي يجب ألا تنغمس فيها إلى ما لا نهاية.

٧ يونيو

العثور على المرشدين المناسبين

"إننا نحب أن نقول دومًا إننا لم نختر أبائنا، وإنما مجبرون عليهم - ولكن، يمكننا أن نمتار من نرغب في أن نكون من أبنائهم".

— سينيك، من كتاب *On the Brevity of Life*

إننا محظوظون لأن بعض أعظم الرجال والنساء في التاريخ قد سجلوا ١٠٠ مهمتهم (وأخطاءهم) في كتب ويومييات. ورويت قصص حياة كثيرين غيرهم، واسطة رواة سير ذاتية مدققين - بداية من بلوتارش مرورًا بـ بوزويل وصولًا إلى و. و. روبرت كارو. إن كمية المواد المطبوعة في مكتبة متوسطة الحجم تُقدر بملايين الصفحات وآلاف الأعوام من المعرفة والأفكار العميقة والخبرات.

ربما لم يكن والداك يمثلان لك قدوة جيدة، أو أنك لم تحظ قط بمرشد عظيم. ولكن، يمكننا أن نختار الوصول إلى حكمة من سبقونا بسهولة - أولئك الذين نطمح لأن نكون مثلهم.

إننا لا ندين لأنفسنا بالسمي لامتلاك تلك المعرفة التي من الصعب امتلاكها بحسب، بل ندين أيضًا لأولئك الذين قضوا الكثير من الوقت في تسجيل تجاربهم في محاولة منهم لتبرير تقاليدهم وعرض تجاربهم - لكي نكون هؤلاء الأبناء الواعدين لهذين الوالدين النبيلين.

٨ يونيو

دقق في التفاصيل المملة

" يجب أن تبني حياتك عبر الأفعال المستقلة، وأن تكون سعيدًا عندما يصل كل فعل إلى الهدف المرجو منه قدر الإمكان - ولن يمكن لأحد أن يمنعك من هذا. ولكن، قد تكون هناك عقبات خارجية، ولكن لن تكون هناك أية عقبات يمكنها اعتراض التصرف. بإنصاف والسيطرة على الذات والحكمة. ولكن، ماذا لو تعرضت جوانب لخرى من حياتي للاعتراض؟ حسنًا، تقبل العقبات كما هي وحول انتباهك إلى ما تملكه، وسيجل محلها فعل آخر على الفور يناسب الحياة التي تحاول إنشائها بصورة أفضل".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

أصبح كبار الرياضيين في المسابقات الرياضية الجامعية والاحترافية يتبعون فلسفة تُعرف باسم "المعالجة". وهي فلسفة ابتكرها مدرب جامعه ألاباما نيك سابان، الذي علم لاعبيه كيفية تجاهل الصورة الشاملة: المباريات، المهمة، والفوز بالبطولات والتقدم على المنافس في عدد النقاط - والتركيز بدلاً من هذا على القيام بأصغر الأمور بصورة جيدة - التدريب بأقصى وسعهم وتنفيذ لعبة متفق عليها، وتغيير مواقع بعينها في الملعب. يستمر الموسم لأشهر طويلة، وتستمر المباراة لساعات، وقد يتطلب الأمر إحراز بعض الأهداف للحاق بالمنافس، إلا أن اللعبة الواحدة تستغرق بضع ثوان. وبالتالي، فإن المواسم والمباريات تتكون من ثوان.

إذا اتبعت الفرق نظرية "المعالجة"، فإنها ستمكن من الفوز؛ حيث سيمكنها التغلب على العقبات وتشق طريقها نحو القمة من دون التركيز على العقبات بصورة مباشرة. وإن اتبعت نظرية المعالجة في حياتك - وضع الأفعال المناسبة بالترتيب المناسب، الواحد تلو الآخر - فستبلي أنت أيضًا جيدًا في حياتك. ولن يقتصر الأمر على ذلك، بل ستكون أكثر استعدادًا للتعامل بسرعة مع العقبات على طول الطريق، وستكون منشغلًا بتلمس طريقك لدرجة أنك لن تلتفت إلى أماكن وجود العقبات.

٩ يونيو

حل المشكلات مبكرًا

"لا توجد مشكلة إلا ولها ما يمكن مقاومتها به، ولا توجد مشكلة إلا وكانت بسيطة في حلها. إنها ثم تفاقمت بسهولة لتنتشر بعد ذلك على نطاق واسع. فإذا سمحت للمشكلة بأن تتجذر من الأساس، فلن تمتلك السيطرة على موعد توقفها؛ حيث تبدأ كل عاطفة في البداية ضعيفة، ولكنها تتصاعد بعد ذلك وتكتسب زخمًا بمرور الوقت - أن تحاول إبطائها أسهل بكثير من أن تحاول نزعها".

— سينيك، من كتاب *Moral Letters*

بذكرنا بوبيلينيوس سيروس بالحكمة الساخرة التي تقول: "من الأسهل أن نسير الأنهار عند منبعها". وهذا ما يعنيه سينيك أيضًا. فالأمواج العاتية والسيارات المميتة للعادات السيئة والأنظمة السيئة والقوضى والعجز كانت في البداية لا تتعدى كونها قطرة صغيرة. وفي أماكن أخرى تجدها أمواجًا أو برقًا هادئة أو نبعًا يتصاعد منه الماء من تحت الأرض.

أي الأمرين تفضل فعله - أن توشك على الفرق عندما يصبح النهر هادئًا بعد بضعة أسابيع، أم تعبره الآن بينما لا يزال هادئًا؟ الأمر برمته يعود إليك.

١٠ يونيو

يمكنك أن تفعلها

"إن وجدت أن هناك أمرًا ما يصعب عليك بشدة تحقيقه بنفسك، فلا تعتبره مستحيلًا إن أي شيء ممكن ومحتمل بالنسبة للآخرين سيكون ممكنًا ومحتملًا بالنسبة لك".
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هناك نوعان من البشر في هذا العالم: الأول، ينظر إلى الآخرين الذين حققوا الإنجازات في حياتهم ويفكر: لِمَ هم وليس أنا؟ والثاني ينظر إلى الأشخاص أنفسهم ويفكر: إن تمكنوا من تحقيق تلك الإنجازات، فلِمَ لا يمكن تحقيقها أيضًا؟

أحدهما متشائم وغيور (إن فزت، سأخسر)، والآخر متفائل (هنا، الكثير من الفرص لاغتنامها) ويرى نجاح الآخرين إلهامًا بالنسبة له. فأين من التوجهين سيساعدك على التقدم والارتقاء؟ وأيهما سيؤدك إلى المرارة والشقاء؟

أيهما ستكون؟

١١ يونيو

لا تزدد الأمور سوءاً

"كم تزيد عواقب الغضب والحزن ضرراً عن الظروف التي أثارَت الغضب والحزن في نفوسنا".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

القاعدة الأولى للحضر، كما يقول المثل، هي "إن وجدت نفسك داخل حفرة، ارفف عن الحفر". قد تكون تلك أكثر حكمة في العالم يتجاهلها الجميع، لأننا نفضل غالبيتنا عندما يقع حدث ما أو خطب ما فما نفعه هو أننا نفاقم الأمر أكثر - أولاً، من خلال الغضب أو الشعور بالحزن، وثانياً، أن نلقي باللوم على أنفسنا قبل أن نبدأ باستبيان الأمور.

واليوم، حدد لنفسك أكثر المهام بساطة وسهولة: لا تزدد الأمور سوءاً. أيًا ما يحدث، لا تُضِف الغضب أو المشاعر السلبية إلى المعادلة، ولا تصدر رد فعل من أجل إصدار رد الفعل دون أي سبب آخر، بل دع الأمر كما هو، وتوقف عن الحفر، ثم خطط لكيفية خروجك من الموقف.

١٢ يونيو

العقل المدرب أفضل بكثير من أية نصوص

"من هذا المنطلق يجب أن تدرك مدى إثارتك للضغط إن قلت: أخبرني بما عليّ فعله. ما النصيحة التي يمكنني أن أسديك إيّاها؟ لا، الطلب الأفضل هو: درب عقلي على التكيف مع أية ظروف... فبهذه الطريقة، إن جعلتك الظروف تنحرف عن طريقك... فلن تكون بحاجة إلى من يعيدك إلى مسارك".

— إيكينوس، من كتاب *Discourses*

سيكون رائعًا إذا تواجد أحد يرينا ما علينا فعله في جميع المواقف. لا شك في أن هذا الأمر هو ما نقضي القسم الأكبر من حياتنا في فعله والاستعداد له والدراسة من أجله، والتوفير من أجله وتوقع بعض الأمور الاعتبارية في المستقبل. إلا أن الخطط، كما وضع الملاك مايك تايسون، تستمر حتى تتلق، لكمة في وجهك.

لا يسمى أصحاب الفلسفة اليونانية للحصول على حلول لجميع الأسئلة أو التخطيط لكل إجراء احترازي، ولكنهم لا يشعرون بالقلق أيضًا. لماذا؟ لأنهم يتقون بأنهم سيتمكنون من التكيف والتغير طبقًا للظروف. وبدلاً من البحث عن التعليمات، يفرسون في أنفسهم مهارات على غرار الإبداع والاستقلالية والثقة بالنفس والأصالة والقدرة على حل المشكلات. وبهذه الطريقة، يصبحون مرنين وليسوا جامدين، ويمكننا أن نفعل المثل.

اليوم، سنركز على الإستراتيجيات بدلاً من الأساليب، وسنذكر أنفسنا بأن التعلم أفضل من *التلقي*، وأن يكون المرء مرناً أفضل من الالتزام بمسار معين لا يحيد عنه.

١٢ يونيو

الحياة عبارة عن أرض معركة

"هل تعلم أن الحياة تشبه الحملات العسكرية؟ فأحد الجنود عليه أن يتولى المراقبة وعلى آخر أن يتولى الاستطلاع، وعلى ثالث أن يتولى القتال في الصفوف الأولى... لذا، بالنسبة لنا، حياة كل شخص تعتبر نوعًا من المعارك، بل ومعركة طويلة ومتنوعة أيضًا. عليك أن تتولى المراقبة مثل الجندي وأن تنفذ جميع الأوامر الموجهة إليك... لقد توليت مهمة موقع حيوي، وليس موقعًا متأخرًا، وليس لفترة قصيرة، بل خلال حياتك بأكملها".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

يستخدم الكاتب روبرت جرين عادة عبارة: "ما يحدث في الحرب، يحدث في الحياة". وتستحق تلك الحكمة التذكّر دومًا؛ لأن حياتنا عبارة عن معركة بالمعنيين الحرفي والمجازي. إننا نحارب، كجنس بشري، لكي نتجو من بين الأجناس الأخرى التي تتجاوز أعدادها المليارات. وحتى في داخل أجسامنا، نحاربنا العديد من أنواع البكتيريا. فلنكن نحيا يجب أن نقاتل. اليوم، ستبدأ القتال من أجل تحقيق هدفك: ستقاتل النزعات، وستقاتل لكي تكون الشخص الذي ترغب في أن تكونه. إذن، ما الصفات الضرورية لتمكّن من الانتصار في جميع تلك المعارك؟

الانضباط

التماسك

الشجاعة

صفاء الذهن

الإيثار

التضحية

وأأي الصفات ستسبب في خسارتك تلك المعارك؟

الجبن
التمجّل
الفوضى
الثقة الزائدة
الضعف
الأنانية

وحيث إنك في حرب دائمة، ستكون تلك الصفات مهمة في حياتك اليومية

١٤ يونيو

جرب العتلة الأخرى

"لكل موقف عتلتان: واحدة يمكنك من خلالها أن تسيطر على الموقف، والأخرى لا يمكنك من هذا. فإذا أخطأ لُخوك في حقك، فلا تحاسبه على خطئه؛ لأن تلك العتلة لن تساعدك على السيطرة على الموقف، بل تستخدم العتلة الأخرى - فهو لُخوك، وقد نشأتها معًا، ومن ثم يجب أن تمسك بالعتلة التي يمكن أن تسيطر بها على الموقف".

— إيكيتوس، من كتاب *Enchiridion*

عاني الصحفي الشهير ويليام سيبروك من إدمان الكحوليات في عام ١٩٩٢. أدرجة أنه أودع نفسه مصحة نفسية، حيث كانت المكان الوحيد في ذلك الوقت الذي يقدم علاجًا للإدمان بأنواعه. وفي مذكراته المنشورة تحت عنوان *Asylum*، تحدث عن الصراع الذي عاشه من أجل تصحيح مسار حياته داخل المصحة. في البداية، لم يتمكن من التخلص من طريقة تفكير المدمن - نتيجة لهذا، كان يشعر بأنه ليس في المكان المناسب، وكان دائم الوقوع في المشكلات ودائم التمرد على طاقم المصحة. ولم يتمكن من إحراز أي تقدم يُذكر وكان على وشك أن يُطرد من المصحة.

ثم ذات يوم، تذكر هذا الاقتباس من كتاب إيكيتوس - عن أن كل شيء يمتلك رافعتين. قال فيما بعد: "لقد تمسكت الآن بالرافعة الأخرى، وواصلت التمسك بها". وبالفعل، بدأ يقضي وقتًا أفضل في المصحة، وبدأ يركز على تعافيه بحماسة كبيرة. "لقد وجدت فجأة أنه من الرائع والغريب والجميل أيضًا أن أكون يقظًا... كان الأمر يبدو كأن حجابًا أو غطاءً قد رُفِع عن سمعي وبصري". وقد تكررت تلك التجربة مع الكثير من المدمنين عندما توقفوا عن التفكير في الأمور بطريقتهم وانفتحوا على وجهات النظر والحكم والدروس التي مر بها من سبقوهم.

لا يمكنني أن أعدكم، إن جربتم الأمور بتلك الطريقة - التمسك بالمناجاة الأخرى - بأن تحصلوا على نتائج رائعة على الفور. ولكن، بم سيفيدكم التمسك بالعتلة التي لم تؤد إلى شيء؟

١٥ يونيو

الاستماع يحقق الإنجازات أكثر من التحدث

"قال زينو للشباب الذي كان يتفوه بالهراء: السبب في امتلاك كل منا أذنين وفماً واحداً هو أن نستمع أكثر مما نتحدث".

— ديوجين ليارتيوس، من كتاب *Lives of the Eminent Philosophers*

لِمَ لا يواجه الحكماء الكثير من المشكلات مقارنة ببقيةتنا؟ هناك بعض الأسباب البسيطة.

أولاً، يبدو أن الحكماء يمكنهم التعامل مع التوقعات قدر الإمكان، حيث نادراً ما يتوقعون المستحيل في المقام الأول.

ثانياً، دائماً ما يفكر الحكماء في أفضل السيناريوهات وأسوأها، ولا يفكرون فقط في الأمور التي يرغبون في حدوثها، بل يفكرون أيضاً بواقعية في الأمور التي من الممكن حدوثها إذا تغيرت الأمور فجأة.

ثالثاً، يستخدم الحكماء البند المعاكس - بما يعني أنهم لا يفكرون فقط فيما قد يتخذ المنحى الخطأ، بل يستعدون له لكي يحققوا ما يريدون حدوثه - وتلك فرصة لتحقيق التميز والفضيلة.

إن اتبعت تلك النصائح اليوم، فستجد أنك أصبحت أيضاً ممن لا يفاجئهم شيء أو يحدث على النقيض من توقعاتهم.

١٦ يونيو

لا تخجل من الحاجة للمساعدة

"لا تخجل من حاجتك للمساعدة. إن لديك واجب يجب أن تؤديه مثل الجندي في المعركة - ماذا سيحدث إن أُصبت ولم تتمكن من القتال من دون مساعدة جندي آخر؟"
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لم يدع أحد أنك ولدت ممتلئاً بجميع الأدوات التي تحتاج إليها من أجل حل جميع المشكلات التي تواجهك في حياتك. في واقع الأمر، لقد كنت عند مولدك عاجزاً تماماً، وساعدك شخص ما حينها، وأصبحت تعي جيداً أنه يمكنك أن تطلب المساعدة - ولقد كانت تلك هي الطريقة التي جعلتك تعرف أنك محبوب. حسناً، ما زالت محبوباً، ويمكنك أن تطلب المساعدة من أي شخص. ويجب عليك بالضرورة ألا تواجه كل شيء بمفردك. فإذا احتجت للمساعدة، فاطلبها.

١٧ يونيو

الهجوم أم الدفاع؟

"لا يمتلك الحظ تلك اليد الطولى التي نفترضها، ولن يواتي إلا من يتمسك به جيداً؛ لذا دعونا نبتعد عنه قدر إمكاننا".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

يقول ميكافيلي، الذي من المفترض أنه من معجبي سينيكا، في كتابه *الأمير*، إن "الحظ امرأة، ومن الضروري، لكي تحتفظ بها لنفسك، أن تضربها وأن تتشاجر معها". وحتى بالنسبة للقرن السادس عشر، كانت تلك الصورة مرعبة. ولكن بالنسبة للحكام القساة الطموحين إلى ما لا نهاية، كان هذا الأمر معتاداً. هل هذا هو أسلوب الحياة السيئ الذي تسعى لتحقيقه؟

والآن، قارن بين تلك الرؤية ورؤية سينيكا. إنه لا يقول إنه كلما زاد صراعك مع الحظ، زاد ضعفك أمامه فحسب، بل يقول أيضاً إن الملاذ الآمن الوحيد هو "سور الفلسفة المنيع". يقول سينيكا: "تساعدنا الفلسفة على ترويض السعار الجنوني لجشعنا وتهدئة ثورة مخاوفنا".

في الرياضة أو الحرب، قد تعني الاستعارة هنا الاختيار ما بين إستراتيجية الهجوم المتواصل المضني واستراتيجية الدفاع المرن المتكيف. باستخدام أيهما ستلعب؟ من أي نوع أنت؟

أنت فقط من يمكنه الإجابة عن هذا السؤال. ولكنك قد لا تهتم بالتفكير في نهاية غالبية الأمراء المذكورين في كتاب ميكافيلي - وكيف أن قلة منهم ماتوا سعداء في أسرّتهم محاطين بمن يحبونهم.

١٨ يونيو

مستعد ونشط

"دع الأيام تعثر علينا مستعدين ونشطاء، فتلك هي الروح العظيمة - التي تخضع للظروف. والعكس من هذا ستكون الروح الضعيفة المنحطة التي تقاوم ولا تهتم بنظام العالم، وتسعى لتصحيح عيوب العالم بدلاً من تصحيح عيوبها".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

أيًا كان ما قد يحدث اليوم، دعه يجدنا مستعدين ونشطاء: على استعداد لمجابهة المشكلات والصعوبات والأشخاص الذين يتصرفون بطرق محبطه ومربكة، ومستعدين لتقبل الأمر وتغييره ليصب في صالحنا. دعونا لا نتمنى أن نرجع الزمن للوراء، وأن نغير العالم وفقاً لرغباتنا. خاصة إذا كان من الأفضل والأسهل أن نغير من أنفسنا.

١٩ يونيو

حافظ على تركيزك على الحاضر

"لا تسمح لتركيزك على كل شيء أن يحقك. ولا تملأ عقلك بجميع الأمور السيئة التي .. تواصل الحدوث. وركز على الحاضر واسأل نفسك عن سبب كون تلك الأمور لا يمكن حملها أو النجاة منها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هنا نتذكر بعضاً من أكثر الأمور إذهالاً، بل ورهبة، التي فعلتها أو تحملتها، آل، كيف تمكنت من فعلها أو تحملها؟ كيف تمكنت من تخطي المخاطر، الاحتمالات الضئيلة؟ كما يشرح ماركوس، لقد كنت شديد الانشغال بالتفاصيل، رجة أنك تركت الموقف بأكمله يسحقك. في واقع الأمر، من المحتمل أنك لم تدرك في الأمر في حينه.

نقول إحدى شخصيات رواية *Lullaby* للكاتب تشاك بالاهنيوك: "ما رساعد على تجاهل الصورة العامة هو التركيز على كل شيء عن كذب". قد ون من المهم في بعض الأحيان إدراك الصورة العامة، وقد ساعدنا أصحاب الماسفة اليونانية على فعل هذا في السابق. ولكن، في الكثير من الأحيان، ه. يأتي التفكير في كل ما يتواجد أمامنا بنتائج عكسية، بل وقد يفرقنا حتى الأديين. لذا، عبر التركيز فقط على الحاضر، سيمكننا محو أو تقادي تلك الأفكار المخيفة أو السلبية ومحوها من منظورنا للحياة.

يجب على الرجل الذي يسير على حبل ألا يفكر في الارتفاع الشاهق حيث يمد، وكذلك يجب على الفريق الذي لم يهزم قط أن يتجنب التفكير في سلسلة مساراته. ومثل حائنا تماماً، يجدر بهم وضع القدم أمام الأخرى وألا يفكروا في أي شيء آخر.

٢٠ يونيو

الهدوء معد

"إن لم تكن الأمور التي تسعى لتحقيقها أو لتجنبها تتجه نحوك، ولكنك أنت من يسعى وراءها، فحاول على الأقل أن تجعل حكمك عليها ثابتاً، وستظل تلك الأمور هادئة ولن تطاردها أو تفر منها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هناك قول مأثور يمرره ضباط الضفادع البشرية من جيل إلى الذي يليه، ومن جندي إلى جندي. في خضم الفوضى، وحتى في وسط المعركة، تم نصيحتهم التي اختبروها على أرض المعركة هي: "الهدوء عدوى". خاصة إذا كان هذا الهدوء آتياً من القائد المسئول. إن بدأ الرجال يفقدون رباطة جأشهم، وإن لم تكن المجموعة على يقين مما عليها فعله لاحقاً، ستكون مهمة القائد الوحيدة هي: غرس الهدوء في نفوسهم - ليس بالقوة، بل بأن يكون، مثلاً يحتذى به.

هذا ما تريد أن تكونه، أيًا كان مجال عملك: أن تكون الشخص الهادئ المسترخي الذي يخبر الجميع في أي موقف بأن يلتقطوا أنفاسهم وألا يلقوا. ولأنك تملك تلك القدرة، لا تكن المستفز أو المتشكك أو مثير القلق أو غير العقلاني في المجموعة. بل كن الهادئ، وليس العباء. وسوف يحتذى بك الآخرون.

٢٦ يونيو

أذهب للسير

"جدر بنا أن نخرج للسير خارج بيوتنا، حتى يتغذى الذهن وينتمش بفعل الهواء الطلق والتنفس العميق".

— سينكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

في مدينة اشتهرت بالصخب مثل روما، كان من المستحيل أن تحصل على مس الصفاء والهدوء. فقد كانت أصوات العربات وصياح الباعة وضجيج ورش العدادة تملأ الشوارع بالضوضاء العنيفة (ناهيك عن رائحة المدينة الكريهة...). يجب أنظمة الصرف الصحي السيئة). لذا، كان الفلاسفة يخرجون من بيوتهم كثيرًا من أجل التمشية - لكي يذهبوا إلى حيث يريدون، ولكي يُصَفُوا. هانهم، ومن أجل استنشاق الهواء المنعش.

عبر العصور، وجد الفلاسفة والكتاب والشعراء والمفكرون أن للتمشية فوائد إضافية - وقت ومجال لعمل أفضل. كما سيقول نيتشه في زمن لاحق: "إن الأفكار التي تراودني في أثناء السير هي فقط التي تحمل أية قيمة".

تأكد اليوم من أن تخرج للتمشية، وفي المستقبل عندما تشعر بالتوتر أو الضغط العصبي، اخرج للتمشية. وعندما تواجهك مشكلة عويصة الحل أو فرار صعب لتتخذ، اخرج للتمشية. وعندما ترغب في أن تكون مبدعًا، اخرج للتمشية. وعندما ترغب في استنشاق بعض الهواء، اخرج للتمشية، وعندما يكون عليك إجراء مكالمات هاتفية، اخرج للتمشية، وحينما تكون بحاجة لبعض الرياضة، اخرج للتمشية. وعندما تكون بصدد الاجتماع مع صديق، اخرج للتمشية معًا.

أنعش نفسك وذهنك وحل مشكلاتك في أثناء السير على الطريق.

٢٢ يونيو

كن التعبير الأوضح عن الجنون

"إذا تعرضت للهزيمة مرة وقلت لنفسك إنك ستنهض من جديد، ولكنك ستواصل التصرف بالطريقة السابقة نفسها، فاعلم جيدًا أنك ستصبح في النهاية مريضًا وضعيفًا لدرجة أنك لن تلاحظ أخطاءك وستحاول تبرير سلوكياتك".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

يُقال إن تعريف الجنون هو أن تجرب الأمر نفسه مرارًا وتكرارًا مع توهم نتيجة مغايرة في كل مرة. ولكن، هذا بالضبط ما يفعله غالبية البشر. فقد يقول المرء لنفسه: *لن أغضب اليوم؛ لن أتخم نفسي اليوم بالطعام*. ولكنه لا يفعل في الحقيقة أيًا من تلك الأمور بطريقة تختلف عن سابقتها. فالناس يجربون الروتين نفسه على أمل أن ينجح تلك المرة، مع العلم بأن الأمل ليس إستراتيجية.

الفشل جزء من الحياة لا سلطة لنا عليه، أما التعلم من الفشل، فعلى النقيض، تمامًا: عبارة عن إمكانية. علينا أن نختار أن نتعلم، وعلينا أن نتوق لفعل الأمور بطريقة مختلفة - أن نعدل ونغير حتى نصل إلى النتيجة التي نسعى لتحقيقها. ولكن، هذا الأمر صعب جدًا.

إن الالتزام بالأنماط السلوكية الفاشلة نفسها أمر سهل، حيث إنه لا يتطلب أي نوع من الأفكار أو الجهود الإضافية، لهذا السبب، يلجأ إليه غالبية الناس.

٢٣ يونيو

الطريق الطويل الملتف

"يمكنك أن تستمع الآن لجميع الأمور التي تأمل تحقيقها عبر سلوك الطريق الطويل الملتف - إن توقفت عن حرمان نفسك منها".

— ماركوس أوريلْيوس، من كتاب *Meditations*

اسأل غالبية الناس عما يعملون من أجل تحقيقه، وستحصل على إجابات ما لي غرار: "أحاول أن أصبح... (ضع اسم المهنة التي تريد)". أو سيقولون ان إنهم يحاولون أن ينضموا إلى بعض اللجان الرائدة أو يصلوا إلى المناصب الرفيعة، أو يصبحوا مليونيرات، أو أن تكتشف مواهبهم، أو يصبحوا من المشاهير... إلخ. والآن اطرح سؤالين آخرين، على غرار: "لم تفعلون هذا؟"، أو "ما الذي تأملون في أن يكون عليه الأمر عندما تتمكنون من تحقيقه؟"، ... تجد أن الإجابات تتمحور حول أن الناس يريدون الحرية والسعادة واحترام الآخرين لهم.

ينظر الفيلسوف معتق الفلسفة اليونانية لكل هذه الأمور ثم يهز رأسه، قائلاً على الجهود المضنية والمبالغ الطائلة التي نضيمها على مطاردة أمور من السهل امتلاكها. ويشبه الأمر إضاعتنا لسنوات طوال في إنشاء آلة معقدة، من آلات روبي جولدبيرج متعددة المهام، رغم أنه يمكننا مد أيدينا واقتناص ما نريد. وقد يشبه الأمر البحث عن نظارتك ثم تكتشف أنها كانت فوق أنفك طوال الوقت.

الحرية؟ بسيطة؛ إنها خيارك.

السعادة؟ بسيطة؛ إنها خيارك.

احترام الآخرين لك؟ هذا أيضاً خيارك.

فجميع تلك الأمور موجودة أمام عينيك، ولكنك تسلك الطريق الطويل

الملتف لتصل إليها.

٢٤ يونيو

المتعلمون الحقيقيون لا يميلون لإثارة المشكلات

"إن الأشخاص اللطاف والجيدين لا يتشاجرون أبداً مع أي أحد ولا يسمحون لأحد بالشجار معهم، قدر إمكانهم... هذا هو المعنى الحقيقي للتعلم - التفرقة بين شئونك الخاصة وشئون الآخرين، إن تصرف شخص ما بهذه الطريقة، فكيف ستعثر على طريقة للشجار مع؟"

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

يقال إن سقراط ظل يتقل بين أرجاء أثينا ليتقرب من أكثر الأشخاص الذين اختلف معهم في الماضي، وليبدأ معهم نقاشات مطولة. ففي تلك النقاشات أو على الأقل فيما وصلنا منها - نجد الكثير من الأمثلة على شعور من يناقشهم بالغضب أو الاستياء أو الثورة بسبب أسئلته الكثيرة. ولا شك في أن الأثينيين شعروا بالغضب الشديد في النهاية لدرجة أنهم حكموا على سقراط بالموت. ولكن، لم يبد قط أن "سقراط" كان يشعر بالاستياء، وحتى عندما كان يتحدث في أمور خطيرة جداً لم يفقد هدوءه مطلقاً. لقد كان سقراط شدي الاهتمام بما سيقوله الطرف الآخر أكثر من اهتمامه بأنه مسموع أو - كما يصر غالبيتنا على فعله - يفوز بالجدال.

في المرة القادمة عندما تواجه نزاعاً سياسياً أو أخلاقياً شخصياً، اسأل نفسك: هل هناك سبب وجيه للشجار؟ هل سيساعد الجدل على حل المشكلة؟ هل سيكون الشخص المتعلم الحكيم ميالاً إلى الشجار مثلما شعرت في البداية. أم أنه سيأخذ نفساً عميقاً ويسترخي ويقاوم الرغبة الملحة في الشجار؟ فكر فقط فيما يمكنك تحقيقه - وشعورك الرائع - إذا قهرت الرغبة في الشجار وفزت بجميع النزاعات.

٢٥ يونيو

الحكماء لا تواجههم "مشكلات"

"لهذا السبب نقول إنه لا يحدث للحكماء شيء لم يتوقعوه بصورة مسبقة".
— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

قال هيسويد الشاعر: "أفضل كنز هو اللسان الحريص". واعتبر روبرت جرين هذا الأمر قانوناً من قوانين القوة: تحدث دومًا بأقل من المطلوب. إننا نتكلم لأننا نعتقد أن هذا الفعل سيساعدنا، ولكنه في الحقيقة يزيد من صعوبة الأمور علينا. إن كان أزواجنا يحاولون التنفيس عما يعتمل في صدورهم، فإننا نرغب دومًا في إخبارهم بما عليهم فعله، ولكن كل ما يحتاجون إليه في الحقيقة منا هو أن نستمع إليهم. وفي مواقف أخرى، قد يحاول العالم أن ينيهنا لشيء أو يعلمنا بشيء، ولكننا سنحاول التحدث من أجل إخراج أنفسنا من المشكلة - ولكننا نزيد من الطين بلة.

لذا، اليوم، هل ستكون جزءًا من المشكلة أم جزءًا من الحل؟ هل ستستمع إلى حكمة العالم أم تفرق نفسك في المزيد من الضوضاء؟

٢٦ يونيو

جرب العكس

"ما المساعدة التي يمكننا العثور عليها في أثناء مقاومة عاداتنا؟ جرب فعل العكس"
— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

كان عالم النفس العبقري والناجي من معسكرات التعذيب النازية فيك دور فرانكل يعالج المرضى الذين يمانون أنواع الرهاب أو العادات العصبية باستخدام طريقة أطلق عليها اسم "القص المتناقض". لتفترض أن هناك مريضاً لا يمكنه النوم، سيكون العلاج المعياري له أمراً بديهياً، على غرار أساليب الاسترخاء. أما فرانكل فكان يشجع المريض على عدم محاولة النوم واكتشف أن تحويل الانتباه بعيداً عن المشكلة يبعد أيضاً انتباه المريض الهوس عنها ويمكنه في النهاية من النوم بطريقة طبيعية.

قد يتذكر معجبو مسلسل *ساينفيلد* التلفزيوني حلقة عنوانها "النقيض"، عندما تمكن "جورج كوستانزا" من تحسين حياته بصورة كبيرة عبر فعل النقيض تماماً مما كان يفعله عادة. يقول "جيرى" له: "إذا كانت جميع غرائزك خطأ، فسيكون النقيض منها هو الصحيح". الفكرة الأهم في هذا الأمر هو أنه أحياناً ما تعلق غرائزنا أو عاداتنا في أنماط سيئة تزيد من ابتعادنا عن أنفسنا الطبيعية السليمة.

والآن، يجب عليك ألا ترفض كل شيء في حياتك على الفور - فبعضها ينجم (أنت تقرأ هذا الكتاب الآن). ولكن، ماذا لو استكشفت بعض الأمور العكسية اليوم؟ ماذا لو كسرت الأنماط؟

٢٧ يونيو

المحن تكشف معادن الرجال

"كيف ساعد زوجي على زيادة حظه سوءًا عبر الشكوى المستمرة منه؟ هذا الأمر ..أسب أكثر ملكًا - أن يواجه المحن دون رهبة. وكلما كان موقفه عابراً، زادت حتمية سقوطه عن عرشه، وتوجب عليه أكثر أن يصبر على القتال. ليس من الرجولة أن تتراجع أمام الحظ".

— سينيكا، من كتاب *Oedipus*

هسيب توظيف المدير التنفيذي لشركة تشارلز شواب، "والث بيتينجر"، مات من الأشخاص كل عام وأجراء مقابلات شخصية مع مئات آخرين، ...، طبع أن نفترض أنه على مدار حياته قد نال حظه من تجربة الاختبارات المسائبة والخطأ والمفاجئة فيما يتعلق بتعيين الموظفين. ولكن تأمل أسلوبًا مهبطًا ظل يستخدمه طوال عمره: كان يصطحب المرشح لتناول الإفطار وكان مطالب من النادل أن يُفسد عن عمد طلب المرشح.

فقد كان اختباره هذا من أجل رؤية الطريقة التي سيتصرف بها المرشح. هل سيستاء؟ هل سيتصرف بوقاحة؟ هل سيدع ذلك الحدث التافه يفسد الاجتماع؟ أم هل سيتعامل مع الخطأ بأناقة وتماطف؟

قد لا تبدو طريقة تعاملك مع المصاعب الصغيرة مهمة، ولكنها في الحقيقة تكشف عن شخصيتك الحقيقية.

٢٨ يونيو

لا حاجة إلى جلد الذات

"تدعو الفلسفة إلى الحياة البسيطة، وليس إلى عقاب الذات؛ فمن الممكن أن تكون بسيطاً من دون أن تكون أحمق".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

تمتلي تأملات ماركوس بانتقاد الذات مثل مؤلفات بقية المنتمين لها، المدرسة من الفلسفة اليونانية. ولكن من المهم أن تتذكر أنه رغم تعمتها في الكثير من مجالات الحياة، فإنها لم تحتوقط على جلد للذات أو عقابها أو أية مشكلات تتعلق بتقدير الذات نابعة من الشعور بالذنب أو بغض الذات. لن تسمعهم يقولون عن أنفسهم أبداً إنهم لا يساوون شيئاً، أو أنهم استخدموا تجويع أنفسهم أو جرحها كعقاب، بل كان انتقادهم لأنفسهم ببناءً. إن مهاجمة ذاتك وحرمانها من المتع وعقابها من ألوان جلد النفس وليس تحسينها.

لا حاجة بك لأن تقسو على نفسك، بل ارفع من شأن نفسك إلى مستوى أعلى، ولكن ليس إلى مستوى مستحيل. وسامح نفسك إن أخطأت.

٢٩ يونيو

لا أعذار

"يمكنك أن تكبح غرورك وتتغلب على المتعة والألم. وترتقي فوق طموحك، والآن
 يهتف من الأعياء وناكري الجميل - نعم، بل يمكنك أن تهتم لأمرهم أيضاً".
 - ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

"هذه طبيعتي"، "لم أتعلم أي شيء غير هذا"، "كان والداي يعاملانني
 ... وة"، "يفعل الجميع المثل". عم تعبر العبارات السابقة؟ إنها الأعذار
 ... يختلقها الناس لأنفسهم لتبرير بقاء حالهم كما هو عليه بدلاً من محاولة
 ... به.

لا شك في أنك قادر على كبح جماح غرورك، والتحكم في غضبك، وأن
 ... ح شخصاً عطوفاً ومراعياً. كيف يمكن للآخرين فعل هذا في امتدادك؟ لا
 ... في أن آباءهم لم يكونوا مثاليين، أو أنهم ولدوا من دون "أنا"، أو بمناعة
 ... مارية ضد المفريات. لقد عملوا على تحسين أنفسهم، وجعلوها أولويتهم
 ... المسوى. وقد تمكنوا من حل الأمر مثلما يحلون أية مشكلة أخرى: عبر تكريس
 ... لهم للعثور على الحلول والتحسين التدريجي حتى يحققوا ما يصبون إليه.
 لقد أصبحوا كيفما يريدون... تماماً مثلما ستفعل أنت.

٣٠ يونيو

العقبات هي الطريق

"رغم كون فكرة أن شخصًا ما يمكنه أن يعوق أفعالنا حقًا، فإنه لا يمكنه أن يعوق نوايانا أو توجهاتنا؛ حيث إن تلك الأمور ليست ثابتة ودائمة التكيف والتغير. ويمكن للذهن أن يعدل ويغير من أية عقبات لأفعاله ويحولها إلى وسائل يستخدمها لتحقيق تلك الأفعال. أي أنه يحول عقبات الفعل إلى أفعال متقدمة، ومن ثم تصبح العقبات على الطريق هي الطريق نفسه".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

ستحدث اليوم أمور تتعارض مع خططك، وإن لم يحدث ذلك اليوم، فلا شك في أنه سيحدث غدًا. ونتيجة لتلك العقبات، قد لا تتمكن من فعل ما خططت له. إن هذا الأمر ليس على درجة السوء التي يبدو عليها، لأن عقلك مرن وقادر على التكيف إلى ما لا نهاية. إنك تملك القدرة على تطبيق ممارسات الفلسفة اليونانية لقلب تلك العقبات رأسًا على عقب، عبر استخدام الظروف السلبية واستخدامها كفرصة لممارسة فضيلة غير مقصودة أو تحقيق التميز.

إذا منعك شيء ما من الوصول إلى وجهتك في الوقت المحدد، فستكون تلك، فرصة لممارسة الصبر.

وإذا ارتكب أحد موظفيك خطأً كلفك الكثير، فستكون تلك فرصة لتعليمه درسًا قيمًا.

إذا تسبب عطل في الحاسب في محو عملك بأكمله، فستكون تلك فرصة للبدء من جديد.

إذا جرحك شخص ما، فستكون تلك فرصة لممارسة التسامح.

إذا كان هناك شخص ما تواجه صعوبة في التعامل معه، فستكون تلك فرصة لأن تزيد من قوتك.

حرب أسلوب التفكير هذا وانظر إذا ما كان ذلك موقفًا لا يمكن لأحد أن
يؤثر فيه على بعض الفضائل لممارستها أو الفوائد لاقتناصها. لا يوجد ولو
وهو ف واحد على تلك الشاكلة، وقد تدفع كل عقبة أفعالك للأمام قدمًا بشكل
أو باخر.

يوليو

الواجب

١ يوليو

قم بعملك

"بصرف النظر عما يقوله أو يفعله الآخرون، ألزمت نفسي بفعل الصواب. ومثلما يقول اللون الذهبي أو الزمردي أو الأرجواني دومًا: "بصرف النظر عما يقوله أو يفعله الآخرون، يجب أن أظل كما أنا وأظهر لوني الحقيقي".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

أيقن أتباع الفلسفة اليونانية أن كل شخص وحيوان وجماد يمتلك هدفه الخاص ومكانه الخاص من الطبيعة. ورغم أنهم، في العصور الإغريقية والرومانية القديمة، كانوا يملكون صورة مشوشة عن أن العالم يتكون من ملايين الآلات الدقيقة، فقد كانت تلك الفكرة - ذلك الحس بالكون المترابط - هي التي دعمت حسهم بأن كل شخص وكل فعل جزء من النظام الأكبر. لكل منا مهمته - واجبه، وحتى من يرتكبون أفعالاً شريرة، يؤدون مهمتهم بكونهم إنساناً! لأن الشر أيضاً جزء من الحياة.

والجزء الأكثر أهمية من هذا النظام هو الاعتقاد أنك - أيها التلميذ الذي ستتعلم الفلسفة اليونانية، والمضطلع بأكثر المهام أهمية على الإطلاق - يجب أن تكون صالحاً وحكيماً، و"أن تصبح الشخص الذي رغبت الفلسفة في أن تكون عليه".

قم بعملك اليوم، وبصرف النظر عما قد يحدث، وبصرف النظر عن مهام الآخرين، أد مهمتك. كن خيراً.

٢ يوليو

عن الواجب والظروف

"لا تتهرب من أداء واجبك على الوجه الأكمل، بصرف النظر عن كونك متجمدًا من البرد أم غارقًا في العرق من الحر، مرهفًا أم مستريحًا، منحط القدر أم مكرمًا، وبصرف النظر حتى عن كونك تُحتَضَر أو تترزح تحت الكثير من الأعباء. وحتى الاحتضار في حد ذاته من بين تكاليف الحياة المهمة، وخلالها، مثلما هي الحال مع جميع التكاليف الأخرى، عليك أن تستغل كامل مواردك لتؤدي واجبك على الوجه الأمثل".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هل سيجملني هذا ثريًا؟ هل سينبهر بي الناس؟ ما الجهد الذي يجب أن أبذله؟ كم سيستغرق هذا الأمر؟ هل يجدر بي فعل هذا الأمر الآخر أو لا؟ تلك هي الأسئلة التي نطرحها على أنفسنا بين فرص اليوم والتزاماته.

كان لدى ماركوس أوريليوس الكثير من المسؤوليات، مثلما لدى جيمم أصحاب السلطات الواسعة: فقد كان يحكم في القضايا ويستمع إلى الشكاوى، ويرسل الجيوش إلى المعارك ويعين الحكام ويقر الميزانيات. وكان الكثير من الأمور يعتمد على خياراته وأفعاله. هل كان يجدر به فعل هذا أم ذلك؟ ماذا عن ذلك الأمر أو ذلك؟ متى سيتسنى له أن يتمتع نفسه؟ كانت تلك التذكير البسيطة السابقة طريقة لدفع نفسه لحل العقدة التي يستحيل حلها، والمتعلقة بالمحفزات والشكاوى والمخاوف والاهتمامات المتنافسة.

إنها ما يجب أن نستخدمها من أجل تقرير ما علينا فعله في كل مرحلة من حياتنا. قد تكون الأخلاقيات معقدة – ولكن، دائمًا ما يكون الصواب واضحًا ويديهياً بالدرجة الكافية لكي نشعر به بحدسنا. ونادرًا ما تكون واجباتنا سهلة، ولكنها دائمًا ما تكون مهمة. كما أنها عادة ما تكون الخيار الأصعب الذي يجب علينا أن نقدم عليه.

٣ يوليو

حوّل يجب أن إلى أريد أن

"إن مهمة الفيلسوف هي: علينا أن نجعل إرادتنا متناغمة مع أي مما قد يحدث،
وبالتالي، لن يحدث شيء يتعارض مع إرادتنا، وسيتحقق كل ما نأمل حدوثه".

— إيكينيتوس، من كتاب *Discourses*

شاهد تبدو قائمة المهام الطويلة مخيفة وملبئة بالأعباء - جميع تلك الأمور التي
نأمل فعلها خلال يوم أو أسبوع - إلا أن قائمة الأمور التي أريد فعلها تبدو
أفضل: جميع الأمور التي نشعر بالحماسة لتوافر فرصة لتجربتها. ليس الأمر
مجرد تلاعب بالألفاظ، بل هو جانب رئيسي من رؤية الفيلسوف للعالم.

اليوم، لا تحاول أن تفرض إرادتك على العالم، بل اعتبر نفسك محظوظًا
لأنك امتلكت الإرادة واستخدمتها في هذا العالم.

هل أنت عالق في الزحام؟ انظر إلى الأمر على أنه بضع دقائق رائعة لتجلس
... رخيًا. هل تعطلت سيارتك بعد أن تجولت بها لمسافة طويلة؟ يا له من وقت
... إذ لم لتقضيه في التمشية لبقية الطريق. هل قطع سائق غير منتهبه الطريق
... أمامك بينما يتحدث في هاتفه المحمول، وكاد أن يصدمك بينما تسيّر وأغرقك
... بالمطبات من قمة رأسك وحتى أخمص قدميك؟ يا له من وقت رائع للتذكر أن
... وذاك ثمين وأنه من السخف أن تستاء؛ لأنك تأخرت عن موعدك أو لاقيت
... بعض الصعوبات في وسائل المواصلات.

هذا لا يبدو أن هناك فارقًا كبيرًا بين أن تنظر إلى الحياة على أنها أمر يجب
... إن فعله بدلًا من كونها أمرًا تريد أن تفعله، ولكن في الحقيقة، هناك فارق كبير
... موهري.

٤ يوليو

أحم الشعلة

"أحم الخير الذي تفعله في كل أمورك، وفيما يتعلق بكل شيء آخر، وأمسك بما تملكه كما لو كنت ستستخدمه بالطريقة المناسبة. وإن لم تفعل، فلن تكون محظوظًا، وسيُقدر لك الفشل، وستصبح متأخرًا ومحبطًا".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

بيشيه الخير في داخلك شعلة صغيرة، وأنت حاميتها. ومهمتك، اليوم وكالـ يوم، أن تتأكد من توافر الوقود الكافي لها لتستمر. لكل شخص نسخته الخاصة من الشعلة وسيكون مسئولاً عنها، مثلك تمامًا. وإن انطفأت جميع الشعلات، فسيصبح العالم مظلمًا -- وهذا أمر لا يمكنك السيطرة عليه. ولكن، ما دامت شعلتك متأججة، سيظل هناك بعض النور في العالم.

٥ يوليو

لم يقل أحد إن الأمر سيكون سهلاً

"سيفعل الأخيار ما يرونه صواباً، حتى إن كان يتطلب الكثير من الجهد، وسيفعلونه حتى إن تسبب في ضررهم، وسيفعلونه حتى إن تعرضوا للخطر. ولن يفعلوا الأمور التي يرونها دنيئة، حتى إن منحتهم الثروة أو المتعة أو السلطة. ولن يثنيهم شيء عن فعل الصواب، ولن يفريهم شيء بفعل الأمور الدنيئة".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

لو كان فعل الخير أمراً يسيراً، لفعله الجميع (ولولم يكن الشر مغرباً أو جذاباً، لم يكن ليفعله أحد). وينطبق الأمر ذاته على واجباتك. لو كان يمكن لأي أحد إداها، لتم تكليف الآخرين بها، ولكن تم تكليفك أنت بها. ولحسن الحظ، لست مثل الجميع؛ حيث إنك لا تخشى أداء المهام الصعبة. وبممكن أن تقاوم الجوائز البسيطة التافهة. أليس كذلك؟

٦ يوليو

انهض وأشرق

"في صباح تلك الأيام عندما تواجه صعوبة في الاستيقاظ، ضع تلك الفكرة في ذهنك: لقد استيقظت لأودي عملاً خاصاً بالبشر. لماذا أنزعج إذن من فعل شيء خلق البشر ليفعلوه، وهو الهدف من وجودي في هذا العالم؟ أم أنني خلقت من أجل التكاسل تحت أغشية الفراش والحفاظ على دفئتي؟ إنه أمر ممتع جداً. هل خلقت من أجل المتعة؟ الأمر باختصار: هل خلقت من أجل الدعة والراحة أم من أجل بذل الجهد والعمل؟"

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

من المريح أن تفكر في أنه حتى منذ ألفي عام مضت، أُعطيَ إمبراطور روما (الذي يُقال إنه كان يعاني أرقاً مزمنًا) بضع كلمات تحفيزية لكي يتمكن من امتلاك الإرادة ليلقي بأغشية الفراش بعيداً كل صباح وينهض من فراشه. منذ المرة الأولى لذهابنا إلى المدرسة وحتى تقاعدنا، ظللنا نواجه ذلك الصراع طوال الوقت. سيكون من الرائع أن تغمض عينيك وتؤجل نهوضك من الفراش لبعض الوقت، ولكن، لا يمكننا أن نفعل هذا.

لأن هناك عملاً علينا أدائه. ليس من أجل الأهداف التي كرسنا أنفسنا لتحقيقها فحسب، بل من أجل المساعي الأكبر التي يتحدث عنها أصحاب الفلسفة اليونانية: الخير الأسمى. لا يمكننا أن نكون خدماً لأنفسنا أو الآخرين أو للعالم إلا إن نهضنا من أسرتنا وبدأنا العمل – وكلما كان أبكر كان أفضل. لذا هيا، خذ حمامك الصباحي وتناول قهوتك واذهب إلى عملك.

٧ يوليو

واجبنا نحو التعلم

"هذا ما يجدر بك تعليمي اياه: كيف أكون مثل أوديسيوس - كيف أحب وطني وزوجتي وأبي، وكيف، حتى بعد أن تتحطم سفينتي، أتمكن من مواصلة الإبحار على المسار نفسه حتى أحقق تلك الأهداف النبيلة".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

يُدرّس الكثيرون من معلمي المدارس ملحمة الأوديسا بشكل خطأ، حيث يلمنون الطلبة التواريخ، ويجادلون فيما إذا كان هومر هو من ألفها أم لا، وما إذا كان كفيفاً أم لا، ويشرحون طرق النطق القديمة، ويلمنون الطلبة أسماء الكائنات الأسطورية وكيفية استخدام حصان طروادة في الحرب.

لكن سينيكا ينصح من يرغب في دراسة الأعمال الكلاسيكية القديمة بأن يتجاهل كل هذا؛ التواريخ والأسماء والأماكن - إنها ليست مهمة بالمرّة، بل ما يهم هو المفزى. ماذا لو فهمت كل شيء في ملحمة الأوديسا بصورة خطأ، ولكنك فهمت بشكل صائب أهمية المثابرة ومخاطر العجرفة ومخاطر الإغراء والالتهاؤ؟ ستكون قد تعلمت منها شيئاً مفيداً.

إننا لا نحاول أن نتفوق في الاختبارات أو نبهر المعلمين؛ فنحن نقرأ الحياة وندرسها لكي نكون أشخاصاً جيدين - دائماً وأبداً.

٨ يوليو

توقف عن العبث

"كفك من تلك الحياة التي تملؤها تعاسة ومرارًا... توقف عن العبث. لم أنت منزوع؟ ما الجديد في الأمر؟ ما المحير في الأمر؟ من المسئول؟ انظر جيدًا. أم أن المشكلة هي المسئولة انظر إلى هذا أيضًا. لا يوجد شيء آخر لتتأمل إليه. ويمكنك الآن أن تحاول أن تكون مباشرًا وعطوفًا أكثر، قدر إمكانك. لن يفرق الأمر كثيرًا لو واصلت فحص تلك الأمور طوال ١٠٠ عام، أو طوال ٣ أعوام فقط".

— ماركوس أوريليوس. من كتاب *Meditations*

كتبت جوان ديديون في واحدة من أفضل مقالاتها: "الشخصية واستعداد المرء لتقبل المسئولية عن حياته هما منبع احترام الذات".

يحثنا ماركوس على عدم إضاعتنا لأوقاتنا على الشكوى مما لا نملك أو من المنحى الذي اتخذته الأمور. وعلينا أن نتوقف عن العبث وأن نملك زمام حياتنا. يمكن تطوير شخصياتنا، وعندما نفضل ذلك، سينشأ احترام الذات. ولكن، سيعني هذا أن نبدأ وتعامل بجدية - ليس فيما بعد، وليس بعد العثور على إجابة بعض الأسئلة، أو التغلب على المشتتات، بل الآن، على الفور. إن تحمل المسئولية هي الخطوة الأولى.

وعدم امتلاك تلك الشخصية هو أسوأ مصير توجه نفسك نحوه. كما قالت "ديديون": "فيما يتعلق باحترام الذات، يشبه العيش من دون احترام للذات أن تظل مستيقظًا من دون نوم ليضع ليال، ولا يمكنك الوصول لبعض الحليب الدافئ أو أي عقار منوم، وقد وضعت يدك تحت رأسك وبدأت تعدد أخطاءك وهفواتك، ومن خنتهم ممن وثقوا بك والوعود التي لم تف بها، والهيئات التي أضعتها عن خطأ منك عبر التكاسل أو الجبن أو اللامبالاة".

أنت أفضل بكثير من هذا.

٩ يوليو

الفيلسوف الملك

"أؤمن بأن الملك الصالح يجب أن يكون فيلسوفًا منذ البداية، وأن الفيلسوف منذ البداية ما هو إلا ملك".

— موسونيوس روفوس، من كتاب *Lectures*

باعتقاد أحد الجنرالات الكبار أن الفلسفة من الأمور الحتمية التي ساعدته على الاضطلاع بدوره كمقاتل ومقاتل، حيث يقول: "لطالما أخبرني الجميع بأن إدارة الشركات تفيد الحياة العملية والفلسفة تفيد الحياة الروحية. ولكنني اكتشفت، بمرور السنوات، أن الأمر على النقيض تمامًا مما قالوه - فقد استخدمت الفلسفة من أجل حياتي العملية أكثر". وتقدم الحرب والقيادة أسئلةً نهائيةً من المواقف؛ حيث تحتاج القرارات الأخلاقية إلى تحديد الأولويات وتحقيق التوازن والوضوح - وهذا ما ساعدنا الفلسفة على تحقيقه. وقد أدرك أفلاطون ذلك عندما تخيل أن المدينة الفاضلة يحكمها ملك فيلسوف. وقد قال في كتابه *The Republic*: "إما أن يصبح الفلاسفة ملوكًا، أو أن يؤمن من يدعون أنفسهم ملوكًا الآن بالفلسفة بصدق واقتناع". وكان ماركوس أوريليوس هو ذلك الملك الفيلسوف بكل ما تحمله الكلمة من معان. ما علاقة كل هذا بك؟ لم يعد هناك الكثير من الملوك في العصر الحالي، ولكننا نعتبر جميعنا قادة بشكل ما - في عائلاتنا أو شركاتنا أو فرقنا أو جمهورنا أو أصدقائنا أو أنفسنا. ودراسة الفلسفة هي ما يفرس منطقتنا وأخلاقياتنا حتى نتمكن من القيام بمهامنا جيدًا. ولا يمكننا أن نرتجلها - فهناك الكثيرون ممن يعتمدون على أن نفعها بالشكل الصحيح.

١٠ يوليو أحب الفن المتواضع

"أحب الفن المتواضع الذي تعلمته، واركز إليه. واقض بقية أيام حياتك كشخص انتمنه القدر على ممتلكاته، ولا تجعل من نفسك طاغية أو عبداً أبداً".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

أذهب إلى أي ناد كوميدي في أية عطلة من عطلات نهاية الأسبوع في نيويورك أو لوس أنجلوس، ومن المرجح أن تشاهد بعضاً من أفضل الممثلين الهزليين في العالم وأنجحهم من الناحية التجارية، وهم يعرضون حرفيتهم الكوميديّة على قلة من الحضور. ورغم أنهم يجنون أموالاً طائلة من الأفلام ومن العروض، فإنهم يقدمون عروضهم في تلك الأندية، حيث يمارسون أكثر أنواع فنهم تواضعاً.

وإن سألت أيّاً منهم: "لِمَ تفعل هذا؟ لِمَ لا تزال تقدم عروضك في هذه الأندية؟"، فعادة ما ستكون إجابته: "لأنني بارع في هذا... لأنني أحب هذا. لأنني أرغب في التحسن... لأنني أتوق للتواصل مع الجمهور... لأنه لا يمكنني إلا أفعال ذلك".

لا يعتبر الصعود على خشبة مسرح نادي كارولينز أو كوميدي سيلار عملاً بالنسبة لهم في الواحدة صباحاً، بل إنه عمل تشيطي، ولا يجب عليهم فعله. إنهم أحرار، وقد اختاروا هذا.

أيّاً كانت نوعية الفن المتواضع الذي تؤديه: هل أنت واثق بأنك توفر له الوقت الكافي؟ هل تحب ما تفعله بالدرجة الكافية لأن توفر له الوقت؟ هل أنت واثق بأنك إن بذلت الجهد الكافي فستحسن بقية الأمور من تلقاء نفسها؟ نعم، ستفعل ذلك حقاً. لذا أحب حرفيتك، وكن حرفياً.

١١ يوليو

بدايتك

"ولكن، ماذا يقول سقراط؟ مثلما يستمتع شخص ما بتحصين إنتاجية مزرعته، وآخر
"مميل جواده، أستمتع أنا برؤية تقدمي يوماً بعد يوم".

— إبيكتيتوس، من كتاب *Discourses*

الدور الثورة في العصر الحالي حول أن تبدأ شركتك الخاصة - أن تصبح
11. أعمال. لا شك في أن إنشاء شركة من الصفر قد يكون هدفاً مجزياً جداً.
وهو السبب الذي يجعل الناس يكرسون حياتهم بأكملها من أجل تحقيقه، وأن
بعضها لساعات طوال ويقدموا على مخاطرة لا حصر لها.

ولكن، ألا يجدر بنا أن نستثمر في أنفسنا مثلما نستثمر في الشركات؟
إن ماهية شخصيتنا، مثل الشركات، تبدأ بفكرة: ومن ثم يتم تزيينها،
وهي هرج إلى العالم حيث نتطور ببطء، ويمرور الوقت، نبدأ بإحاطة أنفسنا
بشركاء وموظفين وعملاء ومستثمرين وثررة. هل من الغريب بالنسبة لك
أن تعامل حياتك بالقدر نفسه من الجدية الذي تعامل به أفكارك من أجل
الشركات؟ أي من هذه الأفكار سيكون مسألة حياة أو موت؟

١٢ يوليو

بعض القواعد البسيطة

"لا تسوف أفعالك، ولا تخلط كلماتك، ولا تشتت أفكارك. ولا تكن عدوانياً أو سلبياً في داخلك، ولا تهتم في حياتك بالعمل دون غيره".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

نادراً ما تكون البساطة سهلة التحقيق. ولكن، بعدما عُرضت عليك تلك، القواعد، اجعل هدفك أن تضعها قيد التنفيذ - مع البند الأول من قائمه مهامك، ومع أول حوار تبدو، ومع روحك، وبالطبع، مع الحياة التي تشكلها لنفسك - ليس اليوم فقط، بل كل يوم. دوّن هذا على السبورة ولا تنسه أبداً.

١٢ يوليو

القائد يقود

“هناك شخص، بمجرد أن يبلي الآخرون حسناً، يبدأ بحساب ما سيتلقاه في المقابل. وهناك آخر ليس بمثل سرعة الأول، ولكنه يظل يعتبر الآخرين مدينين له ويتوقع المقابل. هناك نوع ثالث يتصرف كأنه لا يدرك ما فعل، مثل كرمة العنب التي تنتج عنقيد العنب من دون أن تطلب شيئاً في المقابل، ومثل الجواد بعد انتهاء السابق، أو النحلة بعد أن تنتج العسل. مثل هذا الشخص، بعد أن يقوم بفعل الخير، لن يصيح بأعلى صوته من فوق أسطح المباني مجاهراً بما فعل، بل سينتقل في صمت إلى الفعل التالي مثل كرمة العنب التي تنتج المزيد من العناقيد العنب في موسم الحصاد.”

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هل سمعت من قبل شخصاً آخر يكرر أيًا من أفكارك كما لو كانت أفكاره؟ هل لاحظت من قبل أحد أقربائك الأصغر سنًا يقلد سلوكياتك، ربما طريقة ملابسك أو الموسيقى التي تستمع إليها؟ ربما انتقلت إلى حي جديد وتبعتك مجموعة من المتسكمين. عندما كنا صغارًا وقليلي الخبرة، كنا نتصرف بصورة سلبية تجاه تلك المواقف: *توقف عن تقليدي! لقد فعلت هذا قبلك!*

ومع نضوجنا، نبدأ بالنظر إلى تلك الأمور بطريقة مغايرة، ونبدأ بفهم أن مضاعفة الجهد والمساعدة ما هي إلا خدمات يقدمها القادة إلى العالم. إن مهمتنا هي أن نعمل هذا – في المواقف العصبية والبسيطة. وإذا توقعنا من أنفسنا أن نكون قادة، فسيكون علينا أن نرى أن الخدمات التي لا تلقى الشكر عليها من ضمن مسوغات الوظيفة. لذا علينا أن نعمل ما يفعله القادة؛ لأن هذا ما يفعله القادة – ليس من أجل تلقي الثناء، وليس من أجل تلقي الشكر، وليس من أجل تلقي التقدير، بل لأنه واجبنا.

١٤ يوليو

المعرفة القاصرة خطرة

"ستكون كل قوة كبيرة خطرة على المبتدئين؛ لذا عليك أن تسيطر عليها قدر إمكانك. ولكن بما يتفق مع الطبيعة".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

عادة ما يقسو المعلمون العظماء على تلامذتهم الواعدين؛ فعندما يرى المعلمون إمكانيات واعدة لدى تلامذتهم، فإنهم يرغبون في صقلها. إلا أن المعلمين العظماء يدركون أيضًا أن القدرات الفطرية والفهم السريع قد يشكلان خطورة على الطالب إن لم يتلق المساعدة، حيث إن الطالب الواعد في سن مبكرة قد يُصاب بداء الثقة المفرطة ويطور عادات سيئة. ويشتهر أولئك الذين يستوعبون الأمور بسرعة بأنهم يفوتون الدروس الرئيسية ويتجاهلون الأمور الجوهرية. لا تتجرف وراء تلك القدرات، وابدأ بالتعامل معها بالتدريج، وتدريب بتواضع.

١٥ يوليو

فعل الصواب يكفي

"عندما تفعل أمراً ما بصورة جيدة ويستفيد منه الآخرون، لماذا تتصرف بحماقة
وتبحث عن أمر ثالث على قمة هذين الأمرين - السعي لتلقي الإطراء على فعل الخير
أو رد الجميل؟"

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

يجب أن تكون الإجابة عن السؤال التالي: "لم فعلت الصواب؟"، كالتالي:
"لأنه كان الصواب". ففي نهاية المطاف، عندما تسمع أو ترى شخصاً آخر
بهمل المثل - خاصة إذا كان قد تحمل بعض الصعوبات بسبب فعله للصواب -
الآن تقول في نفسك؛ *إني أرى - هناك - إنساناً بمعنى الكلمة؟*
لماذا تحتاج إلى الشكر أو التقدير على فعل الصواب إذن؟ إنها مهمتك.

١٦ يوليو تقدم الروح

"بأية خدمة تلتزم روحي؟ اطرح هذا السؤال على نفسك دوماً وتفحص روحك بدقة عبر كيفية التواصل مع هذا الجزء المدعو بالمبدأ المسيطر. أية روح امتلكها الآن؟ هل امتلك روح طفل، شاب... طاغية، حيوان اليف، أم حيوان بري؟".

— ماركوس أريليوس، من كتاب *Meditations*

بماذا تلتزم؟ بأية قضية أو مهمة أو غاية؟ ما الذي تفعله؟ والأهم من كل هذا، لم تفعله؟ كيف يعكس ما تفعله يومياً، بطريقة ما، القيم التي تدعي أنك تراعيها؟ هل تتصرف بطريقة تتفق مع ما تقدره، أم أنك تتجول دون هدى منعزلاً عن أي شيء عدا طموحك؟

عندما تتفحص تلك الأسئلة، فقد لا ترتاح إلى إجاباتها. لا بأس بهذا، فإنه يعني أنك أقدمت على الخطوة الأولى في سبيل تصحيح سلوكك - لكي تصبح أفضل من تلك الكائنات البرية التي ذكرها ماركوس. كما يعني أنك اقتربت من اكتشاف ما يدعوك واجبك لفعله في حياتك. وبمجرد أن تكتشفه، ستقترب أكثر قليلاً من تحقيقه.

١٧ يوليو

لا تتخل عن الآخرين... أو عن نفسك

"في أثناء مضيك قدمًا على مسار المنطق، سيحاول الناس اعتراض طريقك. ولكنهم لن يتمكنوا أبدًا من إثنائك عن فعل الصواب؛ لذا لا تدعهم يهزموا نياتك الجيدة تجاههم. راع مراقبة دائمة على كلتا الجبهتين، ليس على الأحكام والأفعال القائمة على النيات الصنعة فصسب، بل أيضًا على التعامل الدمث مع أولئك الذين يحاولون اعتراض طريقك أو يتسببون في مواجهتك الصعوبات. ويعد الغضب من نقاط الضعف أيضًا، مثلما هي الحال مع هجران المهام أو الاستسلام عند الشعور بالجزع. يعد الأمران هجرانًا بقدر متساوٍ - الأول عبر الانسحاب والثاني عبر الانعزال عن الأهل والأصدقاء."

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

مع بداية إحرارنا التقدم في حياتنا، قد نواجه محاولات من الآخرين لإحباطنا. وهذا الأمر يشبه الحمية الغذائية؛ فعندما يتناول الجميع الأطعمة غير الصحية، فسيكون هناك نوع من التقارب الطبيعي. ولكن، إن بدأ شخص واحد بتناول الأطعمة الصحية، فستظهر فجأة الكثير من الرغبات المعارضة. وفجأة ستجد أن هناك شجارًا حول المكان حيث ستتناولون العشاء. ومثلما يجب عليك ألا تهجر مسارك الجديد؛ لأن الآخرين لا يرضون عنه، يجب عليك ألا تهجر الآخرين أيضًا. لا تمحهم من حياتك أو تتركهم خلفك. لا تفضب منهم أو تتشاجر معهم. ففي نهاية المطاف، لا يزالون في المكان الذي تركته منذ وقت قريب.

١٨ يوليو

كل شخص سيد قراره

"يختلف خيارى العقلانى عن خيار جارى العقلانى، مثلما تختلف أنفسنا وأجسامنا. فرغم أننا خلقنا من أجل التعاون فيما بيننا، فإن المنطق المسيطر لكل منا هو سيد شئونه. وإن لم يكن الأمر على هذا المنوال، قد يصبح الشر الكامن في نفس شخص لخر ضرراً لي، ولم يُقدر أن يتحكم أي شيء في حظي العاثر".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

قامت الدول الحرة على أساس أن حريتك تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين. بمعنى أن كل شخص يمتلك الحق في فعل ما يحلوه مادام لم يتعد وجودك المادي أو النطاق المحيط به. لذا يمكن استخدام هذه المقولة كفلسفة شخصية رائعة أيضاً.

ولكن، سيتطلب العيش بهذه الطريقة فرضيتين على جانب كبير من الأهمية: الأولى، عليك أن تعيش حياتك بطريقة لا تؤثر بالسلب على الآخرين، والثانية، يجب أن تكون منفتح الذهن ومتقبلاً بالقدر الذي يكفي لأن تدع الآخرين يفعلون المثل.

هل يمكنك أن تفعل هذا حتى إن لم تكن تتفق مع خياراتهم؟ هل يمكنك أن تستوعب أن حياتهم تخصصهم كما أن حياتك تخصصك، وأن هناك الكثير من الأمور التي تدفعك للصراع مع نفسك من دون أن تززع الآخرين؟

١٩ يوليو

سامحهم لأنهم لا يعرفون

"كما قال أفلاطون، تُحرم كل روح من الحقيقة رغماً عن إرادتها. وينطبق الأمر ذاته على العدالة، والسيطرة على النفس، والنيات الحسنة تجاه الآخرين، وجميع الفضائل المشابهة. ومن الضروري أن تواصل وضع تلك الفكرة في ذهنك؛ لأنها ستجعلك أكثر دماثة مع الجميع".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

بينما كان أحد الرجال الصالحين يشق طريقه في المدينة للوصول إلى أحد التلال، كان عانى كثيراً. فقد تعرض للضرب والجلد والطمع، وأجبر على حمل أثقال هائلة على ظهره، ثم تم تقييده بجوار مجرمين دنيئين. ومن هذا المكان ظل ينظر إلى جلاديه وهم يتشاورون حول من سيحتفظ بملابسه، بينما عامة الناس يهينونه ويسخرون منه.

بصرف النظر عن معتقداتك الراسخة، ستجعل الكلمات التالية التي قالها ذلك الرجل الصالح – على اعتبار أنه كان يعاني عذاباً لا يتحملة بشر – جسديك يقشعر؛ فقد نظر ذلك الرجل الصالح نحو السماء وقال: "يا إلهي، اغفر لهم، فهم لا يعلمون ما يفعلون".

تلك هي الحقيقة نفسها التي تحدث عنها أفلاطون قبل قرون، والتي تحدث عنها ماركوس بعد قرنين من ذلك الرجل الصالح، والحقيقة التي كان يقولها الناس عندما كانوا يُعدمون بقسوة تحت حكم ماركوس: سامحهم يا إلهي، فإنهم لا يرون الحق، ولم يكونوا ليفعلوا ذلك لو كانوا يرونه. استخدم تلك المعرفة لكي تكون دمثاً وكريماً.

٢٠ يوليو

خُلقت من أجل العدالة

"إن الشخص الظالم لنفسه وللآخرين لا يحقق إرادة الله في الأرض؛ حيث إن البشر خلقوا على الأرض من أجل بعضهم الآخر، ولكي يضعوا نصب أعينهم الفائدة المتبادلة بناءً على القيمة الحقيقية بعيداً عن الضرر، وأياً من كان يعمل ضد الطبيعة البشرية، فإنه يعمل بالتالي ضد إرادة الله".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

نصف دومًا أكثر الجرائم شرًا بأنها جرائم ضد الطبيعة البشرية، ونعتبر أفعالاً يعينها تحديًا للإنسانية، ونقول: "إن هذه الأفعال تتعارض مع جميع معتقداتنا الراسخة". ورغم اختلاف خلفياتنا الثقافية والسياسية والطبقية والتنوعية، فإننا نتفق جميعًا على هذا الأمر.

لماذا؟ لأن حسننا بالعدالة راسخ عميقًا في داخلنا. لن يعجبنا أن يتخطانا أحد في الصف، ولا من يعيشون عائلة على الآخرين، ونمرر قوانين من شأنها حماية الضعفاء، وندفع ضرائبنا ونوافق، جزئيًا، على إعادة توزيع ثرواتنا ليشاركنا فيها المحتاجون. وفي الوقت ذاته - على حد قول البعض - إن كنا نمتد أننا سننجو بأفعالنا الخاطئة، لكننا نحسنا أو تحايلنا على القوانين. ففي إعادة صياغة لكلمات بيل والش: عندما نُترك لضمائرنا، يسعى الكثيرون منا إلى اتباع الطرق الملتوية.

المفتاح هنا هو أن ندعم نزوعنا الطبيعي نحو العدالة مع الحفاظ على حدود قوية والتزامات قوية من أجل اعتناق - كما حدث لنكولن أمتة المنقسمة الفاضبة على أن تفعل - "الجوانب الأفضل من طبيعتنا".

٢١ يوليو

خَلَقْنَا مِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ مَعًا

”عندما تواجه صعوبة في الاستيقاظ في الصباح، تذكر أنك خُلقت من أجل العمل مع الآخرين، في حين تتشارك الحيوانات، غير العاقلة، النوم. وهدفنا الطبيعي هذا هو أكثر ما يناسبنا وأكثر ما يرضينا“.

— ماركوس اوريليوس، من كتاب *Meditations*

إن نام كلب طوال النهار في فراش - فراشك على الأرجح - فلا بأس بهذا؛ حيث إنه مجرد كلب؛ لا يوجد مكان يجب أن يذهب إليه، ولا التزامات عليه من أي نوع عدا أن يكون كلبًا. طبقًا لأتباع الفيلسفة اليونانية، علينا كبشر التزامات أكبر - ليس نحو العالم، بل نحو بعضنا الآخر. ما الذي يحفزنا على النهوض من أسرتنا كل صباح - حتى لو كنا نواجه صعوبة في هذا الأمر مثل ماركوس - لنضطلع بالأمور التي نعملها كل يوم. إن الحضارة والأمة هي المشروعات العظيمة التي نتعاون لبنائها، وظللنا نتعاون مع أسلافنا على بنائها طوال ألفية كاملة. لقد خُلقتنا لتتعاون مع بعضنا.

لذا، إذا كنت بحاجة إلى حافز إضافي للنهوض من الفراش هذا الصباح، وإذا كنت بحاجة لشيء أقوى من الكافيين لتفريق، فاستخدم ما يلي: تذكر أن الناس يعتمدون عليك، وأن هدفك في الحياة هو التعاون معهم على تحقيق ذلك العمل العظيم، وأننا جميعًا نتحرق شوقًا لظهورك.

٢٢ يوليو

لا يوجه أحد مسدسًا نحو رأسك

"لا يوجد أي سمو في فعل أي شيء رغماً عنك أو عندما تكون تحت التهديد؛ فجميع الأعمال النبيلة تطوعية".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

لا يوجد ما يجبرك بأن تفعل الصواب، فلديك دومًا الخيار لأن تكون أنانيًا ووقحًا ولا تطلق ومنعدم البصيرة ومتحذلقًا وشريرًا وغبيًا. فني واقع الأمر، أحيانًا ما تكون هناك بعض المحفزات التي تدفعك نحو الشر، ومما لا شك فيه أن بعض المجرمين ينجون من العقاب.

ولكن، ما نتيجة أسلوب التفكير هذا مع الناس؟ كيف تبدو تلك الحياة؟ لست مُجبرًا على فعل الصواب، كما لا يجب عليك أن تؤدي واجبك؛ بل عليك أن ترغب في ذلك.

٢٢ يوليو

تقبل التكريم والازدراء بالطريقة ذاتها

"تقبل الأمور دون تفاخر، وتخل عن الأمور دون تشبث".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

خلال فترة انهيار الجمهورية اليونانية، في أثناء الحرب الأهلية بين بومبيوس والقيصر، قرر بومبيوس إسناد قيادة الأسطول العسكري إلى كاتو. وقد كان هذا شرفًا كبيرًا ومنصبًا رفيعًا جدًا، ولكن، بعد بضعة أيام، واستجابة للمعارضين والفيوريين من الحاشية، غيّر بومبيوس رأيه وسحب من كاتو القيادة. كان كاتو يمكن أن ينظر إلى الأمر على أنه إهانة كبيرة على المثل – أن تحصل على ترقية ثم تُسحب منك. إلا أن السجلات تُظهر أن كاتو لم تصدر عنه أية ردة فعل. لقد كانت ردة فعله تجاه التشريف وسحبه واحدة: بلامبالاة وتقبل. كما أنه لم يسمح لذلك الأمر بأن يؤثر على دعمه تلك القضية. في واقع الأمر، وبعد هذا الازدراء، عمل على إعداد الجنود للمعركة بواسطة خطاباته الملهمة – الرجال أنفسهم الذين كان من المفترض أن يكون قائدًا لهم. هذا ما يقوله ماركوس: لا تأخذ حالات الازدراء على محمل شخصي – وكذلك الجوائز والتقدير، خاصة إذا كان من واجبك أن تناصر غاية مهمة. لا تعبر التفاصيل التافهة على غرار الترقي في المناصب من عدمه عنك كشخص، بل سلوكياتك وحدها – كما فعل كاتو – هي ما سيفعل.

٢٤ يوليو

هناك شخص ما يحتضر في مكان ما

"عندما تصلك أخبار مزعجة، ضع في اعتبارك أنه لا أخبار ستكون على صلة بخيارك العقلاني. هل يمكن لأحد أن يوصل أخبارًا لك تتعلق بأن فرضياتك أو رغباتك خطأ؟ لن يحدث أبدًا. ولكن، قد يخبرونك بأن شخصًا ما قد مات - وحتى إن حدث ذلك، ما الذي سيَعنيه هذا بالنسبة لك؟"

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

قلم يسألك صديق حسن النية اليوم: "ماذا تعتقد بشأن — (اذكر أية مأساة من مكان آخر من العالم)؟". وقد تقول، بالقدر نفسه من حسن النية: "يا للشعور الرهيب الذي انتابني من أجلهم!"

في هذا السيناريو، نحيث أنت وصديقك الخيار العقلاني جانبيًا من دون أن تفعل أي شيء من أجل الضحايا الذين يعانون المأساة الحقيقية. قد يكون من السهل جدًا أن تشغل بذلك، أو حتى تفرق حتى أذنيك بالأخبار الرهيبة الآتية من جميع أنحاء العالم. ولن تكون ردة فعل أتباع الفلسفة اليونانية على تلك الأحداث هي اللامبالاة، بل عدم الانشغال بها، حيث إن التعاطف الذي لا طائل منه لن يفيد بشيء أيضًا (ويأتي على حساب سكينته المرء في معظم الأحيان). فإذا كان هناك أمر يمكنك فعله لتخفيف المعاناة عن أولئك الناس، فحينها، نعم، ستكون تلك الأخبار ذات صلة بخيارك العقلاني (وردة فعلك). إن لم تسهم بأي شيء عدا التعاطف، فسيكون من الأفضل بالنسبة لك أن تعود لتأدية واجبك - تجاه نفسك وعائلتك ووطنك.

٢٥ يوليو

ما المكتوب على شاهد قبرك؟

"عندما ترى شخصاً ما يتفاخر دوماً بوضعه أو منصبه، أو سمعت اسم شخص ما يتردد كثيراً بين العامة، لا تشعر بالفيرة، فإن مثل هذه الأمور تأتي على حساب الحياة نفسها... يموت البعض وهم لا يزالون على درجات النجاح الأولى، والبعض الآخر قبل أن يصلوا إلى قمته، وقلة فحسب هم من يمكنهم تحقيق قمة طموحاتهم عبر فعل الآلاف من الأمور المخجلة التي يكتشفون في النهاية أنها لن تنفعهم بشيء سوى أنها ستُكتب على شواهد قبورهم".

— سينيكا، من كتاب *On the Brevity of Life*

في بعض الأحيان، يصبح التزامنا المهني غاية في حد ذاته. فقد يبرر السياسي إهماله لأسرته متذرعاً بمنصبه، أو قد يعتقد الكاتب أن "عبقريته" تمد مبرراً لسلوكياته الانعزالية أو الأنانية. ويمكن لأي شخص يمتلك وجهة نظر شديدة أن يدرك ذلك، فعلى أرض الواقع، قد يكون السياسي واقعاً في حب الشهرة، وقد يستمتع الكاتب بالتعامل بفرور ليحس بأفضليته. وعادة ما يخرج المدمنون على العمل بأعذار تيرر أنانيتهم.

في حين قد تؤدي تلك التوجهات إلى تحقيق إنجازات مذهلة، فمن النادر بالنسبة لهم أن يبرروا تكلفتها. إن القدرة على العمل الجاد لفترات طويلة أمر مثير للإعجاب. ولكنك بشر، ولست مجرد عمل. يقول سينيكا إننا لسنا حيوانات، ويسأل: "هل سيكون من الرائع أن تموت في أثناء العمل؟". وصاغ ألكسندر سولجنستين الأمر بطريقة أكثر وضوحاً حين قال: "العمل هو ما تموت الخيول بسببه - على الجميع أن يدركوا ذلك".

٢٦ يوليو

عندما لا يفعل الأخيار شيئاً

"عادة ما يكمن الظلم في الأمور التي لا نفعلها، وليس فقط في الأمور التي نفعلها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

يمتلئ التاريخ بأدلة على أن البشر قادرين على ارتكاب الشرور، ليس بطريقة ظاهرة فحسب، بل بطريقة خفية أيضاً، ففي بعض من أكثر الأفعال التي تخجل منها البشرية – من العبودية إلى الاضطهاد النازي إلى التمييز العرقي إلى مقتل كيتي جينوفيزي – لم يقتصر الذنب على مرتكبي الجرائم فحسب، بل على مواطنين عاديين رفضوا – لأسباب عدة – التورط في عدم تلاقي الأمر. وهناك مثل قديم يقول: لن يظهر الشر إن لم يفعل الأخيار شيئاً. لا يكفي ألا ترتكب الشرور، بل يجب أن تكون من قوى الخير في العالم – قدر إمكاناتك.

٢٧ يوليو

أين يكون كل شيء أفضل؟

"لا شك في أنك إذا وجدت أي شيء في حياة البشر أفضل من العدالة والحقيقة والسيطرة على النفس والشجاعة - باختصار، أي شيء أفضل من كفاءة عقلك، والتي تحافظ على تصرفك طبقاً لمتطلبات المنطق الحقيقي وتقبل ما يمنحك القدر إياه بما يتخطى قدرتك على الاختيار - أقول لك: إن تمكنت من رؤية أي شيء أفضل من هذا، تحول إلى قلبك وعقلك واستغل الخير الأكبر الذي عثرت عليه".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لقد طاردنا جميعاً الأمور التي اعتقدنا أنها قد تهم. ففي مرحلة ما، اعتقدنا أن المال هو الحل، وأن النجاح هو الهدف، وأن الحب الأبدي سيجعلنا نشعر بالدفء الداخلي. ما الذي سنكتشفه عندما نحقق كل هذا؟ ليس أن الأمور فارغة أو لا معنى لها - من لم يحققها قط قد يفكر بهذه الطريقة - بل سنكتشف أنها لا تكفي.

المال يخلق المشكلات، وتسلق أحد الجبال يكشف عن القمة التالية الأعلى؛ ولن يوجد أبداً ما يكفي من الحب.

هناك أمر أفضل: الفضيلة الحقيقية؛ فهي جائزة في حد ذاتها؛ فهي الخير الذي يكشف عن نفسه ليبدو أفضل مما توقعنا، وهي من الأمور التي لا يمكن أن يمتلكها المرء بالتدريج - إما أننا نملكها أو لا نملكها. ولهذا السبب، تعتبر الفضيلة - المكونة من العدالة والنزاهة والانضباط والشجاعة - الشيء الوحيد الذي يستحق السعي من أجله.

٢٨ يوليو

تفحص أفضليتك

"بعض الأشخاص أذكاء والبعض الآخر أغبياء، وبعضهم نشأ في بيئة جيدة، والبعض الآخر نشأ في بيئة سيئة، والفئة الثانية، التي تمتلك عادات وتنشئة أسوأ، ستحتاج إلى المزيد من الإثباتات والتعليمات الدقيقة من أجل حفظ تلك التعاليم وتشكيل شخصياتهم وفقاً لها - بالطريقة ذاتها التي يجب أن تحصل بها الأجسام المريضة على الكثير من الرعاية من أجل الوصول إلى حالة صحية مثالية".

— موسونيوس روهوس، من كتاب *Lectures*

في نهاية حوار سيئ، قد تفكر قائلاً: هذا الشخص غبي جداً، أو تسأل، لم لا يمكنه أن يفعل الصواب؟

ولكن، لا يمتلك الجميع الميزة نفسها التي تملكها. لا يجدر بك القول إن حياتك كانت سهلة - إنك متقدم على الآخرين فحسب. لهذا السبب، واجبنا أن نستوعب الآخرين ونصبر عليهم.

الفلسفة عبارة عن تكوين روحاني، يراعي الروح. وقد يحتاج بعض الأشخاص لرعاية أكثر من البعض الآخر، مثلما يمتلك البعض تمثيلاً غذائياً أفضل أو ولدوا أطول قامة من الآخرين. فكلما زادت قدرتك على مسامحة الآخرين وتحملهم - وزاد إدراكك لمميزاتك وأفضليتك المتعددة - زادت مساعدتك للآخرين وصبرك عليهم.

٢٩ يوليو

علاج الذات

"يصبح المرء الذي يستخدم الفلسفة كعلاج لنفسه ذا روح عظيمة، ومليئاً بالثقة ومنيئاً أمام الصعوبات - ويزداد تأثير الفلسفة كلما زاد قربك منها".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

هنا "علاج الذات"؟ ربما كان سينيكا يعني أنه عبر الطبيعة والتربية، تطور مجموعة مميزة من السمات - بعضها إيجابي وبعضها سلبي. وعندما تبدأ تلك السمات السلبية بفرض تأثيرها على حياتنا، يتجه بعضنا إلى العلاج أو التحليل النفسي أو طلب مساعدة مجموعات الدعم. وما الهدف؟ علاج أجزاء معينة من الأنانية والتدمير من أنفسنا.

ولكن، من بين جميع طرق علاج سماتنا السلبية، كانت الفلسفة هي أكثرها نضاً، وهي التي ساعدت العدد الأكبر من الأشخاص. إنها لا تهتم بتخفيف تأثيرات الأمراض العقلية أو العصبية فحسب، بل تم تصميمها أيضاً من أجل تشجيع الازدهار الإنساني. ولقد صُممت لمساعدتك على عيش حياة جيدة.

ألا تستحق أن تزدهر؟ ألا ترغب في أن تكون روحك عظيمة مليئة بالثقة والمعانة من الأحداث الخارجية؟ ألا تود أن تكون مثل البصلة، بمعناها الحرفي، مليئاً بطبقات عديدة من العظمة؟

مارس فلسفتك إذن.

٣٠ يوليو

بهجة الفلسفة اليونانية

"ثق بي، إن البهجة الحقيقية أمر خطير. هل تعتقد أنه يمكن لشخص ما أن يرفض الموت بمرح عبر مزاجه الجيد؟ أو أن يفتح الباب أمام الفقر مع الحفاظ على متعته، أو أن يتأمل تحمل المعاناة؟ إن المرء الذي يرتاح إلى تغيير تلك الأفكار ستمتلئ روحه بالسعادة الحقيقية، ولكنه نادراً ما يكون مبهجاً. إنها السعادة نفسها التي أمل أن تمتلكها، حيث إنها لن تنضب إن تأكدت من امتلاكك لمصادرهما".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

إفتأ نتقوه بكلمة "البهجة" من دون أن نلتفت لها: "لقد أبهجتني الأخبار"، "إنها تنشر البهجة في أي مكان توجد فيه"، "إنها مناسبة مبهجة". ولكن، لا يقترب أي من الأمثلة السابقة من البهجة الحقيقية، والتي هي أقرب إلى "الفرحة" من أي شيء آخر. إن الفرحة هي مستوى أقل من البهجة.

بالنسبة إلى سينيكا، تعتبر البهجة حالة عميقة من الوجود. إنها ما نشعر به في داخلنا ولا تتعلق كثيراً بالابتسامات أو الضحكات. لذا عندما يقول أحد عن أصحاب الفلسفة اليونانية إنهم صارمون أو كئيبيون، فإنهم يثبتون أنهم لا يعلمون شيئاً عنهم. من قد يهتم بمدى حماسة المرء عندما تكون الأوقات جيدة؟ أي نوع من الإنجاز هذا؟

ولكن، هل أنت راضٍ عن حياتك بالكامل، هل يمكنك أن تواجه بشجاعة ما تخزنه الحياة لك كل يوم؟ هل يمكنك أن تنجي نفسك من جميع أنواع المحن من دون أن تتأثر؟ هل يمكنك أن تكون مصدرًا للقوة والإلهام لمن حولك؟ تلك هي بهجة الفلسفة اليونانية - البهجة النابعة من الأهداف والتميز والواجب. إنها أمر جدي - أكثر جدًا من الابتسام أو نبرة الأصوات المنفصلة.

٢١ يوليو

مسيرتك المهنية ليست حكماً بالسجن مدى الحياة

"يا لمهانة المحامي الذي قد يبدأ بالاحتضار في المحكمة، ورغم ذلك لا يتوقف عن الترافع أمام خصوم لا يعرفهم محاولاً تلقي دلائل القبول من جمهور جاهل".

— سينيكا، من كتاب *On the Brevity of Life*

كل بضع سنوات، تظهر بعض الأخبار المحزنة على صفحات الجرائد: مليونير مسن، لا يزال المتحکم الأول في إمبراطوريته الاقتصادية، يخضع للمحاكمة. ويذهب المساهمون وأفراد أسرته إلى المحكمة ليدلوا بشهاداتهم بأنه لم يعد مؤسلاً من الناحية الذهنية لاتخاذ القرارات، وأن مؤسس الشركة لم يعد أهلاً لإدارة شؤونها التجارية والقانونية. وهذا لأن هذا الرجل القوي رفض التنازل عن سلطاته أو وضع خطة تحدد من يخلفه، وبالتالي يتعرض لأقسى أنواع المهانة: أشف أكثر نقاط ضعفه خصوصية على الملأ.

يجب علينا ألا ننشغل بأعمالنا لدرجة اعتقادنا أننا منيعون ضد التقدم في العمر. من يرغب في أن يكون المرء الذي لا يتخلى عن أي شيء كان إذن؟ هل يوجد معنى محدود في حياتك إن كان مسعاك الوحيد في الحياة هو أن تعمل حتى تُحمَل في النهاية في كفنك؟

افتخر بعملك، ولكنه يجب ألا يكون حياتك بأكملها.

أغسطس

الواقعية

١ أغسطس

لا تتوقع الكمال

"ذلك الخيار مر المذاق؛ لذا ألقي به بعيداً. هناك أشواك على الطريق، وابتعد عن ذلك الطريق. يكفي ما قيل. لم تتأمل في وجود الضرر؟ سيجعلك هذا التفكير مادة ثرية للضحك من وجهة نظر الدارس الحقيقي للطبيعة، مثلما قد يضحك منك النجار أو الاسكافي إن أشرت إلى نشارة أو كسر الخشب على أرضية ورشهم. ورغم أن هؤلاء الحرفيين يمتلكون سلال مهملات في ورشهم، فإن الطبيعة لن تحتاج إليها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

فرغيب دومًا في أن يكون كل شيء مثاليًا؛ لذا، فإننا نخبر أنفسنا بأننا سنبدأ، مجرد أن تصبح الظروف ملائمة، أو بمجرد أن تصب الاحتمالات في صالحنا. حينها، سيكون من الأفضل التركيز على أن نرضى بالأمر كما هي. يذكر ماركوس نفسه: "لا تنتظر كمال مدينة أفلاطون الفاضلة". إنه لم يكن يتوقع أن يصبح العالم على الشاكلة التي أرادها بالضبط، إلا أن ماركوس أدرك بفطرته، كما سيكتب الفيلسوف جوزيف بيبير في عصر لاحق، أنه "لن يتمكن أحد من فعل الخير إلا من يدرك ما تبدو عليه حقيقة الأمور وحقيقة موقفه".

واليوم، لن ندع إدراكنا الأمن للعالم يمنعنا من محاولة استقلاله الاستقلال الأمثل. ولن ندع أي إزعاج أو عقبات صغيرة تعترض طريق الأعمال المهمة التي نقوم بها.

٢ أغسطس

يمكننا أن نعمل بأية طريقة كانت

"كيف يمكن أن يكون النفي عقبة أمام ثقافة المرء، أو بلوغه الفضيلة إن لم ينقطع عن التعلم أو الممارسة التي قصد بالنفي إبعاده عنها؟"

— موسونيوس روفوس، من كتاب *Lectures*

في نهاية حياته، وبعد خضوعه لعملية جراحية، قيل لـ "تيودور روزفلت" إنه قد يحتاج إلى استخدام كرسي متحرك لما بقى من حياته، فقال بحماسة المعهودة: "لا بأس، لن يمنعني هذا من العمل".

هذه هي الطريقة التي يجب أن نرد بها على أكثر تحولات القدر تعجيزاً العمل ضمن أي حيز يُتاح لنا، فلن يمنعنا شيء من التعلم. في واقع الأمر، عادة ما تكون المواقف العصيبة عبارة عن فرص للتعلم، حتى إن لم تقدم نوعيه التعلم التي نفضلها.

وقد نُفي موسونيوس روفوس ثلاث مرات (مرتين بواسطة نيرون و مرة بواسطة فيسباسيان)، إلا أن إبعاده القسري عن حياته ووطنه لم يثته عن دراسة الفلسفة. فقد كان رده، بأسلوبه المعهود: "لا بأس، لن يمنعني هذا من العمل". وقد فعل، وتمكن من توفير بعض الوقت خلال النفي للجلوس مع أحد تلامذته واسمه إيكيتيوس، الذي ساعده على تعريف العالم بالفلسفة اليونانية.

٣ أغسطس

الحياة الجيدة في كل مكان

"في هذه اللحظة، لست في رحلة، بل إنك تتجول دون هدى، تقودك دوافعك من مكان إلى آخر، حتى إن كان ما تسعى إليه - أن تعيش حياة جيدة - يوجد في كل مكان. هل يوجد مكان يمتلئ بالتشتت أكثر من الساحة العامة؟ حتى في هذا المكان، يمكنك أن تعيش في سلام، إن احتجت لهذا".

— سينيك، من كتاب *Moral Letters*

شكا كاتب معروف ذات مرة من أنه عندما حقق النجاح كان أصدقاؤه الأثرياء رداً عونته دائماً إلى منازلهم الجميلة الأنيقة. فكان أحدهم يقول: "تعال معنا إلى منزلنا في جنوب فرنسا"، ويقول آخر "إن كوخ تزلجنا في سويسرا مكان رائع للكتابة". وقد طاف الكاتب العالم يعيش في رفاهية، على أمل العثور على الإلهام والإبداع في تلك المنازل الملهمة. ولكن نادراً ما تحقق له ذلك. فقد كان باستمرار متشوقاً إلى زيارة منزل أفضل. وكانت هناك دوماً الكثير من الإلهاءات، والكثير من الأمور لفعالها - ولازمه انقطاع إلهام الكاتب وعدم الشعور بالأمان اللذان يصيبان المبدعين أينما ذهبوا.

إننا نخبر أنفسنا بأننا بحاجة إلى السياق المناسب قبل أن نشمر عن سواعدها ونبدأ العمل بجهد، أو نخبر أنفسنا بأن الذهاب في عطلة أو قضاء الوقت بمفردنا سيكون في صالح العلاقة أو الشفاء من المرض. ويعتبر هذا الأمر خداعاً للذات في أنقى صورته.

من الأفضل أن نكون واهمين وقادرين على التكيف - أن نكون قادرين على حمل ما نريد في أي وقت وأي مكان. إن أفضل مكان لتؤدي عملك وتعيش حياة مهددة، هو هنا.

٤ أغسطس

تخل عن اللوم، وركز

"يجب عليك أن تتوقف عن لوم الظروف، وليس لوم جميع البشر. يجب أن تتحكم في رغباتك بالكامل وأن تتجنب ما تريده ويوجد ضمن نطاق خيارك العقلاني. لا يجب أن تشعر بالغضب أو الاستياء أو الحقد أو الندم بعد الآن".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

السجن نيلسون مانديلا ٢٧ عامًا بسبب معارضته للنظام العنصري الوحشي الذي كان يحكم جنوب إفريقيا في ذلك الوقت. وطوال ١٨ عامًا من فترة سجنه كان يعيش حياة قاسية للغاية، وكان ينام على سرير خشب في زنزانته الصغيرة، وكان يُسمح له بزيارة واحد مرة كل عام - لثلاثين دقيقة فقط. كان الهدف من تلك المعاملة القاسية عزل السجناء وكسر شوكتهم. ولكن، ورغم كل ما تعرض إليه، أصبح مانديلا مثالاً للكرامة داخل السجن.

فرغم حرمانه من الكثير من الأشياء، كان يعثر على طرق مبتكرة للحفاظ على إرادته. وقد وضع أحد زملائه في السجن - نيفيل ألكسندر - هذا الأمر في كتاب *Frontline*: "كان مانديلا مثالاً حيًا لتلك الفكرة، فعندما كانوا يقولون إنه يجب أن يعدو، كان يصر على السير. وإن أصروا على السير بسرعة، كان يصر على السير ببطء. لقد كانت تلك هي الفكرة بأكملها، وكنا نحن من نضع القواعد". كان يتظاهر بأنه يمارس تمرين نط الحبل والرياضات القتالية ليحافظ على لياقته. وكان دومًا يرفع رأسه عاليًا على النقيض من بقية السجناء، وكان يشجعهم عندما تسوء الأحوال، وكان يحافظ دومًا على ثقته بنفسه.

تلك الثقة بالذات في متناول يديك أنت أيضًا. بصرف النظر عما قد يحدث اليوم، وبصرف النظر عن المكان الذي تجد نفسك فيه، تحول إلى ما يوجد داخل نطاق خيارك العقلاني. تجاهل، قدر إمكانك، تلك المشاعر الطارئة التي من السهل أن تلهي نفسك بها. ولا تكن عاطفيًا - وركز.

٥ أغسطس الصمت قوة

"يعد الصمت من الدروس المستفادة من المعاناة في الحياة".

— سينيكا، من كتاب *Thyestes*

تذكر المرة الأخيرة عندما قلت أمرًا غيبًا، فقد انعكس هذا الأمر بالسلب عليك. لم قلته؟ من المرجح أنك لم تكن تحتاج لقوله، ولكن، ربما اعتقدت أن قوله سيجعلك تبدو ذكيًا أو رائدًا أو مقبولًا من الجميع.

لقد كتب روبرت جرين: "كلما زادت كلماتك، زادت احتمالات أن تتفوه بالحماقات"، ونضيف إلى ذلك: كلما زادت كلماتك، زادت أرجحية أن تفوت الفرص وأن تتجاهل التعليقات المفيدة وأن تسبب لنفسك المعاناة.

إن السذج والخوافين يتحدثون من أجل طمأنة أنفسهم، فالقدرة على الاستماع والبقاء خارج المناقشات عن عمد والتمسك بموقفك من دون الحاجة إلى إثبات صحته، أمر نادر الوجود. ويمتبر الصمت طريقة لزيادة القوة والاكتفاء الذاتي.

٦ أغسطس

هناك مساحة متوافرة للمناورة أكبر مما تظن

"لجبر نفسك على التفكير في الصعوبات التي تواجهها - يمكن التخفيف من وقع الأوقات العصيبة، ويمكن توسعة الضائقات، ويمكن تخفيف الأعباء الثقيلة على الذين يمكنهم استخدام الضغوط المناسبة".

— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

هل مررت بموقف كنت فيه تخسر مباراة ولا أمل لك في الفوز بها، ولكن تبدل كل شيء فجأة وهزئت؟ تذكر ذلك الوقت عندما كنت تعتقد أنك ستسب في الاختبار، ولكنك تمكنت من النجاح بدرجات جيدة عبر الاستذكار طوال الليل وبيعض المساعدة من الحظ؟ هل تذكر ذلك الحدس الذي اتبعته رغم تخلي الجميع عنه - والذي تبين في النهاية أنك كنت على صواب؟

كل ما تحتاج إليه الآن هو هذا النوع من الطاقة والإبداع والإيمان بنفسك. إن الانهزامية لن تساعدك على تحقيق أي شيء (سوى الهزيمة). إلا أن تركيز كامل جهودك على جزء صغير من الصورة، وجانب ضئيل من الفرصة هو أفضل ما يمكنك فعله. لقد قال أحد مساعدي ليندون جونسون ذات مرة إنك عندما تكون برفقة ذلك الرجل "ينتابك ذلك الشعور - أنك إذا فعلت أي شيء، فستنجح في أي شيء". أو كما قال ماركوس أوريليوس، إن كان الأمر لا يتخطى قدرات البشر، فسيمكنك فعله.

٧ أغسطس

واقعي وصاحب مبادئ

"أينما تمكن المرء من العيش، يمكنه أن يعيش في رخاء، وحتى الحياة في السجن، يمكن للمرء أن يعيشها في رخاء أيضًا".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

أشار ويليام لي ميللر، في "سيرته الذاتية الأخلاقية" الفريدة من نوعها عن أبراهام لينكولن، إلى نقطة مهمة تتعلق بهذا الرئيس الشهير: فَرَطَ تعظيمنا للرجل يجبرنا على التظاهر بأنه لم يكن سياسيًا، ومن ثم نركز على بداياته المتواضعة وتعليمه لنفسه وخطاباته الرائعة، مع تجاهل عمله، السياسة. ويجعلنا هذا الأمر نفوت الأمر الرائع بشأنه: كان لينكولن إنسانًا رائعًا - متعاطفًا ومتأنيبًا وعادلًا ومنفتحًا وذا هدف في الحياة - رغم كونه سياسيًا. لقد كان كل ما يعجبنا في مهنة لا يعمل بها إلا أشخاص على النقيض تمامًا من ذلك.

إن المبادئ والواقعية لا يتعارضان، وسواء كنت تعيش في المطبخ السياسي في العاصمة واشنطن، أو كنت تعمل بين ذئاب سوق المال في وول ستريت، أو نشأت في مدينة صغيرة محافظة، سيمكنك أن تعيش في رخاء - ولقد تمكن من هذا الكثيرون.

٨ أغسطس

ابدأ من حيث يبدأ العالم

"افعل الآن ما تطلبه منك الطبيعة، وافعله على الفور إن تمكنت. ولا تنظر حولك لترى إذا ما كان الناس سيلاحظون. ولا تنتظر تحقق كمال مدينة أفلاطون الفاضلة، وارض بأية خطوة نحو الأمام حتى لو كانت صغيرة، وانظر إلى النتائج على أنها لا تحمل أهمية كبيرة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هل سمعت من قبل العبارة التالية: "لا تدع الكمال يتحول إلى عدو الجودة؟" إن الفكرة لا تدور حول الرضا بمعاييرك أو التنازل عنها، بل ألا تعلق في المثالية. يفتح المنظم الاجتماعي "سول ألينسكي" كتابه *Rules for Radicals* بفكرة واقعية ملهمة، حيث قال:

"بدأت، كمنظم، من حيث يبدأ العالم، وليس من حيث وددت أن أبدأ. لا يعمل تقبلنا للعالم كما هو، بأية حال من الأحوال، على إضعاف رغبتنا في تغييره إلى ما نرى أنه يجب أن يكون - بل من الضروري أن نبدأ من حيث يبدأ العالم إن كنا نرغب في تغييره لما نرى أنه يجب أن يكون".

هناك الكثير من الأمور التي يمكنك فعلها الآن، اليوم، والتي من شأنها جعل العالم مكاناً أفضل. وهناك الكثير من الخطوات الصغيرة التي - إن أقدمت عليها - ستساعدك على تحسين الأمور. لا تخلق لنفسك الأعذار لعدم فعلها لأن الظروف غير مناسبة، أو لأن هناك فرصة أخرى قد تسنح لك في القريب. افعل ما يمكنك فعله، الآن. وعندما تفعلها، لا تجعلها تخرج عن منظورك الشخصي، ولا تُفَرِّط في التماخر بالنتائج، وتجنب كلاً من الغرور والأعذار، قبل العمل. وبعده.

٩ أغسطس

الالتزم بالحقائق دون غيرها

"لا تقل لنفسك أي شيء أكثر مما تخبرك به انطباعاتك الأولية. ربما قيل لك إن هناك من يتحدث عنك بالسوء من وراء ظهرك. انطباعتك الأولى - إنك لم تتعرض للضرر. أرى أن ابني مريض، ولكن حياته ليست معرضة للخطر. ابق دوماً داخل نطاق انطباعاتك الأولى، ولا تضيف إليها شيئاً في ذهنك - وبهذه الطريقة، لن يحدث لك أي شيء سيئ".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

قلم يبدو الأمر للوهلة الأولى مناقضاً لكل ما تعلمته في حياتك: ألم ندرّب عقولنا وتعلم مهارات التفكير النقدي لهدف محدد، وهو ألا نتقبل الأمور، نيمتها الظاهرية؟ نعم، في معظم الأحيان. ولكن، في بعض الأحيان قد يأتي هذا الأسلوب بنتائج عكسية.

ما يمتلكه الفيلسوف إلى جانب الأمور السابقة هو القدرة، كما قال نيتشه، "عليّ الابتعاد بشجاعة عن الأمور الظاهرية"، ورؤية الأمور ببساطة وموضوعية لا أكثر ولا أقل. نعم، كما يقول، كان أتباع الفلسفة اليونانية "سطحيين، ولكن بمق". واليوم، بينما ينجرّف الآخرون خلف أمور أخرى، سيكون هذا الأسلوب هو ما عليك ممارسته. هناك نوع من الواقعية المباشرة - رؤية الأمور كما أظهرتها لك الانطباعات الأولى.

١٠ أغسطس

الكمال عدو الفضل

"لم نتخل عن مساعينا بسبب ياسنا من جعلها كاملة".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

يتحدث علماء النفس عن التشويه المعرفي - أنماط تفكير مبالغ فيها ذات تأثير مدمر على حياة المريض. ومن بين أكثر أنواع هذا المرض شيوعًا، أسلوب تفكير الكل أو لا شيء (يُشار إليه أيضًا باسم الانقسام). وتشمل الأمثلة على هذا النوع من التفكير أفكارًا على غرار:

- إن لم تكن معي، فأنت ضدي.
- كذا وكذا، جيد بالكامل أو سيئ بالكامل.
- لأن هذا الأمر لم ينجح بالكامل، فقد فشل بالكامل.

يرتبط هذا النوع من التفكير المتطرف بحالات الاكتئاب والإحباط. وكيف لا يكون؟ نادرًا ما يؤدي تقصي الكمال إلى تحقيقه، بل يؤدي إلى خيبة الأمل. لا تشمل الواقعية مثل تلك العيوب، حيث إنها تتعلق بأخذ ما يتوافر لك؛ وهذا ما يذكرنا به إيكيتوس. لن نصبح كاملين أبدًا - إن كان هناك شيء اسمه الكمال من الأساس. إننا بشر في نهاية المطاف، ويجب أن يكون مسعانا موجهًا نحو التقدم، حتى إن لم نتمكن من إحراز إلا القليل منه.

١١ أغسطس

لا وقت للنظريات، بل للنتائج فقط

"عندما طرأت أماننا معضلة إذا ما كانت العادات أم النظريات هي أفضل ما يساعد البشر على امتلاك الفضائل - إن قصد بالنظريات ما نتعلمه لكي نفعل الصواب، والعادات ما نعتاد فعله وفقاً للنظريات - رأى موسونينوس أن العادات هي الأفضل".
- موسونينوس روفوس، من كتاب Lectures

يقول هاملت:

"هناك أمور في الدنيا والآخرة، يا هوراشيو، أكثر مما تخيله فلاسفتك".

لا وقت لأن نغير من منطقتنا لمحاولة التفكير فيما إذا كانت نظرياتنا صحيحة أم لا؛ حيث إننا نتعامل مع العالم الواقعي هنا. ما يهم هو طريقة تعاملك مع المواقف التي تواجهك وإذا ما كنت قادراً على النجاة منها لتواجه ما يليها. لا أقول هنا إن كل شيء يمر - ولكن لا يمكننا تجاهل حقيقة أنه على الرغم من أن النظريات نظيفة وبسيطة، فإن المواقف نادراً ما تكون كذلك.

١٢ أغسطس

اجعل الكلمات كلماتك

"الكثير من الكلمات خرجت من أفواه أفلاطون وزينو وكريسيبوس وبوسايدونيوس، والكثير من أتباع الفلسفة اليونانية المتميزين. وسأخبرك بكيف يمكن للناس أن يثبتوا أن الكلمات كلماتهم – أن يطبقوا بأفعالهم ما يقولون".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

من بين الانتقادات التي وُجّهت للفلسفة اليونانية من قبل المترجمين والمعلمين المعاصرين، كثرة التكرار. فعلى سبيل المثال، قال الأكاديميون عن ماركوس أوريليوس إنه ليس من فلاسفة الفلسفة اليونانية الأصليين لأن كتاباته كانت تكرارًا لكتابات الفلاسفة السابقين في الفلسفة اليونانية، إلا أن هذا النقد لم يلتفت لنقطة مهمة.

قبل ماركوس، كان سينيكا يدرك أن هناك الكثير من الاستعارة والتشابه بين الفلاسفة، وهذا لأن الفلاسفة الحقيقيين لم يهتموا بمرجعية التأليف، بل بالأفكار الناجحة. والأهم من كل هذا، آمن الفلاسفة بأن ما يقال أقل أهمية مما يتبع.

وهذا الأمر يظهر على أرض الواقع الآن، مثلما كان يظهر في عصرهم. لا بأس بأن تستخدم كلمات جميع الفلاسفة الكبار كما يحلو لك (فقد ماتوا، ولن يعترضوا). ويمكنك أن تعدلها وتتحققها وتحسنها كما يحلو لك، ويمكنك أن تكيفها بما يتوافق مع الظروف الواقعية للعصر الحالي. أما طريقة إثبات أنك تستوعب ما تقوله وتكتبه، وأنت صاحب فكر حقيقي أصيل، فهي أن تطبق تلك الكلمات، وأن تجعلها تظهر في أفعالك أكثر من أي شيء آخر.

١٢ أغسطس

سيطر على الأوضاع وأنه مشكلاتك

"لقد تحملت عددًا لا نهائيًا من المشكلات - جميعها بسبب عدم السماح لمنطقك المسيطر بالقيام بالعمل الذي وجد من أجله - يكفي هذا!"

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

كم مرة حدثت أشياء كنت تخشاها؟ كم من المرات دفعك القلق إلى التصرف بطرق ندمت عليها فيما بعد؟ كم من المرات سمحت للغيرة أو الإحباط أو الجشع، أن يقودك إلى المسار الخطأ؟

قد يبدو السماح لمنطقنا بالسيطرة على اليوم عملاً إضافيًا، ولكنه سيجنبنا بعض المشكلات، كما قال "بن فرانكلين" في مقولته الشهيرة: "جرام من الوقاية يساوي جرامًا من العلاج".

لقد صُمم عقلك من أجل القيام بهذه المهمة؛ حيث يمكنه التفرقة بين الأمور المهمة والأمور التافهة، ووضع الأمور في مكانها الصحيح، وألا ينشغل إلا بالأمور التي تستحق أن ينشغل بها. لذا، كل ما عليك فعله هو استخدامه.

١٤ أغسطس

ليس هذا من أجل المرح، بل من أجل الحياة

"الفلسفة ليست حيلة تجارية أو صُممت من أجل الاستعراض. إنها لا تهتم بالكلمات، بل بالحقائق. إنها لم تولف من أجل المتعة التي تهدر الوقت، أو من أجل تخفيف الملل في أوقات فراغنا؛ فهي تشكل الروح وتحسنها، وتنظم الحياة وترشد الأفعال وتُظهر ما يجب فعله وما لا يجب فعله - إنها ما يوجه مسارنا بينما نبحر في بحار الشك. فمن دون الفلسفة، لن يعيش أحد في أمان أو مراعاة. هناك عدد لا نهائي من الأمور التي تحدث كل ساعة والتي تحتاج إلى نصائح للتعامل معها، ولن تجد تلك النصائح إلا في الفلسفة".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

هناك قصة عن كاتو الأكبر والذي أصبح حفيده كاتو الأصغر أحد الرموز البارزة في المجتمع الروماني. ذات يوم، استمع كاتو إلى خطاب رائع ألقاه "كارنيادس"، أحد الفلاسفة المشككين، الذي ألقى الضوء بطريقة شعرية رائعة على أهمية العدالة. ولكنه في اليوم التالي، وجد كارنيادس يتحدث بشغف عن مشكلات العدالة - أنها مجرد أداة ابتكرها المجتمع من أجل تحقيق النظام. فشعر كاتو بالذعر من رؤية هذا النوع من "الفلاسفة" الذين يتعاملون مع مثل هذا الموضوع القيم وكأنه مناظرة يمكن للمرء فيها أن يجادل على طرفي النقيض من الموضوع من أجل الاستعراض فحسب. ماذا كان هدفه من كل هذا إذن؟

ومن ثم، عقد اجتماعًا لمجلس الشيوخ وأعاد كارنيادس إلى أثينا، حتى يمنعه من مواصلة إفساد أفكار الشباب الروماني بخدعه البلاغية. بالنسبة لأصحاب الفلسفة اليونانية، تعتبر فكرة الجدل ومناقشة معضلة بعينها - أو الاعتقاد بفكرتين متناقضتين والجدال في صالح كل منهما - إهمالًا ومضيعة للوقت والطاقة والاعتقاد. كما قال سينيكا، الفلسفة ليست خدعة مصممة من أجل المرح، بل صُممت من أجل الاستخدام - من أجل الحياة.

١٥ أغسطس

محكمة عقلك العليا

"يمكنني أن أخبركم بهذا الأمر بسرعة من خلال قليل من الكلمات: الفضيلة هي الخير الوحيد، ولا يوجد خير من دون فضيلة، حيث تكمن الفضيلة في الجانب النبيل من شخصياتنا، الجانب العقلاني. ما تلك الفضائل؟ إنها أحكام حقيقية ورأسخة. فمنها تنبع جميع النزعات الذهنية، وبواسطتها ستصبح جميع المظاهر التي تؤدي إلى نزعاتنا واضحة".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

فكر في شخص ما تعرفه يمتلك شخصية صلبة. لِمَ تراه شخصًا يُعتمد عليه، وأهلًا للثقة وتميزًا؟ ولم يمتلك سمعة جيدة؟ قد ترى لديه نمطًا: الثبات على المبدأ. فلا تظهر نزاهته في الأوقات الملائمة فقط، ولكن يقف إلى جوارك في الأوقات المهمة فقط؛ بل تظهر السمات التي تثير إعجاب الجميع به في جميع أفعاله (مع كل نزعة ذهنية). لِمَ نوقر أشخاصًا على غرار تيودور روزفلت، على سبيل المثال؟ ليس لأنه كان شجاعًا ذات مرة، أو رائفًا لمرة، أو صارمًا لمرة، بل لأن تلك السمات كانت تظهر جليلة في جميع القصص المرورية عنه. فعندما كان صغيرًا وضعيفًا، أصبح ملاكمًا. وعندما كان شابًا نحيفًا، كان يذهب إلى صالة الألعاب الرياضية في مسقط رأسه كل يوم، وكان يقضي فيها ساعات طوالًا. وعندما كان ممزق القلب بسبب فقدان زوجته ووالدته في اليوم نفسه، ذهب إلى باد لاند ورعى الماشية... وتطول القائمة.

إنك تُقدر بمجمل أفعالك، وبينما تفعل، سيعكس ما ينبع من نزعاتك الأفعال التي تقدم عليها. لذلك اختر بحكمة.

١٦ أغسطس

أي شيء قد يكون أفضلية

"مثلما أمدت طبيعة الأمور العقلانية كل شخص بقوتها العقلانية، فإنها تمدنا أيضاً بالقوة ذاتها - فمثلما تحول الطبيعة جميع العقبات والمعارضات لتصب في صالحها، فإنها تحدد موضعها من نظام الكون، وتحولها إلى مناصرين؛ لذا، يمكن لأي شخص عقلائي أن يحول أية عقبة إلى مادة خام يستخدمها لتخدم أهدافه".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

كان ماجسي بوجاس أقصر لاعب كرة سلة محترف على الإطلاق. وفي أثناء مسيرته المهنية بأكملها، تعرض للسخرية والاستخفاف والتجاهل. ولكنه نجح في تحويل قصر قامته إلى الشيء الذي أكسبه شهرة كبيرة على المستوى القومي. لقد كان البعض يرى أن حجمه نعمة عليه، ولكنه رأى هبة. فقد عثر على الأفضلية فيه. وفي واقع الأمر، كان للحجم الصغير على أرض الملعب الكثير من المميزات: السرعة والقدرة على خطف الكرات من اللاعبين (الأطول قامة منه بكثير) الذين لا يتوقعون منه فعل ذلك؛ وهي الأمور التي حملت اللاعبين الآخرين على عدم الاستخفاف به.

ألن تكون تلك الطريقة مفيدة في حياتك؟ ما الأمور التي تعتقد أنها عقبة بالنسبة لك، ولكنها في الواقع قد تكون مصدرًا خفيًا للأفضلية؟

١٧ أغسطس

الأموال تنتهي عند هذا الحد

"لا شيء خارج نطاق خياراتي العقلانية يمكنه عرقلته أو إلحاق الضرر به - ويمكن لخياراتي العقلانية وحدها أن تحقق هذا الأمر بمفردها. إن كنا سننهزم بهذه الطريقة عندما نفشل، فيجب ألا نلوم أحدًا إلا أنفسنا ويجب أن نتذكر أن الآراء وحدها هي التي تسبب اضطراب الذهن وفقدان الراحة، وإن فعلنا هذا، فمن المؤكد أننا سوف نحرز الكثير من التقدم".

— إيكيتيوس، من كتاب *Discourses* —

انظر اليوم إن كنت قادرًا على عيش حياتك دون أن تلقي باللوم على أي شخص أو أي شيء. فإن أفسد شخص ما تعليماتك - فأنت من توقع النقيض من هذا. إن قال شخص ما أمرًا مسيئًا - فإن حساسيتك هي ما فسر كلماته على هذا النحو. إن خسرت محفظتك الاستثمارية الكثير من المال - ماذا كنت تتوقع من تلك المغامرة الكبيرة؟ لم تتابع السوق يوميًا على أية حال؟

أيًا كان ما يحدث، وبصرف النظر عن مدى سوء الذي تراه عليه، انظر إذا ما كنت ستتمكن من إرجاع جميع الأمور إلى خياراتك العقلانية أم لا. وإن لم تتمكن من فعل هذا ليوم كامل، فانظر إن كنت تستطيع فعله لساعة واحدة. وإن لم تتمكن لساعة كاملة، فلدقيقة واحدة.

ابدأ من حيث تحتاج إلى البدء؛ فمن شأن دقيقة واحدة لا تلقي خلالها باللوم على أحد أن تكون خطوة كبيرة للأمام من أجل البراعة في فن الحياة.

١٨ أغسطس

الحمقى فقط هم من يندفعون

"الشخص الخير منيع، ولا يندفع للدخول في منافسات يكون فيها الطرف الأضعف. إن أردت أن تأخذ ممتلكاته، فافعل - وخذ أيضًا أشياءه ومهنته وجسده. ولكنك لن تتمكن أبدًا من فعل ما بدأ بفعله، أو إجباره على فعل ما يحاول تجنبه. إن المنافسات الوحيدة التي يدخلها الشخص الخير هي منافسات خياره العقلاني. كيف لا يكون مثل هذا الشخص منيعًا إذن؟"

— إيبكتيتوس، من كتاب *Discourses*

هناك مبدأ من مبادئ الفنون القتالية يعد أكثرها أهمية؛ وهو أن القوة يجب ألا تكون خصمًا للقوة. أي: لا تحاول أن تهزم خصمك فيما يتميز به، حيث سينتفوق عليك. ولكن، هذا ما نفعله بالتحديد عندما نحاول أداء مهمة مستحيلة ثم نكلف أنفسنا عناء التفكير فيها مليًا، أو عندما نسمح لأحد بأن يورطنا في أمر ما، أو عندما نوافق على كل شيء يأتي أمامنا.

يرى البعض أن عبارة "تخير معاركك" تدل على الضعف أو الخوف من عواقب الأمور. كيف قد يبدو تقليل عدد مرات الفشل أو الحد من الإصابات التي قد نتعرض لها من مظاهر الضعف؟ كيف يكون هذا أمرًا سيئًا؟ كما يقول المثل، الحذر أفضل جزء من الشجاعة، ويطلق أتباع الفلسفة اليونانية عليه اسم الخيار العقلاني. ويعني هذا أن تكون عقلاً نياً. فكر مليًا قبل الاختيار، واجعل نفسك منيعًا.

١٩ أغسطس

اجمع الأمور غير الضرورية

"يقال، إن كانت هناك مساحة خالية في ذهنك، فأشغل نفسك بالقليل. ولكن، إن يكون من الأفضل إذا قلنا، افعل ما عليك فعله وما يُطلب من الكائن العاقل فعله من أجل الحياة العامة؟ لأن هذا لن يجلب راحة البال المصاحبة لفعل القليل من الأمور فحسب، بل أيضًا راحة البال المصاحبة لفعلها على الوجه الأكمل. وحيث إن معظم ما نقوله أو نفعله ليس ضروريًا، فستؤدي جميع تلك الأمور إلى توفير الكثير من الفراغ والسكينة. ونتيجة لهذا، يجب علينا ألا ننسى أبدًا أن نسأل، هل هذا الأمر أحد الأمور غير الضرورية؟ ولكن، يجب علينا ألا نجمع الأمور غير الضرورية فحسب، بل أيضًا الأفكار غير الضرورية، حتى لا تتبعها الأفعال غير الضرورية".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لم يكن أتباع الفلسفة اليونانية رجال دين، ولم يمتثلوا في معتكفاتهم أو معتزلاتهم. بل كانوا سياسيين ورجال أعمال وجنودًا وفنانين. وكانوا يمارسون فلسفتهم في خضم مشاغل الحياة – مثلما تحاول أن تفعل تمامًا. يكمن مفتاح تحقيق الإنجازات في محو الأمور غير الضرورية من حياتنا دون اكتراث. ما الذي يدفعنا غرورنا لفعله، وما الذي يفرينا الجشع بفعله، وما الذي يضيفه سوء نظامنا إلى حياتنا، وما الذي يمنعنا الجبن عن رفضه؟! يجب علينا اجتثاث كل هذا.

٢٠ أغسطس متى تُحسب الأمور

"يجب أن نتميز في دأخلنا في كل شيء، ولكن، يجب أن يبدو ظاهراً مشابهاً للجميع".
— سينيكاً، من كتاب *Moral Letters*

كان ديوجين المتشكك فيلسوفاً مشيراً للجدل بهيم في الطرقات مثل المشرد. وبعد بضعة آلاف من الأعوام التالية، لا تزال مقولاته تدفعنا إلى التفكير. ولكن، لو تسنى لأحدنا رؤيته في عصره، لفكر قائلاً: *من هذا المجنون؟* قد نتعرض لإغراءات التفكير في الفلسفة بطريقة متطرفة، ولكن، بم سيفيدنا هذا؟ في واقع الأمر، من شأن رفض المبادئ الأساسية للمجتمع أن يبعد عنا الآخرين، بل وقد يجعلهم يشعرون بأننا نمثل تهديداً بالنسبة لهم. الأمر الأهم أننا قد نشعر بأن مظهرنا الخارجي أكثر أهمية من تغيير حالتنا الداخلية، ولكنه في الحقيقة أمر سطحي – هذا هو التغيير الوحيد الذي نعرفه.

٢١ أغسطس

لا تشعر بالتعاسة مقدماً

"من المدمر للروح أن تقلق بشأن المستقبل وأن تستيق التعاسة بالتعاسة، وأن تدع القلق يغرقك ببقاء الأمور التي تريدها على حالها حتى النهاية. لن تحظى تلك الروح بالراحة أبداً - فعبّر التوق للأمور القادمة ستفقد القدرة على الاستمتاع بالحاضر".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

تعلم طريقتنا في القلق العصبي بشأن أخبار سيئة قادمة غريبة إن دققنا النظر فيها. فالانتظار معناه أن الأمر لم يحدث بعد؛ لذا، فإن الشعور بالسوء مقدماً شعور تابع منك أنت. ولكن هذا ما نفعله: نعص أناملنا، ونشعر بانقلاب معدائنا، ونعامل بوقاحة مع من يحيطون بنا. لماذا؟ لأن أمراً ما سيئاً قد يحدث قريباً.

يعد الشخص الواقعي، العملي، منشغلاً لدرجة عدم توافر وقت كافٍ ليضيعه على تلك السخافات. وقد لا يقلق الشخص الواقعي مقدماً بشأن كل نتيجة محتملة قد تتحقق. فكر في الأمر: أفضل السيناريوهات على الإطلاق أن يتبين أن الأخبار أفضل مما كنت تتوقع، فقد أضعت كل هذا الوقت في قلق لا طائل منه. وأسوأ سيناريو على الإطلاق أنك ستكون تعساً لفترة أطول، باختيارك.

ولكن، كيف كان من الممكن استغلال هذا الوقت بصورة أفضل؟ إن كان هذا هو يومك الأخير في الحياة، فهل ترغب في إضاعته على القلق؟ في أي مجال آخر يمكنك أن تتقدم بينما يجلس الآخرون في قلق منتظرين في تراخٍ ما ستفعله الظروف؟

دع الأخيار تأت عندما تأتي، وانشغل بالعمل ولا تنتظرها.

٢٢ أغسطس

لا تقلق بشأن صفائر الأمور

"من الضروري أن تتذكر أن الانتباه الذي توليه لفعل ما يجب أن يتناسب مع قيمة هذا الفعل. وبالتالي لن ترهق نفسك وتستسلم، إن لم تشغل نفسك بصفائر الأمور أكثر مما يجب."

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

في عام ١٩٩٧، نشر معالج نفسي يدعى ريتشارد كارلسون كتابًا تحت عنوان *Don't Sweat the Small Stuff... and It's All Small Stuff*. وسرعان ما أصبح من أسرع الكتب انتشارًا في التاريخ وظل طوال سنوات على قائمة الكتب الأكثر مبيعًا، وبيعت منه في النهاية ملايين النسخ بالعديد من اللغات. وسواء كنت ممن قرأوا الكتاب أو لم تكن، يستحق عرض كارلسون البليغ لتلك الفكرة السرمدية الذكر. وحتى كورنيليوس فرونتو، معلم خطابة ماركوس أوريليوس، كان يرى أنها طريقة رائمة للتعبير عن الحكمة التي حاول تلميذه عرضها في الاقتباس أعلاه. ويعني كلاهما الأمر ذاته: لا تهدر وقتك (أكثر مواردك قيمة والذي لا يمكن تعويضه) في الأمور غير المهمة. ماذا عن الأمور غير المهمة التي أنت ملزم بفعلها؟ حسنًا، اقض أقل وقت في القلق بشأنها قدر الإمكان.

إن قضيت المزيد من الوقت وبذلت المزيد من الطاقة على الأمور أكثر مما تستحق، فإنها لن تبقى أمورًا تافهة، بل ستكون قد حولتها إلى أمور مهمة بسبب الفترة من حياتك التي أضعتها عليها. وللأسف، ستكون قد حولت الأمور المهمة – أسرتك وصحتك والتزاماتك الحقيقية – أقل أهمية نتيجة للوقت الذي حرمتها منه.

٢٣ أغسطس

يتعلق الأمر بالاهتمام بنفسك

"يوضح هذا الأمر سبب أنه يجب على الفيلسوف ألا يخرج عن وعيه - ليس بسبب الكلمات، بل بسبب القبح والإهانات التي قد تصدر عنه. فمن السهل أن تثبت أن المتع المزعومة، عندما تتخطى المعايير الصحيحة، لن تكون إلا عقاباً".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

هل يوجد أسلوب أقل فاعلية في إقناع الناس من إلقاء المحاضرات عليهم؟ هل يوجد شيء ينفر الناس منه أكثر من الأفكار المجردة؟ لهذا السبب، لا يقول أصحاب الفلسفة اليونانية: "توقف عن فعل هذا، إنه إثم"، بل يقولون: "لا تفعل هذا لأنه سيجعلك تفسأ". ولا يقولون: "المتع ليست ممتعة"، بل يقولون: "إن المتع المفترطة تتحول إلى عقاب". ويتفق أسلوبهم في الإقناع مع ما قيل في كتاب *The 48 Laws of Power*: "انشد اهتمام الناس بأنفسهم وليس رحمتهم أو امتنانهم".

إذا كنت بصدد محاولة إقناع شخص ما بالتغيير أو بفعل أمر ما بشكل مختلف، فتذكر مدى فاعلية الاهتمام بالنفس. ولا يعني هذا أن هناك أموراً سيئة، بل يعني أن أكثر شيء قد يهتمون به هو فعل الأمر بطريقة مختلفة. لذلك اعرض الأمر عليهم - ولا تعظهم.

ماذا سيحدث إن طبقت هذه الطريقة في التفكير على سلوكياتك؟

٢٤ أغسطس

استغل جميع الموارد

"لن أخجل أبداً إذا اقتبست قولاً من كاتب سيني يقول الصواب".

— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

من بين الأمور اللافتة للنظر فيما يتعلق بخطابات سينيكا كثرة اقتباسه من فيلسوف يُدعى إبيكوروس. لِمَ يعد هذا غريباً؟ لأنه من المفترض أن تكون الفلسفة اليونانية والأبيقورية فلسفتين متناقضتين. (في الواقع، كانت الاختلافات بينهما مبالغاً فيها، رغم شدتها).

ولكن، لم يكن هذا الأمر غريباً على سينيكا، فقد كان باحثاً عن الحكمة. ولم يكن يهتم بمصدرها؛ وهذا أمر يفترقه الكثير من الأصوليين - في الدين والفلسفة وكل شيء. من يهتم بكون حكمة صادرة عن أحد فلاسفة الفلسفة اليونانية، ومن يهتم بكونها معارضة للفلسفة اليونانية؟ فما يهم هو إذا ما كان ستحسن من حياتك، وستحسن منك.

ما الحكمة أو المساعدة التي قد تعثر عليها اليوم إن توقفت عن الاهتمام بالاندماج في المجتمع وعن الاهتمام بسمعتك؟ ما الذي ستراه إن ركزت على المميزات دون غيرها؟

٢٥ أغسطس

احترم الماضي ولكن انفتح على المستقبل

"الآن تسير على نهج أسلافك؟ لا شك لدي في أنني سأتابع المنهج القديم، ولكن، إن عثرت على مسار أقصر وأفضل، فسأحول وجهتي إليه. إن أولئك الذين كانوا أول من طرق تلك المسارات ليسوا سادتنا، بل مرشدينا. إن الحقيقة تفتح ذراعيها للجميع، ولا تقتصر على مجموعة بعينها".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

مادة ما تكون التقاليد أفضل الممارسات المجربة على مر الزمان لفعل أمر ما. ولكن تذكر أن الأفكار التي تعتبرها محافظة اليوم كانت في الماضي مثيرة للجدل وحديثة ومبتكرة. لهذا السبب، لا يجدر بنا الخوف من تجربة الأفكار الجديدة.

في حالة سينيكا، ربما كان يعتنق أفكارًا فلسفية جديدة لتحسين وتنقيح كتابات زينو أو كليثس. وفي حالتنا، ربما يساعد التقدم الحديث في علم النفس على تحسين وتنقيح كتابات سينيكا أو ماركوس أوريليوس. أو ربما نخرج بشيء من ابتكارنا. إن كانت تلك الأفكار أفضل وأكثر واقعية، فتقبلها - واستخدمها. ويجب ألا تكون أسيرًا للرجال القدماء الموتى الذين توقفوا عن التعلم منذ ألفي عام مضت.

٢٦ أغسطس

البحث في الحطام

"لقد تعرضت للحطام قبل أن أبحر... وعلمتني الرحلة أن جل ما نملكه ليس ضروريًا،
وكم من السهل أن نقرر التخلص من تلك الأشياء عند الضرورة، ومن دون حتى أن
نشعر بالندم والخسارة".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

كان زينو، الذي اشتهر بكونه مؤسس الفلسفة اليونانية، تاجرًا قبل أن يصبح
فيلسوفًا. وفي أثناء رحلة بحرية من فنيسيا إلى بيرايوس، غرقت سفينته بما
عليها من بضائع. وانتهى المطاف به في أثينا، وخلال زيارته لإحدى المكتبات،
تعرف على فلسفة سقراط، وكذلك على فلسفة فيلسوف أثيني يُدعى كراتيس.
وقد غير تأثير تلك الفلسفات من مسار زينو، وقاده نحو تطوير الأفكار والمبادئ
التي نعرفها الآن باسم الفلسفة اليونانية. وطبقًا لمؤلف السير الذاتية القديم
ديوجينيس اللايرتي، قال زينو مازحًا: "والآن، بعد أن غرقت سفينتي، أصبحت
رحلتي أفضل"، أو طبقًا لرواية المؤلف: "أحسنت أيتها الظروف، فقد وجهتني
نحو الفلسفة".

لم يعتمد أتباع الفلسفة اليونانية على الفرضيات عندما قالوا إنه يجب علينا
أن نستخدم الشرط العكسي، وأنه يمكن تغيير أكثر الأحداث المؤسفة لكي تكون
الأفضل على الإطلاق؛ فلقد تأسست الفلسفة بأكملها على تلك الفكرة.

٢٧ أغسطس

هل تضحك أم تبكي؟

"كان هيراكليتوس يبكي عندما يخرج إلى العامة - أما ديموقريطوس فكان يضحك، فأحدهما كان يراهم مجموعة من البؤساء، والآخر كان يراهم مجموعة من الحمقى. لذا، يجدر بنا أن ننظر إلى الأمور بطريقة متساهلة وأن نتحملها بروح منفتحة، حتى يصبح هناك عدد من البشر يسخرون من الحياة أكثر ممن يلومونها".

— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

هل تعد تلك الملاحظة أصل التعبير الشهير عن الأخبار السيئة: "لا أعلم إذا ما كان عليّ أن أضحك أم أبكي؟". لم ير أصحاب الفلسفة اليونانية هدفًا مهمًا يتعلق بالشعور بالغضب أو الحزن بشأن أمور لا تتعلق بمشاعرنا، وخاصة إن انتهى المطاف بتلك المشاعر وقد زادت حالتنا سوءًا.

ويعد هذا دليلًا آخر على أن أتباع الفلسفة اليونانية لم يكونوا مجرد مجموعة من المستنين المحيطين الساخرين. فحتى عندما كانت أحوالهم سيئة، عندما كان العالم يجعلهم يشعرون بالرغبة في البكاء من فرط اليأس أو الغضب، كانوا يختارون الضحك.

ومثل ديموركريتو، يمكننا اختيار الأمر ذاته، فهناك من الأمور المضحكة في المواقف أكثر من الأمور الكريهة. وتعد الأمور المضحكة بناءة؛ فهي على الأقل - تخفف من وطأة الأمور، ولا تزيدها.

٢٨ أغسطس

الفيلسوف الثري

"إن الله خالق الكون، وكلفنا بقوانين الحياة، وأمرنا بأن نحيا حياة جيدة، ولكن دون بذخ. إن كل ما نحتاج إليه من أجل رفاهيتنا يوجد في متناول أيدينا، إلا أن البذخ يتحقق على حساب الكثير من الماسي والمخاوف. دعونا نستغل هبات الطبيعة تلك، وأن نضمها إلى بقية الأمور العظيمة في حياتنا".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

كان سينيكا في عصره يتعرض للانتقاد، ورغم نشره لفضائل الفلسفة اليونانية كان يواصل جمع أكبر ثروة في الإمبراطورية اليونانية. يقول بعض المؤرخين إن سينيكا كان فاحش الثراء لدرجة أن قروضه الكبيرة التي قدمها لسكان ما يُطلق عليها بريطانيا حاليًا قد تسببت في قيام ثورة شعبية كبيرة هناك. وأطلق نقاده عليه اسم "الفيلسوف الثري".

كان رد سينيكا على منتقديه شديد البساطة: أنه ربما كان يمتلك ثروة كبيرة، ولكنه لا يحتاج إليها. ولم يكن يعتمد عليها أو يدمن على جمعها. كما أنه لم يكن، رغم تراثه، يعد من بين أكثر من ينفقون ببذخ أو من بين متقصي المتع في روما القديمة. لا يمكننا تأكيد أنه كان زاهدًا من عدمه (أو حتى كونه منافقًا)، ولكن يعد رده وصفًا مسبقًا لمجتمعنا المعاصر المادي القائم على الثروات. إن تلك المقاربة هي مقاربة واقعية للثروة وليست مقاربة أخلاقية.

يمكننا أن نواصل عيش حياة جيدة من دون أن نتحول إلى عبيد للبذخ. كما أننا لسنا بحاجة إلى اتخاذ القرارات التي تجبرنا على مواصلة العمل دون انقطاع والابتعاد أكثر عن الدراسة والتأمل لتجمع المزيد من المال لندفع مقابل الأشياء التي لا نحتاج إليها. لا توجد قاعدة تنص على أن النجاح المالي يجب أن يعني عيشك حياة تتخطى إمكاناتك المادية. تذكر: يمكن أن يسعد البشر بأقل القليل.

٢٩ أغسطس

ألا ترغب في شيء = امتلاك كل شيء

"لا يمتلك أحد القدرة على امتلاك كل ما يمكنه امتلاكه، ولكنه يمتلك القدرة على ألا يرغب فيما لا يملك، وأن يستغل بسعادة ما يملك".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

هل يوجد شخص ثري لدرجة أنه قادر على شراء أي شيء؟ بالطبع لا. فحتى أغنى الأثرياء قد يفشلون دومًا في شراء الانتخابات أو الاحترام أو الرقي أو الحب أو الكثير من الأمور الأخرى التي لا يمكن شراؤها. إن لم يساعدك الثراء الفاحش على شراء كل ما تريد، فهل هذه تعد نهاية المطاف، أم أن هناك طريقة أخرى لحل تلك المعادلة؟ بالنسبة لأصحاب الفلسفة اليونانية: هناك طريقة أخرى: فمن خلال تغيير ما تريد، وعبر تغيير طريقة تفكيرك، ستمكن من الحصول على ما تريد. يعتقد جون دي روكفيلر، الذي كان فاحش الثراء، أن "ثروة المرء يجب أن تتحدد بالعلاقة بين رغباته ونفقاته ودخله. وإن شعر بأنه ثري بامتلاك ١٠ دولارات، فسيملك كل ما يريد، وسيكون ثريًا بالفعل".

اليوم، يمكنك أن تحاول زيادة ثروتك، أو يمكنك أن تسلك الطريق المختصر وأن ترغب في أمور أقل.

٣٠ أغسطس

عندما تشعر بالكسل

"مع أي شيء لم تتمكن بعد من تحقيقه، يمكن للفضائل تحقيقه بشجاعة وسرعة. قد يطلق أي لقب لعمق على المرء الذي يتولى مهمة بروح كسولة ومغبونة، أو يدفع جسده دفقاً في اتجاه وعقله في الاتجاه الآخر، وأن يتشتت بين النزعات المتناقضة".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

إن بدأت مهمة ما وشعرت على الفور بالكسل والضيق، فاسأل نفسك أولاً: لم أفضل تلك المهمة؟ وإن كانت المهمة ضرورية، فاسأل نفسك: ما السبب في ترددي؟ أو خوفي؟ أو غضبي؟ أو إرهابي؟

لا تقنع نفسك بصورة مسبقة أن هناك من سيأتي ليريحك من تلك المهمة التي لا ترغب في أدائها، أو بظهور شخص ما فجأة ليفسر لك سبب كون ما تفعله مهمًا. لا تكن المرء الذي يقبل المهمة بأقواله ولكن ليس بأفعاله. قال ستيف جوبز في لقاء صحفي مع مجلة *بيزنس ويك* في عام ٢٠٠٥، في منتصف الطريق لتحقيق شركة أبل نهضتها المنهلة لتصبح واحدة من كبريات الشركات في العالم: "الجودة أهم كثيرًا من الكم... إن الفوز بالحرب أهم كثيرًا من الفوز بمعركتين".

٢١ أغسطس

فكر في إخفاقاتك أيضًا

"إن شعرت بالانزعاج من أفعال خطأ ارتكبتها شخص ما، تحول على الفور للتفكير في إخفاقاتك، مثل رويتك أن المال شيء جيد، أو حب المتعة أو الشهرة - أيًا كان. فمن خلال التفكير في هذه الأمور، ستتنسى غضبك على الفور، وستفكر في دوافع الشخص الآخر - ماذا أيضًا يمكنه فعله؟ أو، إن تمكنت، حاول إخراج دوافعه من المعادلة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

ذكرنا سابقًا اعتقاد سقراط المتسامح أن "لا أحد يرتكب الأخطاء عن عمد". ما أوضح إثبات لتلك الفرضية إذن؟ جميع المرات عندما ارتكبنا الأخطاء من دون قصد أو نية سيئة. هل تذكرها؟ عندما كنت وقحًا لأنك لم تتم منذ ليلتين، وعندما تصرفت بطريقة خطأ بناءً على معلومات خطأ، وعندما شردت أو نسيت أو لم تستوعب الأمور... وتطول القائمة إلى ما لا نهاية.

لهذا السبب، من المهم عدم إخراج الناس من حياتنا أو وصمهم بانهم أعداؤنا. وتسامح معهم مثلما تتسامح مع نفسك... عاملهم بنفس أسلوب معاملتك لنفسك حتى تتمكن من مواصلة العمل معهم واستغلال مواهبهم.

الجزء ٣

انضباط
الإرادة

سبتمبر

الجلد والمرونة

١ سبتمبر

الروح القوية أفضل من الحظ الحسن

"إن الروح العقلانية أقوى من أي نوع من الحظ - فجانِب من مهمتها أن ترشد نفسها هنا وهناك، وتعِد في حد ذاتها سبباً للسعادة أو الشقاء".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

كان كاتو الأصغر يمتلك ما يكفي من المال ليرتدي ملابس أنيقة، ولكنه كان يتجول في أنحاء روما حافي القدمين، غير مبالي برأي الآخرين فيه عندما يمر من أمامهم. كان يمكنه أن يستمتع بتناول أشهى أصناف الطعام، ولكنه اختار بدلاً من هذا تناول الطعام البسيط. وسواءً كانت السماء تمطر أو كان الطقس شديد الحرارة، كان يختار ألا يرتدي شيئاً على رأسه ليقيه كلتا الحالتين.

لماذا لم ينغمس كاتو في تلك المتعة؟ لأنه كان يدرب روحه على أن تكون قوية ومرنة. وكان يحاول أن يتعلم بشكل خاص اللامبالاة: توجه "دع ما يحدث يحدث"؛ الأمر الذي ساعده كثيرًا في الجيش وفي الحياة العامة وفي مجلس الشيوخ، وفي حياته كأب ورجل دولة.

وقد كان مستعدًا باستمرار لمجابهة أي موقف كان، وأي نوع من الحظ. وإن لحملنا تدريباتنا واستعداداتنا مثله، فقد نجد أننا قد ازددنا قوة.

٢ سبتمبر

مدرسة الفيلسوف تعتبر مستشفى

"إن قاعة محاضرات الفيلسوف عبارة عن مستشفى أيها الرجال - يجب ألا تخرج منه وأنت تشعر بالاستمتاع، بل بالألم؛ لأنك لم تكن بخير عندما دخلته".

— إبيكتيوس، من كتاب *Discourses*

هل خضعت لعلاج نفسي أو إعادة تأهيل من قبل؟ بصرف النظر عما يوحي به الاسم أو عدد من يكذبون بشأن هذا النوع من العلاج أو الرسائل التي يتلقونها عنه، فإنه يعد من الأماكن التي تستمتع فيها بحياتك؛ فقد تبين أن الشفاء مؤلم. يدرك الخبراء المدربون متى يستخدمون الضغط وما يخضع للتوتر حتى يتمكنوا من تقوية الجوانب الضعيفة لدى المريض ويساعدوه على تحفيز تلك المناطق الضعيفة.

إن الفلسفة اليونانية تشبه كثيرًا هذا النوع من العلاج، فقد تمس بعض الملاحظات أو الممارسات إحدى نقاط الضغط لديك. ولا شيء شخصي هنا، فمن المفترض أن تشعر بالألم. وتلك هي طريقة تطويرك لإرادة التحمل والمثابرة خلال الكثير من الصعوبات في الحياة.

٢ سبتمبر

أولاً، تدريب شتوي قاسٍ

"يجب أن نخضع لفترة تدريب شتوية قاسية والانتسرع في الأمور التي لم نستعد لها".
— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

قبل ظهور الأساليب الحربية الحديثة، كانت الجيوش تُسرح خلال الشتاء. ولم تكن الحرب شاملة مثل حروبنا الآن، بل كانت عبارة عن سلسلة من الغارات تتخللها حالات نادرة من المعارك العاسمة.

عندما قال إيكيتوس إنه يجب علينا أن نخضع لـ "تدريب شتوي قاسٍ" كان يعارض فكرة وجود جنديّة بدوام جزئي (أو عمل أي شيء بدوام جزئي). فمن أجل تحقيق النصر، يجب على المرء أن يكرس وقته وموارده بالكامل للاستعداد والتدريب. لم يكن ليبرون جايمس يأخذ عطلة صيفية، بل كان يستغلها للتدريب على أمور جديدة في رياضته. ويُدرّب الجيش الأمريكي جنوده ليلاً ونهاراً في أوقات السلم، استعداداً للحالات عندما يضطرون للذهاب إلى الحرب، وعندما يدخلون معمة الحرب، يواصلون القتال حتى نهايتها.

ينطبق الأمر ذاته علينا: لا يمكننا أن نكرس نصف حماسنا لحياتنا، فلا توجد إجازات أو عطلات نهاية أسبوع، ونظل على استعداد دائم لما ستلقيه الحياة في طريقنا – وعندما تفعل، نكون مستعدين ولا نتوقف قبل أن نتعامل مع تلك الأمور على الوجه الأكمل.

٤ سبتمبر

كيف يمكنك أن تعلم إذا لم تخضع للاختبار من قبل؟

"أحكّم بأنك لست محظوظًا؛ لأنك لم تمر من قبل بحظ عاثر. لقد عشت حياة خالية من المنافسة - ولا يمكن لأحد أن يعلم حدود قدراتك، ولا حتى أنت".

— سينيكا، من كتاب *On Providence*

ينتهي المطاف بغالبية من يمرون بالأوقات العصيبة بالتباهي بتلك التجارب، فقد يقولون: "كانت أيامًا عصيبة"، رغم أنهم قد يعيشون الآن في ظروف أفضل بكثير. وقد يقول آخرون في شوق: "أه لو عاد المرء شابًا جانمًا من جديد؛ فقد كان هذا أفضل شيء حدث لي في حياتي"، أو "لم أكن لأغير شيئًا مما حدث". ورغم صعوبة تلك الأوقات، فإنها كانت التجارب التي شكلت شخصياتهم، وجعلتهم على ما هم عليه الآن.

هناك فائدة أخرى لما يُدعى الحظ العاثر: بعدما تمر وتشعر به، تخرج من تلك التجربة بفهم أفضل لقدراتك وقوتك الداخلية. ومن شأن السير على النار أن يكون تجربة جيدة؛ لأنك تعرف أنه يمكنك أن تتجو من مثل هذا الموقف في المستقبل. يقول نيتشه: "ما لا يقتلك يزيدك قوة".

لذا، اليوم، إن بدا لك أن الأمور ستتخذ المنحى السيئ، أو أن حظك قد يتغير، لم القلق؟ قد تكون تلك من المواقف المكونة للشخصية التي ستمتن لحدوثها في المستقبل.

٥ سبتمبر

ركز على ما تملكه دون غيرك

"تذكر، إن اعتبرت من طبيعته العبودية إنساناً حراً، واعتبرت ما لا تملكه ملكك، ستصبح مقيداً وبائساً، وستلقي باللوم على القدر والبشر الآخرين. ولكن إن اعتبرت ما تملكه ملكك دون غيره، وأن ما يملكه الآخرون ليس ملكاً لك، فلن يتمكن أحد من إجبارك على شيء، أو إيقافك، ولن يوجد من تلقي عليه باللوم أو تشير إليه بأصابع الاتهام، ولن تفعل شيئاً على النقيض من إرادتك، ولن يستحوذ عليك المال، ولن يؤذيك أحد، لأنه لا أذى سيؤثر فيك".

— إيكيتوس، من كتاب *Enchiridion*

بعدها سقط الطيار جايمس ستوكدايل فوق فيتنام، تحمل سبع سنوات ونصف العام في الأسر في العديد من معسكرات الاعتقال، ذاق خلالها عذاباً وحشياً ولكنه كان دائم الصمود والمقاومة. وذات مرة، عندما أجبره أسروه على الظهور في مقطع فيديو دعائي، جرح نفسه عن عمد جرحاً خطيراً حتى يكون من المستحيل ظهوره في هذا الفيديو.

وعندما أصيبت طائرة ستوكدايل، أخبر نفسه بأنه "سيدخل عالم إيكيتوس" — لم يكن يعني حينها أنه سيحضر إحدى المحاضرات الفلسفية، ولكنه كان يدرك ما سيتعرض له بمجرد أن تسقط طائرته على الأرض، وكان يعلم أن النجاة ستكون صعبة.

في لقاء أجراه ستوكدايل مع جيم كولينز من أجل الكتاب التجاري الكلاسيكي *Good to Great*، وضع أنه كانت هناك مجموعة واحدة هي التي كانت تواجه معظم المشكلات في السجن، حيث قال: "كان المتفائلون... هم من يقولون: سنخرج من الأسر في مطلع العام الجديد". وعندما كان يحل مطلع العام، ويذهب؛ كانوا يقولون: سنخرج في منتصف العام، ويحل منتصف العام ويذهب، وهكذا، حتى ماتوا بقلب مفطور".

ولكن ستوكدايل تمكن من المثابرة وتمكن من الخروج من الأسر في النهاية. فقد تمكن من إخماد رغباته وركز فقط على ما أمكنه السيطرة عليه: نفسه.

٦ سبتمبر

يمكنهم أن يكبلوك بالأغلال، ولكن...-

"يمكنك أن تكبل ساقِي، ولكن لن يمكن لأحد أن يكبل حرية لختياري".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

يُقال إن إيكيتوس قد أصيب بعرج دائم بسبب تكبيل ساقيه عندما كان عبداً. وبعد ألفي عام، كُبلت ساقا جايمس ستوكدايل أيضاً بالأغلال (وكُبلت ذراعاها وراء ظهره وعلق في السقف؛ ما كان يتسبب في انخلاع مفصليهما مرات عدة). كما أن السيناتور "جون ماكاين" دخل معتقل الأسرى نفسه، وتعرض لمعاملة شبيهة لما تعرض لها ستوكدايل. ولأن والده كان شخصية معروفة، عُرض على ماكاين عدة مرات أن يتخلى عن جنوده ويعود لوطنه مبكراً. ولكنه تمسك أيضاً بحريته في الاختيار رافضاً الاستسلام للإغراءات حتى إن كان هذا يعني فقدان حريته المادية التي كان يتوق إليها.

لم ينكسر أي من هؤلاء الرجال، ولم يتمكن أحد من حملهم على التضحية بمبادئهم. هذا كل ما في الأمر - قد يسجنك أحدهم، ولكنه لن يتمكن أبداً من تغيير ما أنت عليه، وحتى في ظل أقسى أنواع التعذيب التي يمكن لإنسان أن يذيقها لإنسان آخر، لا يمكن أن تنكسر قدرتنا على التحكم في عقولنا ولا قدرتنا على اتخاذ قراراتنا - فما بالك بالتنازل عنها.

٧ سبتمبر

قوتنا الخفية

"فكر في طبيعتك. لا يملك الإنسان قوة أعظم من قوة الخيار العقلاني، التي تسيطر على جميع الأمور الأخرى، فهي الحرة التي لا تخضع لأحد".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

قضى عالم النفس فيكتور فرانكل ثلاث سنوات سجيناً في العديد من معسكرات الاعتقال، بما فيها معسكر أوشفيتز، حيث قُتلت عائلته بالكامل، وزوجته، ودُمّرت حياته العملية، وسُلّبت حريته. ولم يتبق له ما يعيش من أجله، ولكنه، وبعد تفكير عميق، اكتشف أنه لا يزال هناك شيء وحيد: القدرة على تحديد ما تعنيه هذه المعاناة، وأنه لا يمكن للنازيين أن يسلبوه هذا.

بعد ذلك، أدرك فرانكل أنه قادر على العثور على الإيجابيات في الموقف، الذي يتعرض له، وسنحت له الفرصة لمواصلة اختبار نظرياته عن علم النفس واستكشافها (بل ومراجعتها). وقد واصل تقديم خدماته للآخرين، حتى إنه عثر على السلوان من حقيقة أن أحبائه قد نجوا من الأسم والتعاسة التي كان يواجهها يومياً في معسكرات الاعتقال.

إن قوتك الخفية هي قدرتك على استخدام المنطق وانتقاء الخيارات. بصرف النظر عن محدوديتها أو صغرها. فكر في جوانب من حياتك تشعر فيها بأنك محتجز أو تترجح تحت التزامات ثقيلة. ما الخيارات المتوافرة أمامك يوماً بعد يوم؟ قد يفاجئك عدد الخيارات الكبير المتوافر لك. هل لديك أفضلية؟ هل يمكنك العثور على الإيجابيات؟

٨ سبتمبر

لا تدع الثروة تخدعك

"لا يمكن للحظ أن يدمر أحدًا إلا إذا انخدع به أولاً... أولئك الذين لا يتباهون في أوقات الرخاء، ولا تنتفخ أوداجهم فخراً عندما تتغير أحوالهم. بل على النقيض من كلنا الحاليتين، يحافظ الشخص المتوازن على مناعة روحه العقلانية، تظهر قوته، في أوقات الرخاء على وجه الخصوص، في مواجهة المحن".

-- سينيكا، من كتاب *On Consolation to Helvia*

في عام ٤١ قبل الميلاد، نُفي سينيكا من روما إلى جزيرة كورسيكا - لسنا على يقين تام من سبب النفي، ولكن يُشاع أنه كان معجبًا بشقيقة الإمبراطور. وبعد فترة وجيزة، أرسل خطابًا إلى والدته ليطمئنها ويعزيها خلال حزنها. ولكنه كان، بشتى الطرق، يتحدث إلى نفسه أيضًا - مويخًا إياها على ذلك التحول المفاجئ في الأحداث، والذي جعله يشمر بالكثير من الحزن.

كان قد تمكن من تحقيق بعض النجاح على المستويين السياسي والاجتماعي، وربما طارد أيضًا بعض الرغبات، وكان عليه أن يواجه وعائلته العواقب - مثلما علينا أن نتحمل عواقب سلوكياتنا والمخاطر التي نقدم عليها.

كيف كانت استجابته؟ كيف تعامل مع الأمر؟ حسنًا، على أقل تقدير، دفعته غريزته لمحاولة طمأنة والدته بدلًا من الشكوى من معاناته. ورغم أن بعض الخطابات الأخرى تُظهر أنه كان يتوسل ويحاول جمع رأي عام يساعده على الوصول إلى روما وإلى سلطاته السابقة (الطلب الذي قُبِل في النهاية)، وكان يبدو أنه تحمل ألسم وإهانة النفي بصمود وقوة. فقد أعدته الفلسفة التي درسها لفترة طويلة لهذا النوع من المحن ومنحته التصميم والصبر اللازمين للتحمل.

وعندما وجد سينيكا أن حظه تحسن بعدما عاد إلى سلطاته، منعتة الفلسفة من أن يأخذ الأمر على أنه مسلم به أو أن يعتمد على الحظ. وكان هذا جيدًا؛ لأن القدر كان يخبئ له تحولًا آخر في حياته عندما صب الإمبراطور الجديد جام غضبه عليه، إلا أن الفلسفة ساعدته على أن يكون مستعدًا وجاهزًا مرة أخرى.

٩ سبتمبر

لا يوجد شيء لتخشاه عدا الخوف نفسه

"لن يكون هناك سبب للحياة ولا حدود للتعاسة إن سمحنا لمخاوفنا بالسيطرة علينا".
— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

خلال الأيام الأولى لما أطلق عليه اسم الكساد العظيم، أدى الرئيس فرانكلين دييلانو روزفيلت قَسَمَ تسلم مقاليد الحكم وألقى خطابه الافتتاحي الأول. وحيث إنه كان الرئيس الأخير الذي كان يتولى المنصب قبل تنفيذ التعديل الدستوري، العشرين، لم يكن فرانكلين دييلانو روزفيلت قادرًا على تسلم منصبه قبل شهر مارس - أي أن البلاد كانت ستظل بدون قيادة رسمية قوية طوال أشهر. لقد كان الذعر يخيم على الأجواء، وكانت المصارف في خسارة مستمرة، وكان الشعب خائفًا.

ربما سمعت عبارة "لا يوجد شيء لتخشاه عدا الخوف نفسه" التي قالها فرانكلين دييلانو روزفيلت في خطابه الشهير، إلا أن الجملة بأكملها تستحق القراءة؛ لأنها تنطبق على الكثير من الصعوبات التي نواجهها في حياتنا:

"دعوني أعرض عليكم اعتقادي الراسخ أنه يجب علينا ألا نخشى شيئًا عدا الخوف نفسه - ذلك الرعب منعدم الاسم والمنطق والمبررات الذي يشل الجهود المطلوبة لتحويل التراجع إلى تقدم".

كان أصحاب الفلسفة اليونانية يعلمون أنه يجب الخوف من الخوف بسبب التعاسة التي يجلبها، إن الأمور التي نخاف منها لا تقارن بالضرر الذي نسببه لأنفسنا وللآخرين عندما نتعثر دون تفكير في محاولة لتجنبها. إن الركود الاقتصادي أمر سيئ، ولكن الذعر أسوأ. ولن يساعدك الهلع في المواقف العصيبة، بل يزيد من الطين بلة. لهذا السبب، علينا أن نقاومه وأن نرفضه إن كنا نرغب في تحويل المواقف لتصب في صالحنا.

١٠ سبتمبر

الاستعداد في الأيام المبهجة

"إليك الدرس التالي لتخفف من اندفاع ذهنك: تناول، في أثناء جزء من الأسبوع، أكثر أصناف الطعام رخصاً وضالّة، وارثد الملابس الزهيدة، واسأل نفسك إذا ما كان هذا هو أسوأ ما تخشاه. وعندما تكون الأوقات جيدة، عليك أن تعد نفسك للمواقف الأتية الأكثر صعوبة، فعندما تكون الظروف مواتية، يمكن للروح أن تبني دفاعاتها ضد تقلباتها. لهذا السبب يتدرب الجنود على المناورات في أوقات السلم، ويقتحمون الحصون الخالية من الجنود ويرهقون أنفسهم من دون أن يتعرضوا للهجوم حتى لا يُصابوا بالإرهاق عندما يتعرضون للهجوم".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

ماذا لو قضيت يوماً واحداً كل شهر تشعر فيه بالفقر، أو الجوع، أو العزلة التامة، أو أي شيء آخر تخشاه؟ بعد الصدمة الثقافية المبدئية، ستبدأ بالشعور بأن الأمر عادي ولم يعد مخيفاً.

هناك الكثير من المحن التي قد يمر المرء بها، والكثير من المشكلات التي يمكن للمرء أن يحلها مقدماً. تظاهر بأن المياه الساخنة في منزلك قد انقطعت. تظاهر بأن محفظة أموالك قد سُرفت. تظاهر بأن مرتبة فراشك الوثيرة ليست موجودة وأنه يجب عليك أن تنام على الأرض، أو أن سيارتك أُخذت منك وعليك أن تسيّر لتقضي شؤونك. تظاهر بأنك خسرت وظيفتك وتحتاج للمثور على وظيفّة جديدة. مرة أخرى، لا تفكر في هذه الأمور، ولكن عشها. وافعل هذا الآن، بينما لا تزال أحوالك بخير. كما يذكرنا سينيكا: "خلال أوقات الرخاء، على الروح أن تقوي من نفسها دائماً لتتمكن من مواجهة الأوقات المصيبة... إن لم يتدرب أحد على التعايش مع المحن، فدربه عليها قبل أن تحل".

١١ سبتمبر

كيف يبدو الأقل؟

"دعونا نعدتناول الطعام خارج المنزل بمفردنا، أن نكون خدماً لعدد أقل من البسطاء، وأن نمتلك الثياب من أجل هدفها الأصلي فقط، وأن نعيش في منازل أكثر بساطة".
— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

كان الكاتب شتيفان تسفايغ - الذي اشتهر بحكمته المشابهة للحكمة الموجودة في الفلسفة اليونانية - في مرحلة ما من حياته أحد مؤلفي الكتب الأكثر مبيعاً في العالم، حتى دُمرت حياته بصعود هتلر إلى سدة الحكم. كانت تلك الفترة حزينة، ولكنها كانت من الحالات التي تكررت كثيراً على مدار التاريخ: خرج السياسيون من مناصبهم ليتخذوا مواقف أدركنا فيما بعد أنها شجاعة، وتمرضت أموال الكثير من الأزواج المجتهدين ميسوري الحال للسرقة بواسطة المحتالين. وكان الأشخاص يُتهمون بجرائم لا يتم إثبات الجرم عليهم فيها إلا بعد سنوات لاحقة.

في أية لحظة، قد تنقلب أحوالنا رأساً على عقب ونُجبر على العيش على الكفاف - مال أقل، وتقدير أقل، وإمكانات أقل، وموارد أقل. وينطبق الأمر ذاته على "القلة" المصاحبة للتقدم في العمر: حركة أقل، ومطاقة أقل، وحرية أقل. ولكن يمكننا الاستعداد لكل هذا، إلى حد ما، عبر تعويد أنفسنا ما قد يبدو عليه الوضع في تلك الحالات.

من بين الطرق التي ستساعدك على حماية نفسك من تقلبات الظروف والدوامه العاطفية الناتجة عن ذلك - أن تعيش وفقاً لإمكاناتك الحالية. لذا، اليوم، يمكننا أن نجرب اعتياد امتلاك الأقل والعيش على الأقل حتى لا نشعر بالكثير من الحزن إن أُجبرنا على العيش على القليل.

١٢ سبتمبر

تواضع، ولا ستُجبر على ذلك

"كان زينو يقول دومًا إنه لا شيء غير لائق أكثر من التعالي، خاصة بين الصغار".
— ديوجينيس اللايرتي، من كتاب *Lives of the Eminent Philosophers*

كان خطاب إيسقراط الموجه إلى دومينيكوس (الذي أصبح فيما بعد ملهم خطاب بولونيوس تحت عنوان: لكي تملك نفسك، كن صادقًا) يحمل تحذير زينو نفسه. وعند الكتابة من أجل الصغار، ينصح إيسقراط قائلًا: "كن دمثًا عند التعامل مع من تلقاهم، ولا تكن متكبرًا؛ لأن التكبر والغرور لا يمكن لأحد أن يتحملهما حتى العبيد".

من بين أكثر القصص المجازية شهرة - منذ الثقافات القديمة وحتى الأفلام الشهيرة - ذلك الشاب المتهور المفرط الثقة بنفسه الذي يُجبر على التواضع بواسطة رجل أكبر سنًا وأكثر حكمة. لقد تكررت تلك القصة كثيرًا؛ لأنها من ثوابت الحياة: يميل الناس إلى التفوق على أنفسهم معتقدين أنهم تمكنوا من فهم كل شيء وأنهم أفضل ممن لم يتمكنوا من ذلك. ولقد أصبح التعامل مع هؤلاء الأشخاص الذين يجعلونهم يشعرون كما لو كانوا ينعمون عليهم ببعض المعرفة أمرًا لا يُطاق.

ولكن، يمكن تجنب تلك المواجهات تمامًا: إن لم تنفجر الفقاعة من تلقاء نفسها، فلا حاجة إلى فقئها. إن الثقة المفرطة نقطة ضعف كبيرة وعيب ثقيل. ولكن، إن كنت متواضعًا، فلن يضطر أحد إلى إجبارك على التواضع - حيث تقل أرجحية أن يفاجئك العالم بالمفاجآت السيئة التي يدخرها لك. وإن ظلت متواضعًا، فلن يجبرك أحد على التواضع - ولو بصورة قاسية في الكثير من الأحيان.

١٣ سبتمبر

حماية قلعتنا الداخلية من الخوف

"إن الأحداث هي التي تزيد من تأثير الخوف - وإن كان هناك شخص آخر يمكنه التحكم فيها أو منعها، سيمكنه أن يكون ملهمًا بالخوف. كيف تحطمت القلعة؟ ليس بالحديد والنار ولكن بالأحكام... من هنا علينا أن نبدأ، ومن تلك الجبهة علينا أن نحثل القلعة ونعزل الطفافة من الحكم".

— إيكهتوس، من كتاب *Discourses*

تمنحنا الفلسفة اليونانية مفهومًا بديعًا: القلعة الداخلية. فهؤلاء الفلاسفة يعتقدون، أن تلك القلعة هي التي تحمي أرواحنا. ورغم أننا قد نكون ضعفاء بدنيًا، ورغم أننا تحت وطأة الظروف بطرق شتى، فإن نطاقنا الداخلي غير قابل للاختراق. كما عبر ماركوس أوريليوس عن الأمر (لعدة مرات، في واقع الأمر) قائلاً: "لا يمكن للأشياء المادية أن تمس الروح".

ولكن، يعلمنا التاريخ أن القلعة التي لا يمكن اختراقها يمكن أن تُخترق، إن تعرضت للخيانة من الداخل. حيث يمكن للمواطنين خلف الأسوار - إن وقعوا فريسة للخوف أو الجشع أو حب المال - فتح الأبواب والسماح للعدو بالدخول. وهذا ما يفعله الكثير منا عندما نفقد أعصابنا ونستسلم للخوف.

لقد مُنحت قلعة قوية، فلا تخنها.

١٤ سبتمبر

طريقة أخرى للدعاء

"جرب الدعاء بطريقة مختلفة، وانظر ما سيحدث: بدلاً من أن تطلب... طريقة للتخلص من الأرق... جرب أن تطلب... طريقة تساعدك على عدم الرغبة في الأرق... وبدلاً من طلب... طريقة للتخلص من شخص ما... اطلب طريقة... للتوقف عن التوق للحصول على ممتلكاته. وبدلاً من طلب... طريقة لعدم فقدان طفلي... اطلب... طريقة لفقدان الخوف من ذلك الأمر".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

الدعاء صلة تأملية، ولكن في الحياة، نجد أننا جميعاً نأمل أشياء ونطلبها. ففي المواقف العصيبة، قد نطلب المساعدة في صمت، أو بعد فترة قاسية، قد نطلب فرصة ثانية من الله، وفي خلال مباراة رياضية، قد نجلس مترقبين النتيجة النهائية نقول: "هيا، هيا، هيا. أرجوك...". قد لا ندعو أدعية بعينها، ورغم ذلك نظل ندعو. ولكن يصبح الأمر كاشفاً بدرجة كبيرة في تلك اللحظات، مدى أنانية الطلبات التي نطلبها دوماً.

إننا نرغب في تدخل إلهي حتى تصبح حياتنا أسهل فجأة. ولكن، ماذا عن طلب الجلد والقوة حتى نتمكن من فعل ما نحتاج إلى فعله؟ ماذا لو بحثت عن الوضوح فيما يمكنك السيطرة عليه، وما يقع ضمن نطاق قدرتك؟ قد تجد أنه قد تمت الإجابة عن أسئلتك بالفعل.

١٥ سبتمبر

الحديقة ليست للعرض

"التمرين الأول هو عدم السماح للناس بأن يعرفوا حقيقتك - احتفظ بفلسفتك لنفسك لبعض الوقت، مثلما تفعل عند زراعة الفاكهة - تغرس البذور في بداية الموسم، وتدفنها تحت الأرض، وتبدأ هي بالنمو تدريجياً حتى تصل إلى كامل نضوجها. ولكن، إن نمت البذور قبل أن تنمو ساق النبات بالكامل، فلن يمكنك حصاد المحصول أبداً... هذا النبات يشبهك تماماً: إن أظهرت ثمارك مبكراً، سيقظك الشتاء".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

يعد كل ما قرأته حتى هذه اللحظة، قد ترغب في التفكير: كل هذا رائع. لقد فهمت الأمر، أنا مؤمن بالفلسفة اليونانية. ولكن هذا ليس سهلاً، ولا يعني مجرد اتفاقك مع الفلسفة أنها قد انطبعت في ذهنك ورسخت.

من شأن قراءة الكثير من الكتب لكي تبدو ذكياً أو لتتشيئ مكتبة منزلية كبيرة أن يشبه زراعتك لحديقة لتيهر بها جيرانك. هل تزرع الحديقة من أجل إطعام أسرتك؟ يعد هذا استغلالاً رائعاً ومربحاً لوقتك. لقد ظلت بذور الفلسفة اليونانية تحت التربة طويلاً. لذا قم بالعمل اللازم لكي تنميها وترعاها، حتى تصبح - وأنت معها - على استعداد تام لفصول الشتاء الآتية في حياتك.

١٦ سبتمبر

يمكن أن يصبح أي أحد محظوظًا، ولا يمكنه أن يكون مثابرًا

"قد يأتي النجاح لمحدودي الموهبة ومعدوميها، إلا أن السمات الخاصة للعظماء هي الانتصار على كوارث الحياة ومحنتها".

— سينيكا، من كتاب *On Providence*

ربما تعرفت على أشخاص كانوا محظوظين بدرجة كبيرة في حياتهم، فربما تجمعت فيهم جميع الجينات الجيدة أو كانوا ينجحون في الدراسة والعمل بكل سهولة. ورغم عدم التخطيط واتخاذ القرارات المتهورة والتنقل المفاجئ من أمر إلى آخر، فقد تمكنوا من النجاة من دون خدش واحد. وهناك مثل يقول: "الحظ يحابي الحمقى".

من الطبيعي أن تنظر بحسد إلى هؤلاء الأشخاص، فأنت ترغب في الحياة السهلة أيضًا - أو قد تعتقد ذلك. ولكن هل الحياة السهلة مثيرة للإعجاب لهذه الدرجة في الحقيقة؟

يمكن لأي أحد أن يكون محظوظًا، فلا توجد مهارة مطلوبة لكي تكون لاهيًا، ولكن لن يعتبر أحد هذا الأمر من دلائل العظمة.

من ناحية أخرى، ماذا عن الشخص الذي يتأثر خلال الصعوبات، والذي يواصل المضي قدمًا عندما يستسلم الآخرون، والذي يتمكن من الوصول إلى وجهته عبر العمل الجاد النزيه؟ هذا هو الشخص المثير للإعجاب؛ لأن نجاته كانت نتيجة الجَلْد والمرونة، وليست نتيجة حق بالوراثة أو ظروف معنية. ماذا عن الشخص الذي لا يتغلب على العقبات الخارجية التي تعترض طريق النجاح فحسب، بل يسيطر أيضًا على نفسه وعلى عواطفه على طول الطريق؟ هذا الشخص أكثر إبهازًا. ماذا عن الشخص الذي تعامل مع ظروف أكثر صعوبة واستوعبها جيدًا، ولكنه انتصر عليها في النهاية؟ تلك هي العظمة.

١٧ سبتمبر

التعامل مع الكارهين

"ماذا لو كان هناك من يحتقرني؟ دعه يفعل. ولكنني لن أسمح لنفسني بفعل أمر مهين أو قول. ماذا لو كان هناك من يكرهني؟ دعه يفعل. ولكنني لن أسمح لنفسني بشيء إلا أن تبدو عطوفة وحسنة الطباع وعلى استعداد لأن تُرى حتى الكارهين خطاهم - ليس بطريقة انتقادية، أو من أجل استعراض مدى صبري، بل بصدق وأمانة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

عندما يمتلك شخص ما رأيًا صائبًا بشأن أمر ما، فإن هذا يقول عنه عادة أكثر مما يقول عن الشخص أو الشيء الذي يدور حوله رأيه. وينطبق هذا الأمر بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بالاستياء وكرهية الآخرين (من المفارقات، المحزنة أن من يتعرضون للإجحاف عادة ما يُكونون انجذابًا سرّيًا نحو من يتظاهرون في العلن بأنهم يكرهونهم).

لهذا السبب، كان أصحاب الفلسفة اليونانية يفعلون أمرين عند مواجهه الكراهية أو آراء الآخرين السيئة: كانوا يسألون: هل يقع هذا الرأي داخل نطاق سيطرتي؟ وإن كانت هناك فرصة للتأثير أو التغيير، فإنهم يفتشونها. ولكن إن لم تكن هناك أية فرصة، فإنهم يتقبلون هؤلاء الأشخاص كما هم (ولا يكرهون كارهيهم). إن مهمتنا صعبة بالفعل، ولا نمتلك الوقت للتفكير فيما يفكر فيه الآخرون، حتى إن كانت أفكارهم تتعلق بنا.

١٨ سبتمبر

التعامل مع الألم

"عندما تعاني الألم، ضع في اعتبارك أنه لا يوجد ما تخجل منه، وأنه لن يؤثر بالسلب على ذكائك، أو يمنعه من التصرف بعقلانية وللصالح العام، وفي غالبية الحالات، ستساعدك مقولة إبيكوروس: إن الألم يمكن تحمله وسينتهي؛ لذا يمكنك أن تتذكر تلك الحدود والأتصيف المزيد إليها في مخيلتك. وتذكر أيضًا أن الكثير من حالات الانزعاج عبارة عن ألم خفي، على غرار الميل إلى النوم، والحمى وفقدان الشهية. وعندما تبدأ تلك الحالات بالتأثير عليك بالسلب، أخبر نفسك بالألا تستسلم للألم".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

في عام ١٩٣١، خلال رحلة إلى مدينة نيويورك، صُدم وينستون تشرشل بينما كان يعبر الطريق بواسطة سيارة كانت تسيّر بسرعة تزيد على ٥٠ كم/ساعة. وأكد أحد شهود العيان أنه مات. ولكنه قضى ٨ أيام في المستشفى ليشفى من ضلوع مكسورة وجرح غائر في الرأس.

وقد استعاد تشرشل وعيه إلى حد ما. وعندما تحدث إلى رجال الشرطة، بدأ يحاول جاهدًا أن يثبت أنه المعلوم ولم يكن يرغب في أن يلحق بالسائق أي ضرر. في وقت لاحق، حضر السائق إلى المستشفى لزيارة تشرشل. وعندما أدرك "تشرشل" أن السائق قد طُرد من عمله، عرض عليه - الرجل الذي كاد يقتله - بعض المال. لكن الأمر الذي كان يؤلمه أكثر من جراحه هو قلقه من أن الدعاية المصاحبة للحادث قد تؤثر في قدرة الرجل على العمل في المستقبل، وكان يرغب في مساعدته قدر الإمكان.

لقد كتب تشرشل في وقت لاحق مقالة في أحد الصحف عن التجربة التي مر بها: "الطبيعة رحيمة ولا تمتحن قدرات أبنائها، البشر والحيوانات، بما يفوق قدراتهم. لكن عندما تتدخل أفعال الإنسان القاسية، يظهر العذاب الجهنمي. وخلافًا لهذه الأوقات - عش ولا تخش شيئًا وخذ الأمور كما هي، وتجنب التقاهات، وسيصبح كل شيء على ما يرام".

في الأعوام التالية، كان تشرشل والعالم على موعد مع أكثر عذاب تمكن
البشر من اختراعه، ولكنه - وكذلك الكثير من أسلافنا - تحمل هذا الألم بجلد.
ورغم فداحة الأمر، عاد كل شيء إلى طبيعته من جديد. فكما يقول إبيكوروس،
لا شيء لانهائي. وأنت بحاجة إلى امتلاك القدر الكافي من القوة والكياسة حتى
تتمكن من النجاة.

١٩ سبتمبر

مرونة الإرادة

"تذكر أن تغيير رأيك واتباع تصحيح الآخرين لمسارك لا يتناقض مع الإرادة الحرة؛ حيث إن الأفعال تخصك وحدك - لكي تلبي أهدافها بدوافعك وأحكامك، ونعم، بذلك".
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

عندما يعمل عقلك على مهمة بعينها، هل تتابعها؟ سيكون هذا عملاً فذاً. ولكن، لا تحول نفسك إلى سجين لهذا النوع من التصميم؛ فقد تتحول تلك الميزة إلى عبء ذات يوم.

إن الأحوال تتغير، وتظهر حقائق جديدة، وتطراً ظروف، وإن لم تتمكن من التكيف معها - إن واصلت المضي قدماً دون أن تتمكن من تعديل حالتك طبقاً للمعلومات الجديدة - فلن تكون أفضل من الآلة. لا تدور الفكرة حول امتلاك إرادة حديدية، بل إرادة قادرة على التكيف - إرادة يمكنها استغلال المنطق لتوضيح وجهات النظر والنزعات والأحكام للعمل بفاعلية نحو الهدف الصحيح. ليس من الضعف أن تتغير وتتكيف. والمرونة تعد نوعاً من القوة، ففي واقع الأمر، عند دمج تلك المرونة مع القوة، فسنصبح مرنين ولا نُقهر.

٢٠ سبتمبر

الحياة ليست حركات إيقاعية

"فن الحياة أقرب إلى كونه مصارعة من كونه حركات إيقاعية؛ لأن الحياة الفنية تتطلب أن تكون مستعداً لمواجهة الهجوم المفاجئ عليك والصدود أمامه".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

الحركات الإيقاعية، استعارة توصف بها الحياة عادة. يجب أن يكون المرء رشيقاً وخفيف الحركة حتى يتمكن من مواكبة الإيقاعات. ويجب على المرء أن يشعر بالإيقاعات ويتبعها وينسب مع من حوله. ولكن، يدرك من جربوا القيام بالأمور الصعبة، سواءً في منافسة أو محنة، أن استعارة الحركات الإيقاعية ليست كافية؛ حيث إن القائم بتلك الحركات لن يتعرض للاختناق أبداً بواسطة أي من منافسيه.

أما بالنسبة للمصارع، فعلى التقيض تماماً، عادة ما تكون المحن والمفاجآت جزءاً لا يتجزأ مما يفعله. إن رياضته قائمة على القتال، مثل الحياة تماماً. وهو يتصارع مع خصومه ومع قيودهم ومشاعرهم وتدريباتهم.

وتتطلب الحياة، مثل المصارعة، أكثر من مجرد الحركات الرشيقة، حيث يجب أن نخضع لتدريبات شاقة وأن نفرس هي أنفسنا إرادة لا تُقهر للفوز. وإن الفلسفة هي الحديد الصلب الذي نشهد به تلك الإرادة ونقوي الإصرار لدينا.

٢١ سبتمبر

حافظ على الهدوء، وحافظ على السيطرة

"عندما تُجبرك، كما قد يتراءى لك، الظروف على الارتباك المطلق، لملم شتات نفسك بسرعة، ولا تُخرج نفسك من الصورة لفترة أطول من المطلوب؛ فبذلك ستكون قادرًا على الحفاظ على الأمور التي واصلت العودة إليها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

ستفاجئنا الكثير من الأمور من وقت لآخر، ليس بنوعية أحداث "البجعة السوداء" فحسب - هجوم إرهابي أو كساد مالي - بل أيضًا بالأحداث الصغيرة غير المتوقعة. قد تتعطل بطارية سيارتك، أو يلغى صديقك زواجه في اللحظات الأخيرة، أو تشعر فجأة بأنك لست بخير. ولتلك المواقف طرقها في جعلنا نشعر بالتشتت والارتباك. إننا نمتلك فرضيات معينة عن العالم، وأنشأنا خططًا حول تلك الفرضيات. والآن، بعد انهيار هذه الفرضيات، قد ينهار أيضًا نظامنا أو فهمنا للعالم.

لا بأس بهذا. إنه يحدث! سيواجه مجموعة من جنود المشاة هجومًا ضارياً - ما الشيء الذين يحاولون تخبيثه عن أعين الفوضى، وسيواجه الموسيقيون مشكلات فنية ويفقدون مكانتهم الفنية من وقت لآخر. في كلتا الحالتين، ما بهم هو أن يتمكنوا من تنظيم صفوفهم وأوضاعهم بأسرع وقت ممكن. وينطبق الأمر ذاته عليك اليوم؛ فقد يفسد النظام ويتمكر الصفوف بفعل الظروف الجديدة. حسنًا، تمالك نفسك واعثر على طريق العودة.

٢٢ سبتمبر

لا أتم، لا جائزة

“تظهر المضاعب معادن الرجال. لذا، عندما يواجهك تحدٍّ ما، تذكر أن الظروف ستجمعك بشريك أصغر سنًا للتدريب معه، كما يفعل المدرب الديني. لماذا؟ يتطلب الأمر الكثير من العرق لتكون بطلاً أولمبيًا. ولا أعتقد أن هناك تحديًا أفضل من نفسك، فقط إن استخدمتها على أنها ذلك الشريك الأصغر سنًا.”

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

كان أصحاب الفلسفة اليونانية يحبون استخدام الاستعارات من المسابقات الأولمبية، خاصة المصارعة. ومثلما نفعل نحن، كانوا يرون الرياضة على أنها طريقة مرحة لقضاء الوقت إلى جانب كونها مجالًا للتدريب على التحديات التي لا شك في أن المرء سيواجهها خلال حياته. قال الجنرال دوجلاس ماك آرثر ذات مرة، الكلمات التي حُفرت في وقت لاحق على جدران صالة الألعاب الرياضية بأكاديمية ويست بوينت العسكرية:

في حقول الصراع الودي
يتم نثر البذور
التي، في حقول أخرى، وأوقات أخرى
ستطرح ثمار النصر.

لقد تعرضنا جميعًا لحالات تفوق فيها خصومنا علينا، وشعرنا بالإحباط. بسبب مهارة أو خصلة يملكونها ولا نملكها: طول القامة، السرعة، الرؤية. وغيرها. وستخبرنا طريقة اختيارنا للاستجابة لتلك الصراعات بالكثير عما سنكون عليه كرياضيين، وعما سنكون عليه كبشر. هل نرى الأمر كفرصة للتعلم وزيادة قوتنا؟ هل نشعر بالإحباط ونبدأ بالشكوى؟ أو الأسوأ، هل نتجاهل كل هذا ونبحث عن طريقة أسهل للعب، طريقة تجعلنا نشعر بالراحة بدلًا من التحدي؟

لا يتجنب العظماء تلك الاختبارات لقدراتهم، بل يسمعون إليها لأنها ليست مجرد معيار للعظمة، بل هي الطريق إليها.

٢٣ سبتمبر

أكثر الحصون أمانًا

"تذكر أن منطلق المسيطر سيصبح لا يُقهر عندما يتجمع حول نفسه ويعتمد عليها، وبالتالي لن يفعل أي شيء على النقيض من إرادته، حتى وإن كان غير عقلائي في اختياره هذا. فالإي أي مدى سيزداد مناعةً إن كانت أحكامه دقيقة وعقلانية؟ لذا، فإن العقل المتحرر من الشغف يعتبر حصناً لا يمكن اختراقه - ولن يوجد للمرء مكان أكثر أمنًا ليتخذهُ ملاذًا له".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

أدعى بروس لي ذات مرة ادعاءً مثيرًا للاهتمام: "لا أخشى الرجل الذئب، تدرب على ١٠ آلاف ركلة لمرة واحدة، ولكنني أخشى الرجل الذي تدرب على ركلة واحدة ١٠ آلاف مرة". عندما نكرر فعلًا ما، يصبح سلوكًا نابغًا من العقاب الباطن، وقد نفعله من دون أن نفكر.

إن التدريب على الفنون القتالية أو القتال عبارة عن دراسة متعمقة للحركات، قد نعتقد في بعض الأحيان أن الجنود يشبهون الآلات، ولكنهم في الحقيقة تمكنوا من اعتياد أنماط ثابتة من الأفعال غير المدركة، ويمكن لأي منا أن يفعل المثل.

عندما قال ماركوس إنه يمكن للمرء أن يذهب إلى مكان حيث "لا يفعا شيئًا على النقيض من إرادته، حتى إن كان وضعه غير عقلائي"، كان يعني أن التدريب الجيد يمكنه تغيير العادات التلقائية. لذلك، درب نفسك على التخلص عن الغضب، ولن تغضب طوال الوقت. درب نفسك على تجنب النسيمة، ولن تنجر إليها. درب نفسك على أية عادة، وستجد نفسك تفعلها حتى في أضعف المواقف.

فكر في السلوكيات التي قد ترغب في جعلها تلقائية إن تمكنت، كم منها جربته لمرة واحدة فقط؟ اجعلها اليوم مرتين.

٢٤ سبتمبر

قد يحدث هذا لك

"يضيف عامل المفاجأة ثقلاً كبيراً للكارثة، ولم تفشل تلك المفاجآت مطلقاً في زيادة الام البشر، ولهذا السبب، يجب ألا يكون أي شيء مفاجئاً بالنسبة لنا. يجب أن تفكر عقولنا بشكل مسبق في جميع الأمور التي لا يجدر بنا أن نعتبرها المسار الطبيعي للأمور، بل التي يمكن أن تحدث. هل يوجد أي شيء في الحياة قد يُسعد الحظ لدرجة أن يهبط من عليائه؟"

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

في عام ٦٤ ميلادياً، خلال حكم نيرون، انتشرت حرائق كبيرة في أنحاء مدينة روما، وقد أرسلت مدينة ليون الفرنسية الكثير من المال لمساعدة الضحايا. وفي العام التالي، ضربت الحرائق مدينة ليون، الأمر الذي دفع نيرون لإرسال قيمة الأموال نفسها لمساعدة الضحايا. وقد كتب سينيكا في خطاب لصديقه عن تلك الحادثة، أنه دُهل من الحدث: تساعد مدينة نظيرتها، ولا يمر وقت طويل حتى تتعرض المدينة الأولى للكارثة نفسها.

كم يتكرر هذا الأمر معنا؟ قد نحاول التسرية عن صديق عندما تفسد علاقته بمن يحب، لنفاجأ بأن علاقتنا بمن نحب قد انتهت. لذا علينا أن نعد عقولنا لاحتمالية تقلب الظروف. في المرة القادمة عندما تقدم تبرعاً لمؤسسة خيرية، لا تفكر في الخير الذي فعلته الآن، بل فكر في احتمالية أنك قد تصبح بحاجة إلى تلك التبرعات ذات يوم.

كما تبادر إلى علمنا، فقد عاش سينيكا مأساة مشابهة؛ فبعد عام أو نحوه من كتابة هذا الخطاب، اتهم زوراً بالتآمر على نيرون. والنتيجة؟ حُكم على سينيكا بأن ينتحر. وطبقاً لرواية المؤرخ تاسيتوس للحدث، بكى أصدقاء سينيكا المقربون وأدانوا الحكم، فكان سينيكا يسألهم المرة تلو الأخرى: "أين شعاراتكم الفلسفية واستعداداتكم طوال سنوات من الدراسة ضد الشرور القادمة؟ هل هناك من لا يعرف قسوة نيرون؟"؛ أي أنه كان يعلم أن الأمر قد يحدث له، فاستعد له جيداً.

٢٥ سبتمبر

ضعف الاعتمادية

"أرني شخصاً ليس خاضعاً لشيء ما! هناك من يخضعون لرغباتهم ولخرون للجنس أو السلطة، ونحن جميعاً نخضع للخوف. أعرف قنصلاً سابقاً كان خاضعاً لامرأة مسنة، وهناك مليونير كان خاضعاً لعاملة نظافة... فليس هناك أكثر ذلاً من تلك القيود التي يفرضها المرء على نفسه".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

جميعنا مدمنون بشكل أو بآخر. إننا ندمن نظمنا اليومية، أو القهوة، أو الراحة، أو قبول الآخرين. وتعني تلك الاعتمادية أننا لسنا المتحكمين في حياتنا - بل الاعتمادية هي المسيطرة.

قال إبيكتيوس: "أي شخص يرغب بشدة في أن يكون حرّاً لن يرغب في شيء يقع تحت سيطرة شخص آخر، إلا إذا كان يرغب في أن يتحول إلى عبد" يمكننا محو حب الأشياء المادية من قلوبنا في لحظات معدودة؛ حيث يمكننا قطع عاداتنا، وقد يمتعنا الطبيب من تناول القهوة، وقد نتورط في مواقف غير مريحة.

لهذا السبب، يجب أن نقوي أنفسنا عبر اختبار تلك الاعتمادية قبل أن تتفاقم. هل يمكنك العيش دون هذا الشيء أو ذلك ليوم واحد؟ هل يمكنك اتباع حمية غذائية لشهر كامل؟ هل يمكنك أن تقاوم الرغبة في الاتصال الهاتفي بشخص ما؟ هل أخذت حماماً بارداً من قبل؟ لن يصبح الأمر سيئاً بعد المحاولتين الأولىين. هل قدت سيارة صديقك من قبل عندما كانت سيارتك الأفضل معطلة؟ هل كان الأمر سيئاً لهذا الحد؟ اجعل نفسك متيعاً ضد اعتماديتك على الراحة والدعة، والا سيجبرك ضعفك على هذا ذات يوم.

٢٦ سبتمبر

فيم تستغل وقت الفراغ

"الفراغ من دون دراسة موت - قبر للأحياء".

-- سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

أنت تستحق عطلة، لأنك تعمل بجهد وتضحي وتضغط على نفسك. لقد حان وقت الراحة. اركب طائرة، أو احجز غرفة في فندق أو اذهب إلى الشاطئ - ولكن لا تنس أن تضع كتابًا تحت إبطك (وليس مجرد كتاب تافه). وتأكد من أن تستمتع بعطلتك مثل الشعراء - ليس في كسل بل في نشاط، ملاحظًا العالم من حولك، مستوعبًا إياه بالكامل، ومتفهمًا موقعك من الكون بصورة أفضل. خذ راحة من العمل من وقت لآخر، ولكن ليس من التعلم.

ربما كان هدفك هو جمع قدر كافٍ من المال حتى تتمكن من التقاعد مبكرًا. هذا جيد، ولكن الهدف من التقاعد ليس هو التراخي أو قضاء الوقت، رغم سهولة هذا الأمر، بل السماح بالسعي لتحقيق أهدافك الحقيقية الآن، بعد أن أفسحت لك العقبة الكبرى الطريق. هل ستجلس طوال اليوم دون أن تفعل شيئًا؟ هل ستظل تشاهد التلفزيون إلى ما لا نهاية أم ستسافر من مكان لآخر وتمحو بنودًا من قائمة الأماكن التي ترغب في زيارتها؟ وتلك ليست حياة، ولا حرية.

٢٧ سبتمبر

ما الذي ستكشفه الرفاهية؟

"سيتسبب السلام نفسه في القلق. ولن تمنحك الظروف الأمانة الثقة بمجرد أن يُصعق عقلك - فبمجرد أن يعتاد الهلع الأعمى، لن يمكنه أن يوفر الأمان لنفسه، ولكننا نتعرض لمخاطر أكبر ولا نراها".

— سينيك، من كتاب *Moral Letters*

هناك مثل قديم يقول إن المال لا يغير النفوس، بل يكشفها على حقيقتها وقد كتب روبرت كارو أمراً مشابهاً: "السلطة لا تُفسد، بل تكشف". وتعال الرفاهية - المادية والشخصية - بالطريقة نفسها بشكل ما. إن طور ذهنك عادة بعينها - عادة الهلع في حالة سينيك - فلن يهتم الأمور الجيدة التي يقدمها لك. وستظل ملتزماً بالهلع، وسيظل عقلك يبحث عن أمور ليقلق بشأنها، وستظل تعسفاً، وربما أكثر مما سبق؛ لأنه أصبح لديك الآن ما تخسره.

لهذا السبب، من الحماقة أن تأمل في وجود الحظ الحسن. وإن كان عليك أن تأمل بتحقيق أمر وحيد، فليكن قوة الشخصية التي يمكنها أن تزدهر مع الحما. الحسن. أو الأفضل، العمل على الوصول إلى هذا النوع من الشخصية والثقة فكر في كل فعل وكل خاطرة - فكر فيهما كأحجار تستخدمها في بناء شخصيتك، المنيع. ثم اعمل على كل واحدة منهما لتجعلها قوية ومهمة في حد ذاتها.

٢٨ سبتمبر

معك الورقة الرابعة

"ما مدى صدق أن الظروف قد وضعت، تحت تصرفنا تلك القدرة الكبرى على التحكم في كل شيء آخر - القدرة على الاستغلال الأمثل للمظاهر الخارجية - ولم تضع أي شيء آخر تحت سيطرتنا. هل هذا بسبب أنها لا تريد لنا أن نحظى بأي شيء آخر؟ اعتقد أنها لو كانت قادرة على منحنا المزيد، لفعلت، ولكن هذا مستحيل".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses* —

فكسك ننظر إلى اليوم القادم ونشعر بالإحباط بسبب جميع تلك الأمور التي لا يمكننا السيطرة عليها: الناس، صحتنا، درجة الحرارة، نتائج مشروع ما بمجرد أن نبدأ.

أو يمكننا أن ننظر إلى اليوم نفسه ونسعد بالشيء الوحيد الذي يمكننا التحكم فيه: القدرة على تقرير ما يعنيه أي حدث.

يقدم الخيار الثاني القوة المطلقة - نوعًا حقيقيًا وعادلًا من السيطرة. وإن كنت قادرًا على التحكم في الآخرين، ألن يمكنهم التحكم فيك؟ ولكنك منحت أفضل ورقة رابحة وأكثرها استخدامًا. فرغم أنك لا تستطيع السيطرة على الأحداث الخارجية، فإنك تملك القدرة على الاستجابة لتلك الأحداث. إنك متحكم فيما يعنيه كل من هذه الأحداث بالنسبة لك.

وقد يشمل هذا الحدث ما تمر به الآن. وستجد أن تلك الورقة الرابعة، إن استخدمتها بالطريقة الصحيحة، لا تزول.

٢٩ سبتمبر

حاجاتك الحقيقية محدودة

"لا يمكن لشيء أن يرضي الجشع، إلا أن حتى المعايير الصغيرة يمكنها إرضاء الفطرة. لهذا السبب، لا يجلب الفقر المصاحب للنفس حطًا عاثرًا؛ لأن لا منفى سيكون قاحلاً لدرجة أنه لن يقدم دعمًا كبيرًا للمرء".

— سينيكا، من كتاب *On Consolation to Helva*

قد يكون من المفيد أن تفكر فيما اعتدت تقبله كأمر طبيعي: فكر في راتبك، الأول - كم بدًا كبيرًا في ذلك الحين. أو شقتك الأولى، بغرفة نومها وحمامها وتلك النافذة التي فتحتها في جدار المطبخ. واليوم، بعدما حققت المزيد من النجاح، لم تعد تلك الظروف المحيطة بك كافية. في واقع الأمر، قد ترغب في أكثر بكثير مما تملكه الآن. ولكن، منذ بضعة أعوام، لم تكن تلك الظروف المحدودة كافية فحسب، بل كانت رائحة أيضًا.

عندما نحقق النجاحات، ننسى كم كنا أقوياء في الماضي. لقد كنا نمتد بصورة كاملة ما نملكه، وكنا نعتقد تقريبًا أننا سنموت من دونه. لا شك في أن ما حدث كان مجرد حديث للطمأنينة. ففي أثناء الجروب العالمية، كان آباؤنا وأجدادنا يعيشون على حصص محدودة من الوقود والزبد والكهرباء. وكانوا بخير، مثلما كنت بخير عندما لم تكن تملك الكثير.

تذكر اليوم أنك ستكون بخير إن ساءت الأحوال، حيث إن حاجاتك الحقيقية محدودة، ولا توجد أمور خطيرة إن حدثت ستهدد بقاءك على قيد الحياة. فكر في هذا الأمر - وعدل من مخاوفك طبقًا له.

٣٠ سبتمبر

لا يمكنك أن تمسني

"إن عاملتني بعنف، فقد تسيطر على جسدي، ولكن عقلي سيظل دومًا مع ستيليو".
 — زينو، اقتباس ظهر في كتاب ديوجينيس اللايرتي، من كتاب *Lives of the Eminent Philosophers*

لم يدع زينو امتلاك قدرات خارفة، ولكنه كان يقول إنه عندما يتعرض جسده للتعذيب، تحمي الفلسفة عقله بواسطة قوة داخلية – تعلمها من أستاذه ستيليو لا يمكن كسر أبوابها من الخارج، ولا تهزم إلا باستسلامها. أنظر إلى الملاك روبن كارتر المقلب بـ "الإعصار"، والذي أتهم زورًا بالقتل وقضى نحو ٢٠ عامًا في السجن. كان يقول: "لا أعترف بوجود السجن. إنه ليس موجودًا بالنسبة لي". بالطبع، كان السجن المادي موجودًا، وكان موجودًا بالفعل داخله، ولكنه لم يسمح لعقله بأن يُسجن معه.

إنك تملك أيضًا تلك القوة، وأمل ألا تضطر لاستخدامها في مواقف عنيفة أو جائرة، ولكن في خضم أي نوع من المحن، ستظل متواجدة. وبصرف النظر عما يحدث لجسدك، وبصرف النظر عما يحدث في العالم الخارجي وينعكس عليك، يمكن أن يظل عقلك متمسكًا بالفلسفة، وستظل ملكك، ولا يمكن المساس بها – وستكون أنت أيضًا كذلك، إلى حد ما.

أكتوبر

الفضيلة والعطف

١ أكتوبر

دع الفضيلة تشرق من داخلك

"هل يشع المصباح ضوءاً ويظل كذلك حتى ينفد وقوده؟ لم لا تحافظ على إشعاع الحقيقة والعدالة والتحكم في النفس حتى تخبو شعلة حياتك؟"

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

كتب سينيكا، مكرراً فكرة هيراكليتوس، ما يلي: "نحن الفانين تشتعل حياتنا وتخبو". ويغمر شعاع المنطق الكون، سواءً كانت شعلة مصباحك تضيء للمرة الأولى، بعد فترة طويلة من الظلام، أو حتى إن أضاءت قبيل الراحة الأبدية مباشرة، لا فارق.

هاك حيث توجد الآن، وهو مكان جيد مثل أي مكان آخر للسماح للفضيلة بأن تشرق وتواصل الإشراف مادمت على قيد الحياة.

٢ أكتوبر

الممتلكات الأكثر قيمة

"لا يمكن أن يخسر الحكيم أي شيء، حيث يمتلك مخزوناً من كل شيء لنفسه، ولا يترك شيئاً للحظ، ويتمسك بممتلكاته بقوة، ولا يحتاج إلى شيء من الحظ، وبالتالي، لا يمكن للحظ أن يرفعه أو يخسره به الأرض".

— سينيكا، من كتاب *On the Firmness of the Wise*

يُدخِر بعض الناس أموالهم في صورة أصول - أسهم أو سندات أو عقارات. في حين يستثمر البعض الآخر في العلاقات أو الإنجازات، مدركين أنهم سيستطيعون الاستفادة من تلك الأمور بنفس سهولة الاستفادة الآخرين من الأموال المدخرة في المصارف. ولكن هناك نوعاً ثالثاً، كما يقول سينيكا، هم من يستثمرون في أنفسهم - أن يكونوا خيرين وحكماء.

أي من تلك الأصول أكثر مناعة ضد تقلبات السوق وكوارثها؟ أيها سيكون أكثر مرونة في وجه المحن والمصائب؟ أيها لن يهجرِكَ أبداً؟ تعتبر حياة سينيكا مثلاً حياً على ذلك. فقد حقق الكثير من الثراء بفضل صداقته بالإمبراطور، ولكن، مع زيادة اختلال نيرون، أدرك سينيكا أنه بحاجة إلى الابتعاد عنه. فمرض عليه اتفاقاً؛ كان سيمطي نيرون كل ما يملك من مال ويعيد له جميع هداياه في مقابل حريته الكاملة.

ولكن، نيرون رفض العرض في النهاية، ولم يثن هذا سينيكا عن الرحيل والتقاعد في سلام. ولكن، ذات يوم، حضر إليه منفذو الأحكام حاملين الحكم بالإعدام. في تلك اللحظة، ما الذي اعتمد سينيكا عليه؟ لم يكن المال، ولم يكن الأصدقاء، الذين كانوا مصدرًا للحزن، رغم نواياهم الحسنة. بل اعتمد على فضائله وقوته الداخلية.

كانت تلك أفسى لحظة يعيشها سينيكا - وآخرها وأفضلها.

٣ أكتوبر

شعار للاعتماد المتبادل

"تأمل الصلة المتبادلة والاعتماد المتبادل بين كل شيء في الكون؛ حيث إن جميع الأشياء مرتبطة بصورة ما معًا، ولهذا السبب تنجذب إلى بعضها - لذا يتبع أحدها الآخر طبقاً لقوة حركته ودوافعه ووحدة جميع مكوناته".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لاحظت أن لامونت ذات مرة أن جميع الكُتاب "عبارة عن أنهار صغيرة تصب في بحيرة واحدة"، حيث يسهم الجميع في مشروع واحد كبير. وينطبق الأمر ذاته على العديد من المجالات - وحتى داخل الشركة الواحدة، للأسف، ينسى الموظفون أنهم يعملون معًا. إننا كيشر، نتنفس الذرات نفسها التي كونت أجساد أسلافنا، ونعيدها إلى الأرض نفسها عندما نموت.

وقد ذُكر أصحاب الفلسفة اليونانية أنفسهم، مرارًا وتكرارًا، بترابط الحياة. ربما كان هذا لأن الحياة في اليونان وروما القديمتين كانت قاسية، فقد كان البشر والحيوانات على حدٍ سواء يُذبحون في الكولوسيوم بلا رحمة لإمتاع حشود الجماهير (الأحداث التي امتعض منها أصحاب الفلسفة اليونانية في كتاباتهم). ثم غزو البلدان وبيعت شعوبها كعبيد من أجل توسعة رقعة الإمبراطورية (العبث الذي امتعض منه أصحاب الفلسفة اليونانية أيضًا). لا يمكن أن يظهر هذا النوع من القسوة إلا عندما تنسى صلتنا بالبشر الآخرين وبالطبيعة.

اليوم، اقض لحظات لتتذكر أننا مرتبطون ببعضنا ببعض وأن لكل منا دوره (سواء كان هذا الدور جيدًا أو سيئًا أو قبيحًا) في هذا العالم.

٤ أكتوبر

الجماعة للفرد، والفرد للجماعة

"ما لا يصلح للخلية، لا يصلح للنحلة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

ترسخ في مفهوم الفلسفة اليونانية للانجذاب فكرة الكون المترابط؛ حيث يعتبر كل شيء في الكون جزءاً من كل أكبر. كان ماركوس أوريليوس من أوائل من كتبوا عن فكرة الكونية - حيث كان يقول إنه مواطن من مواطني العالم وليس روما فقط.

تذكرنا فكرة أنك نحلة تعيش ضمن خلية نحل كبيرة بهذا المنظور. كما أن ماركوس عبر عن النقيض لهذه الفكرة في كتاب *Meditations*، حتى لا ينسى: "ما لا يمكنه أن يضر بالمجتمع، لن يضر بالفرد".

لا يعني كون أمر ما سيئاً بالنسبة لك أنه سيئ بالنسبة للجميع. ولا يعني كون شيء ما جيداً بالنسبة لك بالطبع أنه سيكون جيداً بالنسبة للجميع. فكر في مديري المحافظ الوقائية الذين يدخلون في مغامرات كبيرة ضد الاقتصاد - إنهم يربحون عبر تعبيد طريق الفشل أمام جميع الباقيين. هل هذا ما ترغب في أن تصبح عليه؟ يدرك متبع الفلسفة اليونانية الجيد أن الدوافع الصحيحة والأفعال الناتجة عنها، تحمل بصورة تلقائية الخير للجميع، وهو الخير الوحيد الذي يريده الحكماء. والعكس صحيح: عادة ما تكون أفعال الخير التي يقوم بها المجتمع خيراً للفرد.

٥ أكتوبر

لا يمكن التراجع عما قلت

"أن تتعثر قدمك أفضل من أن يتعثر لسانك".

— زينو، اقتباس ذكره ديوجينيس اللايرتي من كتاب *Lives of the Eminent Philosophers*

يمكنك أن تنهض دومًا بعد أن تتعثر، ولكن تذكر: ما قيل لا يمكن التراجع عنه؛ خاصة إذا كانت الكلمات قاسية وجارحة.

٦ أكتوبر

رعاية بعضنا بعضاً

"من طبيعتنا أن نظهر الحب لأصدقائنا وأن نحتمي بإنجازاتهم، كما لو كانت إنجازاتنا نحن. وإن لم نفعل ذلك، فلن تصمد الفضيلة، التي تقوى فقط عبر تجربة وجهات النظر، في دخلنا".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

إن مراقبة الناس وهم ينجحون من بين أصعب الحالات التي يمر بها البشر خاصة إن لم يكونوا قادرين على تحقيق النجاح. ففي عقليتنا القائمة على الصيد والجمع، نشك دومًا في أن الحياة عبارة عن لعبة لا طائل منها - أن المرء عندما يمتلك المزيد من الأدوات قد ينتهي به الأمر ولم يحقق إلا القليل. لكن، مثلما تقول جميع مذاهب الفلسفة، يدور التعاطف والإيثار حول ممارستها. وكما لاحظ سينيكا، يمكن أن تتعلم "الشعور بالسعادة لنجاح الآخرين والحزن على فشلهم" - هذا ما يفعله أصحاب الفضائل. حيث يعلمون أنفسهم أن يفرحوا بصدق من أجل الآخرين - حتى إن كان هذا على حساب أنفسهم في بعض الحالات - وتتحية الفيرة والرغبة في التملك جانبًا. ويمكنك أن تفعل هذا أيضًا!

٧ أكتوبر

سبب أناني لأن تكون جيداً

من يرتكب الأخطاء، يرتكبها لنفسه. والجائر، يجور على نفسه – ويجعل من نفسه شريكاً.

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

في المرة القادمة عندما ترتكب خطأ، حاول أن تتذكر الشعور الذي انتابك. فتأدرًا ما ستجد شخصًا يقول: "لقد انتابني شعور رائع".

هناك سبب وجيه للمثور دومًا على آثار شيء في أماكن جرائم القتل، وبدلاً من الراحة التي كان المرء يعتقد أنه سيشعر بها عندما يفقد السيطرة على نفسه أو عند تحقيق الانتقام، ينتهي به المطاف وقد انقلبت معدته. ونشعر بنسخة أضعف من تلك عندما نكذب أو نخدع أو نلحق الأذى بشخص ما.

لذا، في ذلك الكسر من الثانية قبل أن تتدخل نفسك الشريرة في الأمر، اسأل نفسك: بهم أشعر حيال نفسي؟ هل يرتفع الخوف في تلك اللحظة كفضة في حلقك، لأنك شككت في أن تورطك في المشكلة يستحق فعل ذلك الأمر من البداية؟

نادرًا ما يصاحب ارتكاب الأخطاء وعيًا ذاتيًا. فإذا كنت بحاجة إلى سبب أناني لكي لا ترتكب الأخطاء، فتواصل مع تلك الأحاسيس، فلا يوجد تأثير محبط قوي لتلك الدوافع.

٨ أكتوبر

المتعة الكبرى

"نعم، قد يكون تحقيق أمنيتك أمرًا رائعًا. ولكن، أليس هذا هو السبب في أن المتعة تجعلنا نفشل؟ وبدلاً من هذا، انظر إذا كان يمكنك جعل تلك الأمور أكثر روعة - روح أو حرية أو أمانة أو عطف أو طهارة رائعة. لا يوجد شيء أكثر إمتاعًا من الحكمة نفسها، عندما تفكر في مدى ثقتك وراحة أعمال الفهم والمعرفة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لا يمكن لأحد أن يجادل فكرة أن المتعة ليست ممتعة؛ فهذا هو ما تفعله بطبيعتها.

ولكن، اليوم، يذكر ماركوس أوريليوس - كما ذكر نفسه - بأن تلك المتع نادرًا ما تقف لدعم الفضائل. إن دفعات هرمون الدوبامين المصاحبة لممارسة العلاقة الحميمة لا تدوم، وكذلك لا يدوم الفخر المصاحب للإنجازات أو حتى التصفيق الحاد من الحضور. وتلك المتع شديدة القوّة والتأثير، ولكنها تنتهي وتتركنا راغبين في المزيد. ما الذي يستمر لفترة أطول (ويظل داخل نطاق سيطرتنا)؟ الحكمة والشخصية الجيدة والرزانة والعطف.

٩ أكتوبر

حدد المعايير واستخدمها

"عندما يتم تحديد المعايير، يمكن اختبار الأمور وتقييمها. وهذا هو عمل الفلسفة: فحص المعايير ورفعها، أما عمل الشخص الخير الحقيقي فهو استخدام تلك المعايير عندما يدركها".

— إبيكتيوس، من كتاب *Discourses*

نعيش أيامنا في استجابات وردود أفعال، ولكننا نادرًا ما نقف لنسأل: هل يتفق هذا الأمر السذي أو شكت على فعله مع ممتقداتي؟ أو السؤال الأفضل: هل هذه هي نوعية الأمور التي قد يفعلها الشخص الذي أرغب في أن أصبح عليه؟ مهمة الناس هي تحديد المعايير، ومن ثم عدم التنازل عنها أبدًا. فعندما تتظف أسنانك أو تختار أصدقاءك أو تفقد أعصابك أو تحب شخصًا ما أو تربي طفلك أو تنزه كلبك - تعتبر جميع تلك الأفعال فرصًا. لا تقل: أريد أن أفعل الصواب - فهذا مبرر، بل سأفعل الصواب في تلك الحالة بالذات، الآن. ضع المعايير، والتزم بها - هذا كل ما يتطلبه الأمر!

١٠ أكتوبر

الاحترام والعدالة

"أترك الماضي وراء ظهرك، ودع المقادير تهتم بالمستقبل، وأرشد، بدلاً من ذلك، الحاضر إلى الاحترام والعدالة. واحترم حتى تحب ما كان من نصيبك، فقد جمعتهما الطبيعة معاً. واعدل حتى يمكنك قول الحقيقة بكل حرية ومن دون مواربة، وحتى لا تتصرف إلا بالقدر الذي تحتاج إليه قوانين الأمور وقيمتها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

يقول أولوي جيلبيوس إن إبيكتيتوس قال ذات مرة: "إن كان على المرء أن يحفظ كلمتين عن ظهر قلب، وأن يستخدم الألام للحكم على نفسه وحمايتها، فسيعيش حياة خالية من الأخطاء وملئمة بالسكينة. هاتان الكلمتان هما: المثابرة والمقاومة". يا لها من نصيحة رائعة! ولكن، ما المبادئ التي سنحدد على أساسها الأمور التي علينا المثابرة من أجلها وتلك التي يجب أن نقاومها؟ يقدم لنا ماركوس الحل: الاحترام والعدالة - بمعنى آخر، الفضيلة.

١١ أكتوبر

النزاهة هي وضعك التلقائي

"كم سيكون الأمر سيئًا ومخادعًا إن قال الناس إنهم يريدون أن يصدقوك القول! ما هدفك يا صديقي؟ إن الأمر لا يحتاج إلى إعلان، ولكنه شديد الوضوح، كما لو كان مكتوبًا على جبهتك، ومسموعًا في نبرة صوتك. باختصار، يجب أن يكون الصدق والخير مثل العنزة ذات الرائحة الكريهة: تدرك وجودها عندما تكون في مكان واحد معها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

استخدمنا جميعًا من قبل عبارات مثل: "سأكون صريحًا معك..."، "أصدقك القول..."، "لا أقصد أن أقلل من احترامك ولكن...". لا يهم إذا ما كانت تلك العبارات مجرد تعبيرات جوفاء أم لا، إلا أنها تثير سؤالًا: إن كان عليك أن تبدأ تعليقاتك بإشارات إلى الصدق والصراحة، فما الذي ستقوله تلك الإشارات عن بقية حديثك؟ إذا كنت تقول إنك تتحدث بصدق الآن، فهل يعني هذا أنك لا تفعل ذلك عادة؟

ولكن، ماذا لو عشت حياتك لتجعل سمعتك هي أن أمانتك تساوي أمانة الخزانة الأمريكية في تعاملاتها المالية، وأنت عادل وواضح مثل العقد، وثابت كتعاقب الليل والنهار؟ لن ينقذك هذا من الحاجة إلى استخدام تلك العبارات المطمئنة التي يجب أن ينخرط فيها الآخرون فحسب، بل ستجعلك شخصًا أفضل أيضًا.

١٢ أكتوبر أحب دائماً

"يقول ميكاتو: يمكنني أن أعلمك كيفية إعداد وصفة الحب من دون عقاقير أو أعشاب أو أية وصفات خاصة: إن كنت ترغب في أن تُحب، فأحب".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

في عام ١٩٩٢، ألقى باربرا جوردان خطاباً في المؤتمر الوطني الديمقراطي ونددت بالجشع والأنانية والانقسام التي كانت سمات العقد السابق. كان الناس على استعداد للتغيير، فسألتهم: "التغير إلى ماذا؟ تغيير بيئة الثمانينيات إلى بيئة تتسم بالإخلاص للاهتمامات العامة والخدمة العامة والتسامح والحب. الحب ثم الحب ثم الحب".

الحب ثم الحب ثم الحب. لماذا؟ لأنه، كما قالت فرقة البيتلز الفنائية: "في النهاية، سيساوي الحب الذي تتلقاه الحب الذي تعطيه" - ليس في مجال السياسة فقط، وليس في التسامح فقط، بل في حياتنا الخاصة أيضاً. لا يوجد موقف تساعدنا فيه الكراهية على تحقيق أي شيء. ولكن، يتحسن أي موقف أياً كان إن تخلله الحب - أو التعاطف أو التفاهم أو التقدير - حتى في تلك المواقف التي تعارض فيها شخصاً ما.

من يدري! فربما يعود إليك بعض من هذا الحب.

١٣ أكتوبر

يجب ألا تلجأ إلى الانتقام

"أفضل طريقة لتنتقم هي ألا تنتقم".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

"أن ندع نفسك لتشفى أفضل من أن تسعى للانتقام ممن اذاك؛ حيث إن الانتقام يضيع الكثير من وقتك ويعرضك لأذى أكبر من ذلك الذي سعيت للانتقام بسببه. فدانما ما يدوم الغضب أطول من الألم، ومن الأفضل أن تسلك الاتجاه المعاكس. هل سيعتقد أي شخص أنه من الطبيعي أن تعود لركل حمار ركلك أو أن تعض كلبًا عضك؟"

— سينيكا، من كتاب *On Anger*

لنفترض أن هناك شخصًا ما عاملك بطريقة وقحة. لنفترض أن شخصًا ما ترقى قبلك لأنه نسب عملك إلى نفسه أو حصل عليه بطريقة ملتوية. من الطبيعي أن تفكر: يا إلهي، تلك هي الطريقة التي يسير بها العالم، أو سيأتي اليوم الذي سوف أتصرف فيه بالطريقة ذاتها، أو الأكثر شيوعًا: سأنتقم منهم ذات يوم. إنها أسوأ الردود الممكنة على السلوكيات السيئة.

كما كتب كل من ماركوس وسينيكا، الرد المناسب على تلك السلوكيات - الانتقام الأفضل - هو ألا تنتقم على الإطلاق. فإن عاملك شخص ما بوقاحة ورددت عليه بوقاحة مماثلة، فإنك لم تفعل أي شيء عدا أنك أثبتت له أنه كان محقًا في معاملتك بهذه الطريقة. وإن قابلت خداع شخص ما بالمثل، فخمن، ماذا سيحدث؟ ستثبت له أنه محق - فقد أصبح الجميع كاذبين الآن.

وبدلاً من هذا، دعنا اليوم نسع لأن نكون أفضل من الأمور التي تصيبنا بالإحباط أو الألم. دعنا نكن النموذج الذي نرغب في أن يحذو الجميع حذوه. من السيئ أن تكون مخادعًا أو أنانيًا أو أن تشعر بالرغبة في إيذاء الآخرين، إلا أن العيش متمسكًا بالأخلاق سيكون أمرًا رائعًا.

١٤ أكتوبر

لا تغضب؛ بل قدم العون

"هل تشعر بالغضب عندما تشم رائحة كريهة من شخص ما أو كانت رائحة نَفَسه لا تُطاق؟ ما الهدف من هذا؟ فمع وجود الفم والعرق، ستظل هناك دومًا رائحة كريهة تنبعث. قد تقول، إنه يجب على الآخرين أن يكونوا مراعيين، ألا يدركون كم يؤذون الآخرين؟ حسنًا، لقد أصبحت مراعيًا أيضًا، هنيئًا لك. لذلك استخدم منطقتك الطبيعي وأيقظ منطقتهم، واعرض عليهم الأمر، ويقوة. فإن استمعوا إليك، ستكون قد عالجتهم من دون الحاجة للغضب الذي لا طائل منه، ومن دون دراما أو أفعال غير لائقة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

ماذا عن الشخص الجالس بجوارك في الطائرة الذي يتحدث بصوت مرتفع ويمتدي على مساحتك الشخصية؟ ماذا عن الشخص الذي تصر على أسنانك، منه وتكرمه من أعماق قلبك بسبب وقاحتة وجهه وفضاظته؟ في مثل تلك المواقف، قد تشعر بأن الأمر يتطلب كل ما تملك من قوة وإرادة حتى لا تقتله.

من الغريب أن تلك الفكرة مرت بأذهاننا من قبل: أن تطلب منه بأدب أن يتوقف عما يفعله أو أن تحاول الجلوس في مقعد آخر. قد تفضل أن تغضب في داخلك وتشعر بالمرارة وتستاء بدلاً من الدخول في مناقشة مع هذا الشخص. وقد تساعدك على أن يستمتع بحياته وأن يرى العالم مكانًا أفضل. إننا لا نرغب في أن يصبح الناس أفضل فحسب، بل نتوقع أن يحدث هذا فجأة – إننا قادرين على حمل الناس على التغيير وأن نطلق الرصاص على رؤوسهم بنظراتنا الغاضبة.

ولكن، عندما تفكر في الأمر بهذه الطريقة، فقد تتساءل من الشخص الواقع الحقيقي: أنت أم هو؟

١٥ أكتوبر

امنح الآخرين حرية الشك

"يتغير كل شيء طبقاً لفرضياتك عنه، ويعتمد هذا الأمر عليك. ويمكنك أن تتجنب الأحكام المتعجلة إن أردت، وعندما تبحر بهدوء بسفينتك حول الفكرة، ستعثر على بحار هادئة وطقس جيد وميناء آمن".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

قال قاضي المحكمة العليا الأمريكية أوليفر ويندل هولمز ذات مرة: "حتى الكلب يمكنه أن يعرف متى يتمتر ومتى يُركل". ولكن، إن دسست على كلبك دون قصد، فاعلم أن ردة فعله الأولى إما أن ينبج أو يموي أو يعض. ففي تلك اللحظة، لن تكون هناك أية محاولة للتفرقة - بل الألم فقط، ومن ثم، يرى الكلب من تكون، ويسمع صوتك تلمئته، فيهدأ على الفور ويعود لهز ذيله في حب.

الشخص الصالح لا يتعجل في إصدار الأحكام على الآخرين، فلديه العديد من الافتراضات: ربما كان ما فعله فلان أمرًا عرضيًا، أو أنه لم يكن يعلم، أو أنه لن يكرر هذا الأمر. وقد يسهل هذا الأسلوب من قدرتنا على تحمل الحياة ويجعلنا أكثر تسامحًا، في حين يزيد افتراض سوء النية - أكثر أنواع الأحكام تسرعًا - من صعوبة تحمل أي شيء.

كن حسن النية ومرنًا في فرضياتك عن الآخرين، وستجد، كما يقول ماركوس، بحارًا أكثر هدوءًا وطقسًا أفضل.

١٦ أكتوبر

انشر الحكمة

"بعض من يملكون عقولاً استثنائية يمكنهم استيعاب الفضائل بسرعة، أو ينشئونها داخل أنفسهم. أما النوعيات الكسولة غير المتفائلة، والمقيدة بالعادة السيئة، فيجب أن يعملوا دومًا على تنظيف أرواحهم الصدئة... ويمكن إنقاذ ومساعدة الأنواع الأكثر ضعفًا من أرائهم السيئة إن تركناهم في رعاية المبادئ الفلسفية".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

إن الفلسفة اليونانية لا تعتبر عقيدة. وأنت لست مجبرًا على إنقاذ أي شخص - ولا يوجد عقاب لك إن ظلت روحك جاهلة بتعاليم إبيكتيتوس أو ماركوس أوريليوس.

ولكن الآن، بعد أن تعلمت ودرست وعرفت طريقًا أفضل، يمكنك أن تخدم الناس بصورة أفضل. ويمكنك مشاركة حكمتك أو أفكارك مع الأصدقاء والأغرباب على حد سواء - وضمنًا هي اعتبارك دومًا أن النموذج الجيد أفضل من المحاضرات.

يستحق الجميع أن يستفيدوا من "المبادئ الفلسفية" كما قال سينيكا. فإن رأيت شخصًا ما بحاجة للمساعدة، أو طلب المشورة، فقدمها له؛ فأنت تدين له بهذا.

١٧ أكتوبر فائدة العطف

"يجب الحفاظ على الفائدة مثل الكنز الثمين، الذي لا يُكشف عنه إلا عند الضرورة...
تريد الحياة من الجميع أن يفعلوا الخير... وأينما تواجد البشر، تواجدت فرص
العطف".

— سينيكا، من كتاب *On the Happy Life*

يبدأ الشخص الأول الذي تلتقيه اليوم - سواءً كان أحد معارفك أو أصدقائك
وبصرف النظر عن سياق لقاءكما؛ إيجابياً كان أو سلبياً - فرصة للعطف، أو
كما كتب مختلف المترجمين في ترجماتهم المختلفة لما قاله سينيكا، فرصة
للفائدة لكليكما. يمكنك أن تحاول إدراك من أين أتى هذا الشخص، ويمكنك
أن تحاول إدراك من يكون، وماذا يحتاج، وما القوى أو الدوافع التي تحركه،
ويمكنك أن تعامله معاملة حسنة وتستفيد من ذلك بالمقابل.
وينطبق الأمر ذاته على الشخص الثاني الذي تلتقيه، والثالث أيضاً. بالطبع،
لا ضمان لأن يرد لك هؤلاء الأشخاص صنيعك، ولكن هذا ليس بالأمر المهم.
سنركز، كالعادة، على ما يمكننا التحكم فيه: في هذه الحالة، القدرة على
اختيار الرد بعطف.

١٨ أكتوبر ألد الأصدقاء

"لا يوجد أسوأ من ذئب يصادق خروفاً. لذا تجنب الصداقات الزائفة قدر إمكانك. فإن كنت شخصاً جيداً وصريحاً وبدالك الخير، فيجب أن يبدو هذا في عينيك وليس إشارة للهروب".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

من الجلي أنه يجب على المرء الابتعاد عن الأشرار والمتلونين قدر الإمكان: صديق غيور، والد نرجسي، زوج غير أهل للثقة. وبيدكرنا ماركوس أوريليوس للوهلة الأولى بضرورة تجنب الأصدقاء الزائفين.

ولكن، ماذا لو عكسنا الوضع؟ ماذا لو سألتنا أنفسنا عن الأوقات التي كنا فيها أصدقاء زائفين؟ ففي نهاية المطاف، هذا ما تدور حوله الفلسفة اليونانية: عدم الحكم على سلوكيات الآخرين، بل الحكم على سلوكياتنا نحن.

لقد مررنا جميعاً بأوقات كنا فيها أصدقاء زائفين: كنا نُظهر الود على وجوهنا - لأننا كنا نحاول الحصول على شيء ما منهم - ولكننا تحدثنا، في وقت آخر ومع أشخاص آخرين، عن مشاعرنا الحقيقية. أو أننا صادقتنا شخصاً ما لفترة طويلة، ولم نهتم به إلا في أوقات الرخاء فقط، أو عزفنا عن مساعدته عندما كان في أمس الحاجة إلينا.

إن هذا السلوك دنيء ولا يئاسينا - وسيفيدنا تذكر هذا في المرة القادمة عندما نتهم شخصاً ما بكونه صديقاً سيئاً.

١٩ أكتوبر

العادات الجيدة تمحو العادات السيئة

"حيث إن العادات لها قوى علينا، وأنا اعتدنا تتبع دوافعنا نحو الريح، وتجنب الأمور الخارجة عن نطاق اختيارنا، يجدر بنا أن نكون عادات مضادة لهذا، وعندما نكون المظاهر خادعة، استخدم القوة المعاكسة لتدريب نفسك".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses* —

عندما يتبحر الكلب بقوة لأن شخصًا ما يقف أمام عتبة بابك، فإن أسوأ ما يمكنك فعله هو أن تصيح فيه. فبالنسبة للكلب، سيبدو أنك تتبجح أيضًا، وعندما يمدو الكلب مبتعدًا، فلن يفيدك شيئًا أن تطارده - فسيبدو الأمر له أن كليكما يمدو. والخيار الأفضل في كلتا الحالتين هو أن تمنح الكلب شيئًا آخر ليفعله. قل له أن يجلس. قل له أن يذهب إلى مكانه المعتاد للنوم وسر أنت في الاتجاه المعاكس. اكسر النمط، وقاطع الدافع السلبي.

ينطبق الأمر ذاته علينا: عندما تظهر عادة سيئة جلية علينا، عارضها بالالتزام بفضيلة معاكسة. على سبيل المثال، لنفترض أنك ضبظت نفسك تسوف اليوم - لا تحاول التعمق في الأمر ومقاومة التسوييف، بل انهض واخرج للسير محاولاً تصفية ذهنك وإراحته. وإن وجدت نفسك تقول أمرًا سلبيًا أو مهينًا، فلا تقسّ على نفسك، بل أضف كلمات إيجابية وجيدة لتحسين تعليقاتك. عارض العادات الراسخة، واستخدم القوة المعاكسة للتدريب لزيادة قوتك والتقدم أكثر. وإن وجدت نفسك تسلك طرقًا مختصرة خلال تمارينك أو مشروعاتك، فقل لنفسك: "حسنًا، الآن سأحاول التقدم أكثر وسوف أفعل الأفضل".

تمتلك العادات الحسنة القدرة على محو العادات السيئة، ومن السهل انتقاء

العادات - كما نعلم جميعًا!

٢٠ أكتوبر

علامات الحياة الجيدة

"إنك تمتلك دليلاً مستمداً من تجوالك المستمر على أنك لم تعثر على فن الحياة في أي مكان - ليس في المنطق ولا الثروة ولا الشهرة ولا في الانغماس في المتع. أي مكان. أين هو إذن؟ في فعل ما تمليه عليك الطبيعة البشرية. كيف يمكن للمرء أن يفعل هذا؟ من خلال امتلاك مبادئ تكون مصدرًا للرغبة والأفعال. أية مبادئ؟ إنها تلك المبادئ المتعلقة بالخير والشر، مع الاعتقاد أنه لا خير للبشر إلا في الأفعال التي تؤدي إلى العدالة والسيطرة على النفس والشجاعة والحرية، ولا شر للبشر إلا في الأفعال التي تدمر تلك الأمور."

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

س معنى الحياة؟ لم ولدت؟ يواجه أغلبنا صعوبة في الإجابة عن هذه الأسئلة - أحياناً عندما كنا صغاراً، وأحياناً أخرى عندما كنا يافعين. ونادراً ما كنا نعثر على أية إجابات توجهنا نحو الوجهة الصحيحة. ولكن، هذا لأننا لم نلتفت لنقطة مهمة. وكما يوضح فيكتور فرانكل في كتابه *Man's Search for Meaning*، إنه ليس سؤالنا لنطرحه، بل نحن من يجب أن يُطرح عليهم هذا السؤال. وحياتنا هي الإجابة.

لن تخبرك كثرة الترحال أو القراءة أو حتى الحكماء بما ترغب في معرفته. ولكن أنت من يجب أن يعثر على الإجابة في أفعالك، في عيشك حياة جيدة - من خلال تجسيد مبادئ العدالة والسيطرة على النفس والشجاعة والحرية والنفور من الشر في نفسك.

٢١ أكتوبر

الأبطال، في التو واللحظة

"يالها من سلوكيات! لا يحب الناس إطراء معاصريهم الذين يشاركونهم حياتهم، ولكنهم يمتلكون توقعات كبيرة لينالوا الإطراء من الأجيال التالية - الأشخاص الذين لم يلتقوهم أو لن يفعلوا. وقد يشبه الأمر الشعور بالاستياء من أن الأجيال السابقة لم تمدحك".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لا تزال الإسكندرية، مدينة مصرية، تحمل اسم مؤسسها، الإسكندر الأكبر، بعد حوالي ٢٣٠٠ سنة من وجوده هناك. ما مدى روعة أن تظل مدينة تحمل اسمك بعد قرون عدة، وأن تعلم أن الناس لا يزالون يتقوون باسمك؟ ولكني أعتقد أن هذا لم يكن رائعًا؛ لأنك ستكون، مثل الإسكندر، قد مت. لن تمتلك أية فكرة عن أن اسمك ظل خالدًا على مر القرون. لم يستمتع أي شخص بإرثه الخاص - على الإطلاق.

الأمر الأسوأ، فكر في جميع الأمور المروعة التي فعلها الإسكندر ليحقق ما حققه. لقد قاتل في عدد كبير جدًا من الحروب. وقاتل في حروب لا طائل منها. وكان سريع الغضب - حتى إنه قتل أقرب أصدقائه في شجار عندما كان غاضبًا. لقد كان متهورًا وعبداً لطموحه. هل يعتبر شخصًا مثيرًا للإعجاب بالفعل؟ بدلا من إضاعة ولو لحظة واحدة في التفكير في آراء الأجيال القادمة - من لم يولدوا بعد - ركز بكامل وجدانك على أن تكون أفضل شخص يمكنك أن تكون عليه في الحاضر، وعلى أن تفعل الصواب، الآن. إن المستقبل القريب لا صلة له بالأمر. كن خيرًا ونبيلًا ورائعًا الآن - فهذا هو المهم.

٢٢ أكتوبر

من السهل أن تكون أفضل، ولكن أفضل في ماذا؟

"قد يكون هناك شخص ما يارع في القضاء على خصومه، ولكن هذا لا يجعله أكثر مراعاة للمجتمع أو أكثر تواضعًا أو أكثر استعدادًا للظروف الطارئة، أو أكثر تساهلاً مع أخطاء الآخرين".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

تحسين الذات يعد هدفًا نبيلًا. وغالبية الناس لا يكلفون أنفسهم عناء محاولة تحقيقه. ولكن، من بين من يحاولون تحقيقه، من المحتمل أن يتسبب الفرور والسطحية في إفساد هدفهم برمته. هل ترغب في نحت عضلات بطنك لأنك تتحدى نفسك لتحقيق هذا الهدف الصعب، أم لأنك ترغب في إبهار الآخرين عندما تخلع قميصك؟ هل شاركت في هذا الماراثون لأنك ترغب في اختبار حدود قدراتك أم لأنك تحاول الهرب من مشكلاتك الأسرية؟

لا يجدر بنا توجيه إرادتنا نحو أن نصبح شخصًا في لياقته البدنية المثالية أو شخصًا يتحدث عدة لغات، ولكن من لا يمتلك لحظة واحدة ليضعها على الآخرين. ما الهدف من الفوز في المسابقات الرياضية مع الفشل في محاولتك، لأن تكون زوجًا أو زوجة أو والدًا أو أمًا أو ابناً أو ابنة أفضل؟ دعونا لا نخلط بين البراعة في فعل الأمور وبين أن نكون أشخاصًا أفضل؛ فأحدهما يعتبر أولوية أهم من الآخر.

٢٣ أكتوبر

أظهر الخصال التي خلقت من أجلها

"هل ينبهر الناس بذكائك الحاد؟ لا بأس بهذا. ولكنك تمتلك الكثير من الخصال الأخرى التي لا يمكنك أن تدعي أنك قد حُرمت منها منذ ميلادك. أظهر تلك الخصال في قوتك: الأمانة والكرامة والتحمل والعفة والرضا والاقتصاد والتعاطف والمثابرة، وتجنب النميمة والشهامة".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

من السهل أن نلقي باللوم على الظروف، حيث ينقم أحد الأشخاص على أنه لم يولد طويل القامة، وينقم آخر على أنه لم يولد أكثر ذكاءً، أو ولد بالكثير من العقْد النفسية، أو ولد في بلد مختلف. من الصعب أن تعثر على شخص واحد في هذا العالم – من عارضات الأزياء الشهيرات إلى الآخرين – لا يعتقد أنه به عيوبًا بشكل ما. ولكن، بصرف النظر عن العيوب التي تراها في نفسك، تذكر أن هناك سمات إيجابية يمكنك تطويرها، والتي لا تعتمد على العشوائية الجينية. إنك تملك خيار أن تكون صادقًا ومحترمًا. ويمكنك أن تختار أن تتحمل وأن تكون سعيدًا. ويمكنك أن تكون مقتصدًا وعطوفًا مع الآخرين. ويمكنك أن تختار أن تكون حرًا، ويمكنك أن تتأبر في ظل المواقف العصيبة. ويمكنك أن تتجنب النميمة. ويمكنك أن تختار أن تكون لطيفًا. ولتحري الصدق، أليست الخصال الناتجة عن الجهد والمهارة أكثر إثارة للإعجاب بشتى الطرق؟

٢٤ أكتوبر منبع الخير

"تعمق كثيرًا في دلائلك، حيث إن هناك منبعًا للخير مستعد دومًا للتدفق إن واصلت الحفر".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

اليوم، قد نأمل أن يأتي الخير نحونا - أخبار جيدة، طقس جيد أو حظا حسن. أو يمكننا أن نتمتع عليه بأنفسنا في أنفسنا. لكن الخير ليس أمرًا يمكننا إرساله بالبريد، بل عليك أن تتعمق كثيرًا في روحك لتعثر عليه. وعندئذ ستعثر عليه داخل أفكارك، وتحققه بأفعالك.

٢٥ أكتوبر

مهمتان

"ما الذي يجعل المرء متحرراً من القيود وذاتي التحفيز؟ لا الثروة ولا المناصب الكبيرة ولا حكم الدول أو الممالك - بل شيء آخر يجب العثور عليه... في حالة الحياة، إنها معرفة كيف نعيش".

— إيبكتيتوس، من كتاب *Discourses* —

أمامك مهمتان رئيسيتان في الحياة: أن تكون إنساناً خيراً وأن تسعى للمهنة التي تحبها، وأي شيء آخر سيكون مضيعة للطاقة وهدايراً لقدراتك. كيف يمكن للمرء فعل هذا؟ حسناً، هذا سؤال صعب. إلا أن المبادئ التي استمددناها من الفلسفة اليونانية ستجعل إجابته سهلة إلى حد ما: ارفض الإلهاءات، والعواطف الهدامة، والضغوط الخارجية. اسأل نفسك: ما الشيء الوحيد الذي يمكنني فعله؟ ما أفضل وسيلة لاستغلال وقتي المحدود في هذه الحياة؟ حاول فعل الصواب عندما تتطلب المواقف ذلك. عامل الآخرين بالطريقة التي تحب أن تُعامل بها. وأدرك أن جميع الخيارات الصغيرة والقضايا الدقيقة ما هي إلا فرص لممارسة تلك المبادئ الكبيرة. هذا كل شيء؛ وهذا ما يتعلق بأكثر المهارات أهمية على الإطلاق: كيف تمشي؟

٢٦ أكتوبر

ثلاثة أجزاء، هدف واحد

"أكد كثيرون من أفضل الكُتاب أن الفلسفة تتكون من ثلاثة أجزاء: الأخلاق والطبيعة والعقلانية. ويتعلق الجزء الأول بتنظيم الروح، والثاني بالفحص الدقيق للنظام الطبيعي للأمور، والثالث بالمعنى الصحيح للكلمات وترتيبها والدلالات التي تمنع الزيف من التسلسل ليحل محل الحقيقة".

— سينيكَا، من كتاب *Moral Letters*

لتلك الأجزاء الثلاثة - الأخلاق والطبيعة والعقلانية - هدف واحد، ورغم اختلافها، إلا أن لها غرضًا واحدًا: مساعدتك على عيش حياة جيدة يحكمها المنطق.

ليس في المستقبل، بل الآن.

٢٧ أكتوبر

إننا نحصد ما نزرع

"عادة ما تعود الجريمة لمن حرّض عليها".

— سينيكا، من كتاب *Thyestes*

من الغريب أن سينيكا جعل أحد شخصيات مسرحيته تتقوه بتلك الكلمات، فكما نعرف، ظل سينيكا يخدم لسنوات كمعلم ومرشد للإمبراطور نيرون. وهناك الكثير من الأدلة على أن سينيكا كان يمتلك تأثيرًا أخلاقيًا إيجابيًا على ذلك الشاب المشوش، ولكن، حتى في هذا الوقت، كان معاصرو سينيكا يتمتعون من خدمة فيلسوف لمثل هذا الشخص الشرير، حتى إنهم أطلقوا عليه لقب معلم الطاغية. وكما لاحظ شكسبير في مسرحية ماكبث: "التوجيهات الدموية، التي يعلمها المرء للآخرين، تعود إلى مخترعها". وقد انتهى التعاون بين سينيكا ونيرون بقتل التلميذ لأستاذه.

من المهم التفكير في هذا الأمر عند اختيار من تعمل معهم ومن تشاركهم حياتك. إن علمت أحد عملائك كيفية فعل أمر ما بطريقة ملتوية أو غير قانونية، أن يفعلوا المثل معك فيما بعد على حين غرة؟ إن كنت نموذجًا سيئًا لموظفيك أو شركائك أو أبنائك، أن يخونوك أو يؤذوك في المستقبل؟ يقول المثل إن الجزاء من جنس العمل. ولقد جاءت تلك الفكرة من الشرق، إلى جانب أمور أخرى مشابهة.

دفع سينيكا ثمن تعليمه نيرون، ورغم صدق حكمته التي استمرت على مر العصور، فإن نفاقه - سواء كان يمكنه تجنبه أم لا - كان باهظ الثمن؛ مثلما سيكون نفاقك أنت أيضًا!

٢٨ أكتوبر

لقد خُلِقنا من أجل بعضنا بعضاً

"ستعثر على شيء دنيوي انقطع عن الدنيا أسرع مما ستعثر على شخص ينقطع عن البشر الآخرين".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لا شك في أن ماركوس أوريليوس وغيره من أصحاب الفلسفة اليونانية لم يطلعوا على فيزياء نيوتن، ولكنهم كانوا يدركون أنه ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع؛ وذلك هو التشبيه الذي استخدمته في هذا الاقتباس: أن اعتمادنا المتبادل على غيرنا من البشر أقوى من قانون الجاذبية.

الفلسفة تجلب الانطوائية، حيث ستمكنك دراسة الطبيعة البشرية من التعرف على عيوب الآخرين، ويمكنها أن تولد في داخلك النعمة عليهم. كذلك تفعل النزاعات والصعوبات - حيث تعزلنا عن العالم.

ولكن، لا يمكن لأي من هذه الأمور أن تغير حقيقة أننا، كما يقول أرسطو، كائنات اجتماعية. إننا نحتاج إلى بعضنا بعضاً، ويجب أن نشد أزر بعضنا، ويجب أن نهتم ببعضنا البعض (وأن نسمح للآخرين بأن يهتموا بنا في المقابل). فمن شأن التظاهر بالعكس أن ينتهك طبيعتنا؛ ما يؤثر بشكل ما علينا كبشر.

٢٩ أكتوبر

الشخصية قدر

"لكل إنسان شخصيته الخاصة، إلا أن دوره الرسمي في الحياة يتشكل بمحض المصادفة. قد تدعو بعض الناس إلى شبكة معارفك لأنهم يستحقون هذا، وتدعو الآخرين لأنهم سيستحقون هذا في المستقبل".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

خلال عملية تعيين الموظفين، ينظر غالبية أصحاب الأعمال إلى مكان دراسة المرشح الجامعية، والوظائف التي عمل بها في الماضي، وهذا لأن النجاح الماضي قد يكون مؤشرًا على النجاح المستقبلي. ولكن، هل هذه هي الحال دومًا؟ لقد نجح الكثيرون بمحض المصادفة: ربما درسوا في جامعة أوكسفورد أو هارفارد بفضل ثراء آبائهم. ولكن، ماذا عن الشباب الذين لم يمتلكوا الوقت الكافي لإنشاء مسيرة مهنية جذابة؟ أليست لهم قيمة؟ بالطبع لا. لهذا السبب، تعتبر الشخصية معيارًا أفضل بكثير لتقييم الرجل والمرأة، ليس من أجل العمل فحسب، بل من أجل الصداقة والعلاقات وكل شيء. لقد قال هيراكليطوس كلمات تحولت إلى مثل: "الشخصية قدر".

عندما تسعى لتحسين وضعك في الحياة، ستكون شخصيتك هي أفضل مساعد لك - ربما ليس على المدى القصير، ولكن، من المؤكد أنها ستكون كذلك على المدى الطويل؛ وينطبق الأمر ذاته على الأشخاص الذين تدخلهم في حياتك.

٣٠ أكتوبر

من يحصل على نصيب الأسد؟

"ألا تخجل من أن تدخر لنفسك بقايا حياتك فقط وأن تكرس نفسك للحكمة فقط خلال الوقت الذي لا يتعارض مع كسب المال؟"

— سينيكا، من كتاب *On the Brevity of Life*

في أحد خطاباتة، يقص سينيكا قصة عن "الإسكندر الأكبر": عندما كان "الإسكندر" يفتوح العالم، كانت بعض البلدان تعرض عليه جزءاً من أراضيها في مقابل أن يعفيهم من الحرب. فكان الإسكندر يرد عليهم، كما كتب سينيكا، قائلاً إنه لم يقطع كل تلك المسافة إلى آسيا ليقبل ما يقدمونه له، وأنه يجب عليهم أن يقبلوا ما يمليه عليهم ليركهم وشأنهم.

طبّقاً لما قاله سينيكا، علينا أن نعامل الفلسفة بالطريقة نفسها في حياتنا: يجب ألا تقبل الفلسفة الوقت والطاقة التي تبقت لها بعد أداء أعمالنا الأخرى، بل يجب علينا أن نوفر الوقت لمساعدتنا الأخرى بعد أن تنتهي من دراستها.

إن كان التقدم الذاتي الحقيقي هو ما نسعى لتحقيقه، فلنمؤخر القراءة حتى دقائق معدودة قبل أن نطفئ الأنوار لنخلد إلى النوم؟ لم نقضي ٨ أو ١٠ ساعات كل يوم في العمل أو حضور الاجتماعات ولا يمكننا توفير أي وقت للتفكير في إجابات الأسئلة المهمة؟ يمكن للشخص العادي أن يوفر ٢٨ ساعة أسبوعياً لمشاهدة التلفزيون - ولكن إن سألته عما إذا كان يمتلك الوقت لدراسة الفلسفة، سيقول لك إنه مشغول حتى أذنيه.

٢١ أكتوبر لقد ولدت خيراً

"يولد الإنسان ميالاً إلى الفضيلة".

— موسونيوس روفوس، من كتاب *Lectures*

لطالما أثقلت فكرة ارتكاب الأخطاء كاهل البشر لقرون. في واقع الأمر، لقد خلقنا لكي ننشر الخير بيننا، وإلا لم نكن لنستمر كجنس بشري. لا توجد في الفلسفة اليونانية أية فكرة لا يمكن لطفل أن يوافق عليها على الفور أو لا تتفق مع المنطق السليم. فالأفكار التي تحتويها الفلسفة تتعلق بجوهرنا الحقيقي وما نعرفه يقيناً أنه الحقيقة، ولا يتعارض معها إلا الأشياء العديدة التي ابتكرها المجتمع – والتي تخدم عادة بعض المصالح الأنانية أكثر مما تخدم الصالح العام.

لقد ولدت خيراً، كما يقول روفوس: "لقد جُبلنا جميعاً على العيش متحررين من الخطأ وبئبل – وليس بعضنا فقط، من يمكنه هذا، بل نحن جميعاً". لقد ولدت بانجذاب فطري نحو الفضيلة والاستقلالية. وإن ابتمدت عن تلك الأمور، فلا يرجع هذا إلى فساد فطري في شخصيتك، بل إلى أسلوب تشئت على الأفعال والأفكار الخطأ. كما وضع سينيكا، الفلسفة ما هي إلا أداة لنستخدمها طوال حياتنا – لنعود إلى طبيعتنا الفطرية.

نوفمبر

القبول / حب القدر

١ نوفمبر

قبول الأمور كما هي

"لا تتوقع أن تحدث جميع الأمور كما تتمنى أن تحدث، بل تمنّ أن تحدث جميع الأمور كما ستحدث - حينها، ستصبح حياتك أفضل".

— إبيكتيوس، من كتاب *Enchiridion*

"من السهل أن تشكر الظروف على حدوث أي شيء، إن امتلكت خصلتين: رؤية كاملة لما حدث بالفعل في كل موقف، وحس الامتنان. فمن دون الامتنان ماذا سيكون الهدف من الرؤية، ومن دون الرؤية، ماذا سيكون الغرض من الامتنان؟".

— إبيكتيوس، من كتاب *Discourses*

ربما حدث أمر معين كنا نتمنى ألا يحدث. وعندئذ، أيهما أسهل في التغيير: أراؤنا أم الحدث الذي وقع؟

الإجابة بديهية. تقبل ما حدث وغير أمنيتك المتعلقة بعدم حدوثه. ويطلق أصحاب الفلسفة اليونانية على هذا الأمر اسم "فن القبول" - أن تقبل حتى الأمور الصغيرة بدلاً من مقاومتها.

ويأخذ هؤلاء الفلاسفة المتمرسون هذا الأمر إلى مستوى أعلى، فبدلاً من مجرد قبول ما حدث، يحثوننا على الاستمتاع به - أيًا كان. ولقد صاغ نيتشه، بعد قرون، التعبير الأمثل المعبر عن تلك الفكرة: حب القدر. إنه ليس مجرد قبول كل ما يحدث، بل حبه أيضاً.

أن تتمنى حدوث ما حدث يعد طريقة ماهرة لتجنب خيبة الأمل؛ لأنه لن يوجد ما يتعارض مع رغباتنا، ولكن، ماذا عن الشموخ الحقيقي بالامتنان لما حدث بالفعل؟ أن نحبه؟ إنها وصفة مجربة للسعادة والبهجة.

٢ نوفمبر

تعديل رغباتنا طبقًا لما سيحدث

"لم أقيد قط بواسطة إرادتي، ولم أجبر على فعل شيء رغماً عنها. كيف تمكنت من هذا؟ لقد كيفت خياراتي لتتوافق مع طبيعة الحياة. هل كان مقدرًا لي أن أمرض؟ إذا فليكن. وندفعت لاختيار ما، وكذلك أفعل. ووجهتني الظروف لكي أحقق أمرًا ما، أو أن أحصل على شيء، - فأريده. ولكن ينبغي ألا أتمنى ما لم تفرضه الظروف عليّ".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses* —

عندما كتب الجنرال دوايت دي. أيزنهاور خطابًا إلى زوجته ليلة غزو نورماندي، قال لها: "لقد حدث كل ما فكرنا فيه، إن الجنود مستعدون والجميع يبذلون قصارى جهدهم. ولكن كل شيء يرجع إلى إرادة الله". لقد فعل كل ما أمكنه فعله - ولكن ما سيحدث سيحدث كما كان إيكيتوس قد يقول، وكان على أتم استعداد لتحمل النتائج أيًا ما كانت. في واقع الأمر، كتب أيزنهاور خطابًا آخر تلك الليلة وجهه لإرساله إذا ما فشل الغزو: إن كان الفشل هو ما كتبت عليّ أو قرصت عليّ أو وجهت إليه - أو أيًا كانت التسمية التي تريدها - فقد كنت على استعداد لذلك.

هناك درس رائع من الممكن أن تتعلمه من تلك القصة: الرجل الذي كان قائدًا لأقوى جيش في العالم، في ليلة أكثر غزوات الاستعداد والتخطيط له عرفه التاريخ، كان متواضعًا بالقدر الكافي ليدرك أن النتيجة تعود لإرادة قوة أخرى أكبر منه وفوق كل إرادة.

ينطبق الأمر ذاته على جميع مساعيها. فبصرف النظر عن مدى استعدادنا، وبصرف النظر عن مدى مهارتنا أو ذكائنا، ترجع النتائج دومًا إلى إرادة الله عز وجل. وكلما أسرعنا بإدراك ذلك، كان أفضل.

٣ نوفمبر

إطاعة أوامر الطبيب

"مثلما نسمع الناس يقولون عادة إن الطبيب قد وصف لشخص ما أن يمارس تمارين الفروسية أو حمامًا تليجيًا أو السير من دون حذاء، علينا أن نقول أيضًا إنه قد قُدِّرَ لشخص ما أن يمرض أو يعجز أو يعاني أي نوع من أنواع الإعاقة. في حالة الطبيب، تعني الوصفة أمرًا من الطبيب لمساعدة شخص ما على الشفاء، أما في الحالة الثانية، فإن ما يحدث لكل منا عبارة عن أمر لإنفاذ قدرنا".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

كان أصحاب الفلسفة اليونانية بارعين في استخدام التشبيهات واستخدموها كأداة لمساعدتهم على تقوية منطقتهم.

في الاقتباس أعلاه، يلاحظ ماركوس مدى استعدادنا طواعية للتكيف مع الأمور التي نكرهها إن دُكرت الكلمات التي تعلق أي سبيل للجدال "أوامر الطبيب". يقول الطبيب إن عليك أن تتناول هذا الدواء الكريه، وستفعل. ويقول أيضًا إنه يجب أن تنام معلقًا من قدميك مثل الوطواط؛ قد تشعر بالسخافة، ولكن سرعان ما ستعتاد التعلق من قدميك لأنك تعتقد أن هذا سيساعد على تحسن حالتك.

على النقيض، عندما يتعلق الأمر بالأحداث الخارجة عن إرادتنا، نعرض بشدة إن حدث أمر ما يتعارض مع خططنا. ولكن، ماذا لو، كما يسأل ماركوس، وصف الطبيب ذلك الفعل نفسه كجزء من علاجنا؟ ماذا لو كان هذا الأمر مفيدًا بالنسبة لنا مثل الدواء؟

حسنًا، ماذا لو؟

٤ نوفمبر

لا جيد ولا سيئ

"لا شر يكمن في التغيير، كما أنه لا خير يكمن في الإصرار على التجديد".
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

عندما يقول الناس إن التغيير جيد، فإنهم يحاولون طمأنة شخص ما (أو أنفسهم)؛ لأننا بطبيعتنا نرى أن التغيير أمر سيئ - أو نشك في هذا على الأقل. كان أصحاب الفلسفة اليونانية يرغبون في محو تلك التسميات بالكامل. فالتغيير ليس جيدًا، والوضع الراهن ليس سيئًا. إنهما حالتان كما هما. تذكر أن الأحداث موضوعية، وآراؤنا هي التي تحدد إذا ما كانت تلك الأحداث جيدة أم سيئة (وماذا إذا كان يلزم مقاومتها أو مناصرتها). هل هناك توجه أفضل؟ نعم: أن تقرر الخروج بالاستفادة القصوى من كل شيء. ولكن لكي تفعل، عليك أولاً أن تتوقف عن المقاومة.

٥ نوفمبر قوة أعلى

"هذا بالضبط ما يصنع الفضيلة التي تسعد البشر والحياة التي تسير على النهج الرائع - عندما تُعدل شؤون الحياة بشتى الطرق لكي تُحدث التوافق بين الروح الفردية السامية وإرادة خالق الكون".

— كريسيبوس، اقتباس في كتاب ديوجينيس اللايرتي
Lives of the Eminent Philosophers ،

خلال البرامج التأهيلية المكونة من ١٢ خطوة، يواجه غالبية المدمنين صعوبة كبيرة مع الخطوة الثانية: الإقرار بوجود القدر. ويدعون في البداية أنهم يعتقدون فيه أو أنهم لا يرون سبب كون هذا مهمًا. ثم يدركون بعد ذلك أن هذا ما يدور حوله الإدمان بالتحديد - إنه نوع آخر من الأنانية والانغماس الذاتي. إن الطريقة الحقيقية لعرض تلك الخطوة من السهل استيعابها: "إننا نؤمن بأن هناك قوة أكبر منا يمكنها استعادة سلامتنا العقلية". وتدور الخطوات التالية حول خضوع المدمنين وترك الأمور لتحدث. لا تتعلق الخطوة الثانية - في الواقع - بالقدر مثلما تفعل الخطوات التالية - ترك الأمور لتحدث، بل تدور حول التوافق مع الكون وطرد الأفكار السامة التي تقع في مركز الفكر.

لا عجب في أن أصحاب الفلسفة اليونانية كانوا يشتهرون باستخدام تلك البرامج المكونة من ١٢ خطوة. ومن الجلي أن تلك الحكمة تفيدنا جميعًا. قد لا نعتقد في القدر، ولكنك مجبر على التوقف عن الاعتقاد أنك من يدير هذا الكون. وبمجرد أن تتمكن من استيعاب تلك الفكرة، ستصبح حياتك أكثر سعادة وأكثر سهولة؛ لأنك ستخلص من أكثر أنواع الإدمان صعوبة على الإطلاق: السيطرة.

٦ نوفمبر

هناك شخص آخر يلف بكرة الخيط

"إن رأى الفجر شخصاً فخوراً،
سيراه الليل وقد خضع.
لا يجدر بالمرء أن يثق كثيراً بالنصر،
ولا يجدر بالمرء أن يفقد الأمل في تحسن مقدراته.
تمزج الظروف المرء بأخيه ثم تمنع
الحظ من الراحة وتغيير مقدرات جميع البشر.
لم يحظ أحد من قبل بتلك الأفضلية
ليضمن بقاءه حياً في الغد.
ويظل يدور في دوامة الحياة".

— سينيكا، من كتاب *Thyestes*

كان الروائي كورميك ماكارثي يعيش في غرفة في فندق صغير عندما سمع طرقة على باب غرفته. وكان ساعي البريد - لقد فاز بمنحة ماكارثر "للعباقرة" وقدرها ٢٥٠ ألف دولار. يمكن للحدث المفاجئ أن يكون جيداً أو سيئاً.
من كان ليحلم بمثل هذا التغير المفاجئ في الأحداث؟ من غير كلوثو، واحدة من الرموز الإغريقية القديمة الثلاثة، والتي كانت "تلف" بكرة خيط تمثل حياة البشر؟ بالنسبة للشعوب القديمة، كانت هي من يقرر مسار الأحداث في حياتنا - بعضها جيد وبعضها سيئ. كما كتب المؤلف المسرحي أشيلوس: "عندما يأتي الشر، لا يمكن لأحد الفرار منه". وينطبق الأمر ذاته على القدر والحظ الحسن. قد يبدو توجههم الخاضع غريباً بالنسبة لنا في العصر الحالي، ولكنهم كانوا يدركون من يملك زمام الأمور (ليس هم، ولا نحن). لا قدر من الرخاء ولا قدر من المصاعب مؤكداً أو دائماً. وسيتحول النصر إلى تجربة، وتتحول التجربة إلى نصر. وقد تتغير الحياة في لحظة. وتذكر، اليوم، كم يتكرر هذا!

٧ نوفمبر

كيف تكون قوياً

"لا تتق بسمعتك أو مالك أو منصبك، بل بالقوة التي تملكها - أي، أحكامك بشأن الأمور التي يمكنك التحكم فيها والتي لا يمكنك التحكم فيها: لأن هذا وحده هو ما يجعلنا أحراراً وغير مقيدين، ما يرفعنا من الحضيض ويساويننا رأساً برأس مع الأثرياء والأقوياء".

— إبيكتيوس، من كتاب *Discourses* —

في أحد مشاهد رواية ستيفن بريسفيلد الكلاسيكية عن الإسكندر الأكبر، *The Virtues of War*، يصل الإسكندر إلى معبر على أحد الأنهار ليواجه فيلسوفاً يأبى أن يتحرك، فصاح أحد رجال "الإسكندر" قائلاً: "لقد غزا هذا الرجل العالم. ما الذي فعلته أنت؟". فيرد الفيلسوف بثقة كبيرة: "لقد قهرت الرغبة في غزو العالم".

نعلم جميعاً أن الإسكندر كان على خلاف مع ديوجين المتشكك، الفيلسوف الذي اشتهر بمعارضته لما كان يحبذه المجتمع، وكذلك تصور الإسكندر عن نفسه. وفي تشابه كبير مع المواجهة الخيالية التي في رواية بريسفيلد، وفي المواجهة الحقيقية بين ديوجين والإسكندر، كان الفيلسوف أكثر قوة من أقوى رجل في العالم - وهذا لأن رغبات ديوجين من الحياة كانت محدودة، على النقيض من الإسكندر. ونظر كلاهما في عين الآخر لرؤية من منهما قادر على السيطرة على نفسه، ومن تمكن من أن يصبح سيد نفسه: الأمر المطلوب لتحقيق القوة الحقيقية الدائمة.

يمكنك أن تحقق هذا أنت أيضاً. فلا يعني هذا إلا أن تركز في داخلك على امتلاك القوة بدلاً من خارجك. كما قال بوبيليوس سيروس، الذي كان عبداً سابقاً: "هل ترغب في حكم إمبراطورية عظيمة؟ احكم نفسك أولاً".

٨ نوفمبر

ممثلون في مسرحية

"تذكر أنك مجرد ممثل في مسرحية، تلعب دورك طبقاً لما يمليه عليك كاتب المسرحية - فإذا كانت مسرحية قصيرة، فسيكون دورك قصيراً، وإذا كانت طويلة، فسيكون دورك طويلاً. وإن أراذك الكاتب أن تلعب دور شحاذ، فعليك أن تؤدي دورك جيداً، مثلما ستفعل إن كنت ستلعب دور معاق أو قائد أو شخص عادي. هذا هو واجبك: أن تؤدي دورك جيداً، والاختيار يقع على عاتق شخص آخر".

— إبيكتيوس، من كتاب *Enchiridion*

لم يكن ماركوس أوريليوس يرغب في أن يكون إمبراطورًا. لم يكن سياسيًا ساعيًا للمناصب، ولم يكن وريثًا للعرش. وبقدر ما يمكننا أن نستنبط من رسائله ومن التاريخ، فإن ما كان يرغب في أن يكون عليه هو أن يكون فيلسوفًا. إلا أن الصفوة الحاكمة في روما، بمن فيهم الإمبراطور هادريان، توسمت فيه شيئًا ما. فتمت تهيئة ماركوس من أجل الحكم، فقد كان لقيطًا، ولكن تم تنصيبه وليًا للمهد لأنهم رأوا أنه قادر على تولي المهمة. وفي الوقت ذاته، عاش إبيكتيوس القسم الأكبر من حياته عبدًا، وحوكم بسبب تعاليمه الفلسفية. لقد فعل كلاهما الكثير طبقًا للدور الذي لعبه كل منهما.

يمكن أن يكون موضعنا من الحياة عشوائيًا تمامًا؛ حيث يولد بعضنا في دعة وراحة ويولد البعض الآخر في ظل المحن. وفي بعض الأحيان قد تسنح أمامنا الفرص التي نرغب فيها، وفي أوقات أخرى قد يحايينا الحظ، ولكن قد يبدو لنا كل هذا عبئًا ثقیلاً.

يذكرنا أصحاب الفلسفة اليونانية بأنه أيًا كان ما يحدث لنا اليوم أو على مدار حياتنا، حينما نعثر على فرصة فكرية أو اجتماعية أو مادية، ستكون مهمتنا ألا نشكو أو نتحسر على حظنا، بل أن نبذل قصارى جهدنا لكي نتقبل مهمتنا ونتمها على الوجه الأكمل. هل لا تزال هناك مساحة للمرونة أو الطموح؟ نعم بالطبع.

يمتلئ التاريخ بالكثير من القصص عن أشخاص ثانويين تحولوا ليكونوا قادة وشخصيات عظيمة غيرت مسار التاريخ. ولكن، حتى هذا الأمر، يجب أن يبدأ بالقبول والتفهم – والرغبة في النجاح في إتمام المهمة الموكلة إليهم.

٩ نوفمبر كل شيء يتغير

"الكون تغيير، والحياة رأي".

-- ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

يصف بلوتارش في كتابه *Life of Theseus*، كيف حافظ شعب أثينا على سفينة "تيسيوس"، أحد أبطال أثينا، على حالتها لتحارب في أي وقت لمدة قرون. فعندما كان سطحها يضعف، كانوا يستبدلونه، حتى تم استبدال كل قطعة من الخشب فيه. ويسأل بلوتارش: "هل لا تزال سفينة تيسيوس، أم أنها أصبحت سفينة جديدة؟".

في اليابان، هناك تتم إعادة بناء مقبرة شينتو الشهيرة كل ٢٣ عامًا، وقد تم تكرار هذه العملية لما يزيد على ٦٠ مرة. هل لا يزال الضريح نفسه الذي بُني منذ ١٤٠٠ عام؟ أم أنه عبارة عن ٦٠ ضريحًا آخر متعاقبًا؟ حتى مجلس الشيوخ الأمريكي، بفضل انتخاباته المتعثرة، يُقال إنه لم يتغير مطلقًا بالكامل. هل لا يزال به الأعضاء أنفسهم منذ عهد جورج واشنطن؟

إن فهمنا لماهية أي أمر هو فهم قاصر - مجرد رأي عابر. الكون في حالة تغير دائمة: تنمو أظافرنا ونقصها وتنمو من جديد. ويستبدل الجلد الجديد بالجلد القديم. وتحل ذكريات جديدة محل القديمة. هل لا تزال الأشخاص أنفسهم؟ هل لا يزال من يحيطون بنا على حالهم؟ لا يمكن استثناء شيء من ذلك التغير، حتى الأشياء الراسخة في أرواحنا.

١٠ نوفمبر

الكون على حاله دائماً

"أتخذ عبرة من عهد فيسبانيان، وسترى كل شيء: الزواج وتنشئة الأطفال والمرض والموت والحروب والمناسبات والتجارة والزراعة والتملق والتظاهر والشك والخداع وتمني موت الآخرين والسطو على ممتلكات الآخرين والعاطفة وتكديس الثروات والرغبة في المنصب والسلطة. والآن، بعدما ماتوا وانتهوا... تتكرر الأمور نفسها... في عهد تراجان...".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

يفتح إرنست هيمنجواي كتابه *The Sun Also Rises*، بحكمة قديمة: "يرحل جيل ويأتي آخر، ولكن تبقى الأرض على حالها. وتشرق الشمس، وتغرب، وتشرق من جديد على جيل جديد". كانت تلك الحكمة، كما يقول محرر الكتاب، "تجوي مجمل الحكمة القديمة".

ما تلك الحكمة؟ من بين أكثر الأمور المذهلة عن التاريخ هو طول الفترة التي ظل البشر يفعلون خلالها ما يفعلونه الآن. ورغم أن بعض التوجهات والممارسات قد ظهرت ثم اختفت، فإن ما ظل باقياً هم البشر – يعيشون ويموتون ويتقاتلون ويبكون ويضحكون.

دائماً ما تحاول وسائل الإعلام اللاهثة أو الكتب الشهيرة أن تخلد فكرة أننا قد وصلنا إلى قمة الإنسانية، أو أن هذا العصر مختلف تماماً عن سابقه. لكن ما يثير السخرية أن الناس آمنوا بتلك الفكرة طوال قرون.

يقاوم الأقوياء تلك الفكرة، حيث يدركون أنه مع القليل من التوقعات، ستظل الأمور على حالها مثلما كانت وستظل دائماً. أنت مثل من سيقوك تماماً، ولست سوى محطة توقف قصيرة حتى يصل من يأتون بعدك ويشبهونك تماماً. ستظل الأرض على حالها دائماً، ولكننا سنأتي ونذهب.

١١ نوفمبر

لا يتعلق الأمر بالشيء، بل كيف نراه

"عندما تشعر بالاستياء من أحداث خارجية، لن يكون الحدث نفسه هو الذي يؤرقك، بل حكمك عليه، ويمكنك أن تغير هذا الحكم على الفور".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

تخيل أنك تعلم بمسيرة مهنية في مجال السياسة. أنت شاب وملتحمس، وتمكنت من تحقيق نجاحات كبيرة على مدار مسيرتك المهنية. ثم في سن الـ ٢٩ عامًا، بدأت تشعر بأن قواك قد خارت، وأخبرك الأطباء بأنك أصبت بالتهاب في النخاع ولن تعود حياتك إلى حالتها الطبيعية أبدًا. هل انتهت مسيرتك المهنية؟

كانت تلك قصة فرانكلين ديلا نوروزفيلت، والذي يُعد الآن أحد أعظم السياسيين الأمريكيين على الإطلاق. كان قد سُخِّصَ - في منتصف عمره - مرضه بالتهاب النخاع بعد أن قضى سنوات طوال في الاستعداد لأن يصبح رئيسًا ويحقق حلمه.

من المستحيل أن نفهم حالة فرانكلين ديلا نوروزفيلت من دون أن نتعرف على إعاقته. كان "الحدث الخارجي" هو أنه كان مقعدًا - كانت تلك هي الحقيقة إلا أن حكمه على الحالة أنها لم تقم مسيرته المهنية ولا شخصيته. ورغم أنه كان مصابًا بمرض لا يمكن علاجه في ذلك الوقت، فإنه أزال من عقله - على الفور تقريبًا - نظرتة لنفسه على أنه ضحية.

دعونا لا نخلط بين القبول والسلبية.

١٢ نوفمبر

الشخصية القوية المتقبلة

"إن حَكَمنا على الأمور التي تقع في نطاق سيطرتنا فقط على أنها إما جيدة أو سيئة، فلن يكون هناك مجال لأن نلقي باللوم على الظروف أو التعامل بعدوانية مع الآخرين".
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

كانت هناك لاهتة وضعها الرئيس هاري ترومان على مكتبه كُتِبَ عليها ، هنا قمة المسؤولية. كان ترومان، كرئيس، يملك من السلطة والسيطرة ما لم يملكه الكثيرون غيره، ويدرك عدم وجود أي شخص، جيد أو سيئ، يجب أن يتلقى اللوم على أي شيء سواه. ولم يكن هناك أحد يمكن تفويض المسؤولية له. بل كان تسلسل المسؤولية ينتهي عنده، في المكتب البيضاوي.

ونحن، كرؤساء لحياتنا الخاصة – ومع إدراك أن قوتنا تبدأ وتنتهي بخياراتنا العقلانية – يجب أن نبلي بلاءً حسنًا فيما يتعلق باتباع التوجه ذاته. لن يمكننا التحكم في الأمور الخارجة عن إرادتنا، ولكننا قادرون على التحكم في توجهاتنا وردود أفعالنا على تلك الأحداث – وهي كثيرة. وسيكفينا أن نبدأ كل يوم مدركين أنه لا يوجد أحد يمكننا تفويض المسؤولية له، حيث إنها تنتهي عندنا.

١٣ نوفمبر

لا تشكُ أبدًا، ولا تبرر أبدًا

"لا تسمع لنفسك بأن يسمعك أحد تشكو من الحياة، ولا حتى أذنك".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

وصل الأمر إلى أن غالبية المحظوظين منا يشكون، بل أصبح الأمر يبدو كأنه كلما تحسن حظنا، زاد الوقت الذي نقضيه في الشكوى. كان ماركوس أوريليوس قائدًا مترددًا - مثلما قد تكون محاسبًا مترددًا، أو مدرب كرة قدم للناشئين، أو محاميًا. أو ربما كنت تحب وظيفتك بصورة عامة، ولكنك لا تستطيع تحمل بعض من مسؤولياتها. إلى أين سيقودك هذا التفكير؟ ليس إلى أي مكان عدا وصولك إلى الحالة الذهنية السلبية.

يستحضر هذا الأمر في عقلي شعار رئيس الوزراء البريطاني بنجامين ديزرائيلي: "لا تشكُ أبدًا، ولا تبرر أبدًا" - وكان قد قال هذا لأنه، مثل ماركوس، كان يعلم جيدًا أن أعباء المسؤولية ثقيلة جدًا. من السهل أن تشكو من هذا الأمر أو ذلك، أو تحاول أن تخرج بمبررات وأعداء للأفعال التي أقدمت عليها، ولكن هذا لن يساعدك على تحقيق أي شيء - ولكنه لن يخفف من أعبائك.

١٤ نوفمبر

أنت من يختار النتائج

"كان قد رُجِّعَ به في السجن، أما ملاحظة أنه... عانى كثيرًا... فتلك إضافة من عندك".
-- إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

يعد هذا النوع من التفكير من النوع التقليدي المتبع في الفلسفة اليونانية، كما أنه من المؤكد أنك أصبحت تعلم الآن. إن الأحداث في حد ذاتها موضوعية، ولكن، كيفية تفسيرنا لها - أنها جائرة أو كارثية أو أنها وقعت عن عمد - تعود إلينا نحن.

لقد دخل مالكولم إكس (الذي كان يُدعى في حينها مالكولم ليتل) السجن كمجرم، ولكنه خرج من السجن مثقفًا ومتدينًا وذا هدف، وقد اضطلع بدور مهم في الكفاح من أجل إصدار قانون الحقوق المدنية. هل عانى الشر، أم أنه اختار أن يحول تجربته إلى تجربة إيجابية؟
القبول ليس سلبية، بل إنه الخطوة الأولى نحو العملية النشطة لتحقيق الازدهار الذاتي.

١٥ نوفمبر

كل شيء يتغير

"تأمل مدى سرعة تدميرنا لكل شيء ومحوه من الوجود. تشبه المواد فيضان نهر لا ينتهي، وتتغير أنشطته باستمرار محدثاً تحولات لا نهائية بحيث يصبح من المستحيل أن يبقى شيء على حاله".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

استعار ماركوس ذلك التشبيه الرائع من هيراكليطوس الذي قال: "لا يمكن لأحد أن يخوض في النهر نفسه مرتين"؛ لأن النهر قد تغير، وكذلك الإنسان. إن الحياة دائمة التغير، وكذلك نحن. فإذا كنت مستاءً من الأمور، فإنك بذلك تفترض خطأً أنها ستدوم. والقسوة على أنفسنا أو لوم الآخرين يشبه الصراخ في الريح. والنعمة على التغير تشبه أن تفترض خطأً أنك تملك خياراً في هذا الأمر.

إن كل شيء يتغير، فتقبل هذا وسائره.

١٦ نوفمبر

الأمل والخوف لا فارق بينهما

"يقول هيكاتو: توقف عن الأمل وستتوقف عن الخوف... إن السبب الأول لتلك الأمور المؤرقة هو أنه بدلاً من تكيف أنفسنا مع الظروف الراهنة، نرسل أفكارنا لتسبقنا في المستقبل".

-- سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

عادة ما ننظر إلى الأمل على أنه شيء جيد، وعادة ما ننظر إلى الخوف على أنه شيء سيئ. أما بالنسبة لفيلسوف على غرار هيكاتو (المعروف باسم هيكاتو من رودس)، فلا فارق بين الأمل والخوف - كلاهما مجرد توقعات مستقبلية عن أمور لا يمكننا السيطرة عليها. إن كليهما عدو للحظة الراهنة التي تعيشها بالفعل، ويعني كلاهما أنك تعيش حياة خالية تماماً من حب القدر. لا يدور الأمر حول التغلب على مخاوفنا بل حول فهم أن كلاً من الأمل والخوف يحتويان على قدر هائل من الرغبة والقلق. وللأسف، الرغبات هي ما يثير القلق.

١٧ نوفمبر

لا تحكم على شيء، إلا...

"عندما أصبحت الفلسفة منقادة خلف الغرور والعناد، تسببت في الخراب للكثيرين. لذا دع الفلسفة تكشف أخطائك بدلاً من أن تكون وسيلة لتصيد أخطاء الآخرين".
— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

تذكر أن الوجهة الصحيحة للفلسفة - من بين جميع الأمور التي نفعلها هنا - موجهة نحو الداخل. أن نجعل أنفسنا أفضل ونترك الآخرين يؤديون مهامهم بأنفسهم ويتمون رحلتهم بمفردهم. تقع أخطاؤنا في نطاق سيطرتنا، لذا فإننا نتحول إلى الفلسفة لتساعدنا على التخلص منها. ماذا عن أخطاء الآخرين إذن؟ لا تتعلق بها الفلسفة كثيرًا، فسيمود الأمر إليهم ليتخلصوا منها. دع الآخرين يتولوا أمر أخطائهم. لا شيء في الفلسفة اليونانية يفوضك للحكم عليهم - بل لتقبلهم فقط، خاصة إن كان لدينا الكثير من الأخطاء لنهتهم به.

١٨ نوفمبر

عادات العقل الأربع في الفلسفة اليونانية

"تتقدم طبيعتنا العقلانية بحرية في انطباعاتها عندما:

- ١) لا تتقبل شيئاً مزيفاً أو غير مؤكد،
- ٢) توجه دوافعها فقط نحو الصالح العام،
- ٣) تقيد رغباتها وكرهيتها فقط بالأمر التي تقع في نطاق سيطرتها،
- ٤) تتقبل أي شيء تكلفها به الظروف".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

إن لاحظت، كان ماركوس يذكر نفسه مرارًا وتكرارًا بماهية الفلسفة اليونانية. ولا تزال تلك النقاط السابقة مفيدة لنا الآن بينما نقرأها بعد آلاف السنين من كتابتها، ولكن، هل كانت مفيدة بالنسبة له. ربما تقبل في ذلك اليوم انطباعًا سلبيًا أو تصرفًا بأنانية. ربما ربط آماله بأمور خارجة عن إرادته أو شكًا أو قاوم أمرًا ما حدث بالفعل. أو ربما مر بعض الوقت منذ فكر في تلك الأمور وأراد أن يتذكرها.

أيًا كانت حالته، أو أيًا ما كانت حالتك اليوم، دعونا نضبط عقولنا على أساس العادات الأربع الضرورية التالية:

١. تقبل الحقيقة فقط.
٢. العمل من أجل الصالح العام.
٣. توافق حاجاتنا ورغباتنا مع ما يمكننا السيطرة عليه.
٤. تقبل ما تدخره الأيام من أجلك.

١٩ نوفمبر

أقوال مأثورة من ثلاثة حكماء

"من أجل مواجهة أي تحد، علينا أن نتمسك بثلاث أفكار:
طاعة الله،

فلطالما تُقْتُ إلى هذا الهدف طويلاً.

سأتبعه ولن أتعثر، وحتى إن كانت إرادتي ضعيفة
فلسوف أتابر".

— كلينش

"أيًا من يمكنه تقبل الضروريات سيقتبر حكيمًا وبارعًا في الأمور الراسخة".

— يوربيديس

"إن كان هذا الأمر يرضي الله، فسيرضيني. يمكنهم أن يقتلوني، ولكنهم لن يؤذوني".
— أفلاطون، من كتاب *Crito and Apology*

— إبيكتيوس، من كتاب *Enchiridion*

جمع إبيكتيوس تلك الاقتباسات الثلاثة ليقدم لنا - عبر حكم من عصور مختلفة - موضوعات التسامح والمرونة والقبول. تحدث كل من كلينش وإوربيديس عن مجموعة من المفاهيم التي تسهل قبول الواقع. عندما يؤمن المرء بأن هناك قوة أكبر أو أعلى منه، فلن يكون هناك اعتقاد بوقوع أي حدث على النقيض من الخطة الكبرى الموضوعة مسبقًا.

وحتى إن تشك في ذلك، فيمكنك أن تركز إلى قوانين الكون المتعددة أو حتى إلى دورة الحياة. قد يبدو ما يحدث لنا كأفراد عشوائيًا أو مزعجًا أو غير قابل للتفسير، ولكن، في الحقيقة، تلك الأحداث ستصبح منطوقية تمامًا إن نظرنا لها من منظور أكثر شمولًا، ولو قليلًا.

دعونا نستخدم هذا المنظور اليوم. تظاهر بأن كل حدث - سواء كنت ترغبه أو حدث فجأة - كان مقدرًا له أن يحدث لك بالذات. حينها لن تقاومه، أليس كذلك؟

٢٠ نوفمبر

انظر، الآن مثلما تفعل دائماً

"إن تمكنت من رؤية الحاضر، فقد رأيت كل شيء، من قديم الزمان إلى الآن؛ حيث إن كل ما يحدث متصل ببعضه الآخر ومتماثل".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

إن الأحداث التي ستكشف اليوم تماثل الأحداث التي لطالما وقعت: يعيش الناس ويموتون، والحيوانات تعيش وتموت، وتظهر السحب وتخفي، ونستنشق الهواء ونزفره، مثلما كان يحدث منذ الأزمنة السحيقة. إن اللحظة الحالية التي نعيشها، في إعادة صياغة لما قاله إيمرسون، عبارة عن اقتباس من اللحظات التي حدثت من قبل والتي ستحدث فيما بعد.

لم تُعرض تلك الفكرة بصورة أكثر روعة من تلك الحكمة القديمة التي تقول: "كان الوضع هكذا منذ بداية الزمان، والآن، ودائماً، ومع الأجيال التالية". ليس من المفترض أن تكون تلك الفكرة محبطة أو محفزة، بل إنها مجرد حقيقة، ولكنها تحتوي على تأثير مهدئ ومحدد. لذا لا حاجة بك لأن تشعر بالإثارة، ولا حاجة بك لأن تنتظر دون طائل. إن لم تر هذا الحدث من قبل، فقد رأه شخص آخر - فهذه الفكرة قد تورثك بعض الراحة.

٢١ نوفمبر

مرة واحدة تكفي، مرة واحدة إلى الأبد

"لا يزداد الخير بمرور الزمن، ولكن إن كان الشخص حكيمًا ولو لمرة واحدة، فلن يكون أقل سعادة من الشخص الذي ظل يمارس الفضيلة طوال عمره وأنهى حياته عليها".
 — كريسيبوس، تم اقتباسه بواسطة بلوتارش من كتاب *Moralia: "Against the Stoics on Common Conceptions"*

ربما كانت الفلسفة والسعادة يشبهان الفوز بميدالية في الأولمبياد، فلا فارق بين إذا ما كنت هزرت بها منذ ١٠٠ عام مضت أو منذ ١٠ دقائق، أو إذا ما كنت قد هزرت بها لمرة واحدة أو لعدة مرات. ولا يهم إذا ما كان هناك من تفوق على رقمك القياسي أو أحرز عددًا أكبر من الأهداف، ولا يهم إذا لم تكن ستدخل المنافسة مرة أخرى. ستظل دومًا حاملًا لميدالية أولمبية، وستظل دومًا تعرف الشعور المصاحب لذلك. لا يمكن لأحد أن يسلبك هذا الشعور – ومن المستحيل أن تشعر بالمزيد منه.

تحدث الممثل إيفان هاندلر – الذي تلقى تدريبه في مدرسة جويليارد للتمثيل، والذي لم يُشف من حالة شديدة من سرطان الدم فحسب بل من الاكتئاب الشديد أيضًا – عن قراره المتعلق بتناول مضادات الاكتئاب، الأمر الذي فعله طواعية لفترة وجيزة من الوقت. لقد تناول تلك العقاقير؛ لأنه كان يرغب في معرفة كيف تبدو السعادة الحقيقية الطبيعية. وبمجرد أن فعل، كان يعلم أنه قادر على التوقف، ويمكنه أن يعود إلى المعاناة مثل الجميع – كانت المثالية قد تكشفت أمامه للحظة، وكان هذا كافيًا.

ربما كان اليوم هو اليوم الذي نجرب فيه السعادة أو الحكمة. لذا لا تحاول أن تقتنص تلك اللحظة وتتمسك بها بكل ما أوتيت من قوة، فلا يمكنك التحكم في الفترة التي ستستمر خلالها، لذلك استمتع بها، ولاحظها، وتذكرها؛ حيث إن امتلاك التجربة للحظة يماثل امتلاكها إلى الأبد.

٢٢ نوفمبر

لقد كُسر الزجاج

"يجابي الحظ من لا يتوقعونه. أما من يتوقعونه دومًا، فيسيطلون منتظرين".

— سينيكا، من كتاب *On Consolation to Helvia*

هناك قصة عن معلم روحاني يمتلك كأسًا رائعة فاز بها، وكان هذا المعلم يقول لنفسه دائمًا: "لقد كُسر الزجاج". كان يستمتع بالكأس، ويستخدمها. وكان يريها لزواره، ولكنه كان يراها في ذهنه مكسورة. وذات يوم، عندما انكسرت الكأس بالفعل، قال المعلم لنفسه: "بالطبع".

تلك هي طريقة تفكير أصحاب الفلسفة اليونانية نفسها. هناك قصة من المفترض أن تكون حقيقية عن إبيكتيتوس والمصباح: لم يكن إبيكتيتوس يفلق منزله أبدًا؛ لذا سُرق مصباحه الثمين. وعندما استخدم إبيكتيتوس مصباحًا آخر بدلًا منه، كان مصباحًا أرخص ثمنًا حتى لا يحزن عليه كثيرًا لو سُرق.

إن التحطم – ذلك الشعور بأننا قد انسحقنا وصُعبنا بشدة بسبب حدث ما – يُعد أحد عوامل نظرتنا غير الجيدة للحدث في المقام الأول. لا يتحطم أحد بواسطة حقيقة أن الثلج يهمل في الشتاء؛ لأننا تقبلنا (بل وتوقعنا) هذا التحول في الأحداث. ماذا عن الأحداث التي تفاجئنا؟ لن تصدمنا إن استغربنا بعض الوقت للتفكير في احتمال حدوثها.

٢٢ نوفمبر

التعلق هو العدو

"يجب عليك أن تتذكر أنه إذا تعلقت كثيرًا بشيء ما خارج نطاق خياراتك العقلانية، فقد تدمر قدرتك على الاختيار".

— إيكيتيوس، من كتاب *Discourses*

طبعًا لما كتبه أنتوني دي ميلو: "هناك أمر واحد فقط يسبب التماسه اسمه التعلق": التعلق بصورة رسمتها في مخيلتك عن شخص ما، أو التعلق بالثروة والمكانة، أو التعلق بمكان محدد أو لحظة بعينها، أو التعلق بوظيفة أو أسلوب حياة. وتعتبر جميع تلك الأمور خطيرة على منطلق المرء: إنها خارج نطاق خياراته العقلانية، ولا يمكننا التحكم في طول فترة احتفاظنا بها. كما لاحظ إيكيتيوس قبل دي ميلو بنحو ألفي عام، إن تعلقنا بالأشياء هو ما يزيد من صعوبة تقبلنا للتغيير. فيمجرد أن نمتلك شيئًا، نرفض التخلي عنه. ونصبح عبيدًا لمحاولة الحفاظ على الوضع الراهن. ونشبه في تلك الحالة ملكة القلوب في رواية *أليس في بلاد العجائب* - تعدو بسرعة أكبر لتبقى في المكان نفسه.

ولكن، كل شيء في تغير دائم، حيث نمتلك بعض الأشياء في لحظة ومن ثم نفقدها. ولا يبقى شيء على حاله عدا قدرتنا على الاختيار العقلاني. يمكن أن تأتي الأشياء التي نتعلق بها وتذهب، أما خياراتنا فمرنة ومتكيفة. وكلما بادرنا بإدراك هذا، كان أفضل، وزادت أيضًا سهولة تقبل ما يحدث والتكيف معه.

٢٤ نوفمبر

تدرب على التخلي عما ليس لك

"عندما تمر بألم خسارة شيء ما، لا تعامله كجزء من نفسك، بل ككأس قابلة للكسر، وعندما ينكسر، ستتذكر هذا ولن تشعر بالانزعاج. لذا، عندما تقبل ابنك أو أحد أقربانك أو أصدقائك، لا تربط بتلك التجربة جميع الأمور التي قد تتمناها، بل أبعدنا وأوقفها، مثلما يفعل من يتبعون القادة المنتصرين عندما يذكرونهم بأنهم قانون. وبالطريقة ذاتها، ذكر نفسك بأن المقربين منك ليسوا من ضمن ممتلكاتك، بل هو شيء حصلت عليه الآن. ولن يدوم إلى الأبد...."

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

عندما كان الجيش الروماني ينتصر، لم يكن السواد الأعظم من الشعب يستطيع إبعاد عينيه عن القائد المنتصر في مقدمة الصفوف - أحد أكثر المناصب المرغوب فيها في العصر الروماني. ولم يكن الكثيرون يلاحظون المساعدين في الخلف، خلف القائد مباشرة، يهمسون في أذنيه: "تذكر، أنت فان". يا لها من تذكرة تُقال عند قمة النصر والمجد.

في حياتنا الخاصة، يمكننا أن ندرب أنفسنا على أن نكون ذلك الصوت الهامس. وعندما نفوز بشيء ما - أو نجب شخصًا ما - يمكننا أن نهمس لأنفسنا قائلين إنه شيء هش وفان وليس ملكنا. وبصرف النظر عن مدى القوة أو المناعة التي قد يبدو عليها الشيء، فإنه ليس كذلك في الحقيقة، وعلينا أن نذكر أنفسنا بأنه قد يتحطم أو يموت أو يتركنا.

إن الخسارة تعد واحدة من أعمق مخاوفنا. ولن يساعد الجهل بالشيء أو التظاهر بذلك على تحسين الأوضاع، بل سيعني أن الخسارة ستكون ذات وقع شديد عندما تحدث.

٢٥ نوفمبر

لقد أخذت الأمور منحى غريباً

"بالنسبة لي، سأختار المرض بدلاً من العيش مرفهاً، حيث إن المرض لن يضر إلا البدن، أما الرفاهية فتدمر كلاً من البدن والروح، حيث تورث الجسم سقمًا وعجزًا، وتورث الروح فقداً للسيطرة وجبنًا. وعلاوة على ذلك، تتسبب الرفاهية في الجور؛ لأنها تورثنا الجشع".

— موسونوريوس روفوس، من كتاب *Lectures*

تشترك القصص عن الفائزين باليانصيب في نشر درس واحد: أن الثراء المفاجئ لعنة، وليس نعمة. فبعد أعوام قليلة من الفوز بالجائزة، أصبح الكثير من الفائزين باليانصيب في أسوأ حالة مادية ممكنة، كما خسروا أصدقاءهم، وطلقوا زوجاتهم، وتحولت حياتهم بأكملها إلى كابوس نتيجة حظهم الحسن. يشبه الأمر كلمات أغنية فرقة ميتالिका (تحت عنوان: لاحظ حسن): "يتضح لك في النهاية أن ذلك الضوء الهادي في نهاية نفقك، ما هو إلا قطار سريع أت في اتجاهك".

ولكن، ما هو أكثر رد شائع بين الناجين من السرطان، من عانوا من المرض الذي نخشاه جميعاً؟ "لقد كان أفضل شيء حدث لي في حياتي".
لقد أخذت الأمور منحى غريباً، أليس كذلك؟

٢٦ نوفمبر

بوتقة اللاهوارق

"نبدو جميعاً مثل مجموعة مكونة من الكثير من أعواد البخور تحترق في نفس المجمرة: بعضها ينتهي مبكراً، والبعض الآخر يستمر لفترة أطول قليلاً، ولكن، لا فارق بينها".
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

ما الفارق بينك وبين أثرياء العالم؟ أحدكما يملك من المال أكبر من الآخر. ما الفارق بينك وبين أطول الناس عمراً؟ أحدكما بقي في الحياة لفترة أطول من الآخر. وينطبق الأمر ذاته على الأكثر طولاً، والأكثر ذكاءً، والأكثر سرعة، وتطول القائمة.

من شأن مقارنة أنفسنا بالآخرين أن تزيد من صعوبة القبول؛ لأننا نريد ما يملكونه، أو نرغب في أن تحدث الأمور كما كان من المفترض أن تحدث، وليس ما تصادف أن حدث. ولكن، لا يشكل هذا أي فارق.

قد يرى البعض أن هذا الاقتباس نابع من تشاؤم ماركوس، بينما يراه البعض الآخر تفاؤلاً. ولكنه في الواقع مجرد حقيقة واقعة. إننا جميعاً على قيد الحياة الآن، ولكننا سنغادر هذه الحياة في نهاية المطاف؛ لذا دعونا لا نشغل أنفسنا بتلك الاختلافات خلال حياتنا. فلدينا الكثير لنفعله.

٢٧ نوفمبر

متعة عدم الاكتراث بالسلبيات

"يا لها من متعة أن تبعد أو تحجز أية انطباعات مزعجة أو غريبة، وأن ترى السلام من فورك في كل شيء".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

فجأ أصحاب الفلسفة اليونانية من وباء زيادة التحميل المعلوماتي الذي يعاني منه المجتمع المعاصر، فلم تكن لديهم شبكات تواصل اجتماعي، ولا صحف، ولا تليفزيون يثير مخاوفهم. ولكن، حتى في عصرهم، كان يمكن للشخص غير المنضبط، أن يعثر على الكثير من الأمور التي من شأنها إزعاجه وتعكير صفو نفسه.

كان جزء من أصحاب الفلسفة اليونانية في ذلك الوقت نوعًا من الجهل المتعمد. وقد عبرت واحدة من حكم "بوبيليوس سيروس" عن ذلك الأمر بصورة رائعة: "تجنب دومًا ما يثير غضبك". بمعنى: حول تفكيرك بعيدًا عن الأمور التي تثيره. وإن وجدت أن النقاشات السياسية مع الآخرين قد تؤدي إلى الشجار، فلم تواصل إثارة الموضوع؟ إن كانت اختيارات أحد أقرائك في الحياة لا تروقك، فلم تتبها وتجعلها من بين اهتماماتك؟ وينطبق الأمر ذاته على الكثير من مصادر الانزعاج الأخرى.

لا يعد إبعادها تلك المصادر دليلاً على الضعف، بل يعد دليلاً على قوة الإرادة. لذا حاول أن تقول: "أعلم جيدًا ردة الفعل الطبيعية في هذه المواقف، ولن أستسلم لها هذه المرة"، ثم أتبع هذا القول بقول: "سأعمل على محو تلك المثيرات من حياتي في المستقبل".

لأن ما سيأتي بعد ذلك هو الهدوء والسكينة.

٢٨ نوفمبر

لا يعتمد الأمر عليهم، بل عليك

"إن كان هناك شخص ما ينحرف عن مساره، فصصح مساره برفق ووضح له ما فاتته. وإن لم تتمكن من فعل هذا، فلا تلومن إلا نفسك".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

ييدرك المعلم الجيد أنه عندما يفشل الطالب، سيُلقى باللوم على المعلم، وليس الطالب. ما مدى الكرم والتسامح اللذين ستنمتع بهما إن تمكنا من توسعة مجال تفهمنا إلى مجالات أخرى من حياتنا؟ أن نتمكن من رؤية أنه إن لم يكن أحد أصدقائنا يمكن الاعتماد عليه، ربما كان هذا لأنه لم يكن يعلم ما الخطأ أو لأنه لم يجرب من قبل مساعدة الناس على إصلاح عيوبهم. إن كان هناك موظف لا يؤدي عمله جيدًا، تحدث إليه أو حاول معرفة إذا ما كان يتلقى الدعم الكافي أم لا. إن كان هناك شخص مزعج، فحاول التحدث إليه عن تلك المشكلة المتعلقة بسلوكه، أو اسأل نفسك: "لما أضخم مثل هذه الأمور".

وإن لم ينجح هذا الأمر، فحاول التخلي عنه؛ فقد يكون حدثًا عارضًا على أية حال.

٢٩ نوفمبر

ستكون بخير

"لا تندب حظك ولا تقلق".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

إليك ما نشعر به عندما يقع حدث ما: لقد انتهى كل شيء، لقد ضاع كل شيء، ويلي هذا الكثير من الشكاوى والشفقة والتعاسة – تلك المقاومة عديمة الجدوى لشيء حدث بالفعل.

لِمَ تزعج نفسك بهذا؟ إننا لا نملك أية فكرة عما يحمله المستقبل لنا، ولا نملك أية فكرة عما ستصبح عليه الأمور: قد تكون المزيد من المشكلات، أو قد تكون الظلام السابق لبزوغ الفجر.

إن كنا من الموهبتين بالفلسفة اليونانية، فهناك أمر وحيد سنكون على يقين منه: أيًا كان ما سيحدث، سنكون بخير.

٢٠ نوفمبر

اتبع العقل الأول

"من يتبع المنطق في كل شيء، سيتمتع بكل من الراحة والجاهزية للتصرف. وسيصبح سعيدًا ومسيطرًا على نفسه في الوقت ذاته".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

إن المنطق المرشد للعالم - الذي يُطلق عليه أصحاب الفلسفة اليونانية *العقل الأول* - يعمل بطرق غامضة. حيث يمنحنا في بعض الأحيان ما نريد، وفي أحيان أخرى يعطينا ما لا نريد. وفي كلتا الحالتين، اعتقدوا أن *العقل الأول* كان القوم المطلقة التي حكمت الكون.

هناك تشبيه جيد لتفسير فكرة *العقل الأول*: إننا مثل الكلب المربوط في عربة متحركة. وتحدد وجهة العربة وجهتنا. وبناءً على طول الحبل، سنمتلك بعض الحرية لاستكشاف مساحتنا وتحديدها، ولكن، ما على كل منا اختياره هو إذا ما كان سيتبع العربة طواعية أم سيُجر خلفها جراً. أيهما أفضل؟ هل القبول بسعادة؟ أم الرفض بجهل؟ في نهاية المطاف، ستكون النتيجة واحدة.

ديسمبر

تأملات في الأخلاق

١ ديسمبر

تظاهر بأن اليوم هو النهاية

"دعونا نهئى عقولنا لنهاية حياتنا. دعونا لا نؤجل أي شيء. دعونا نحقق التوازن بين كتب الحياة كل يوم... إن من يضع اللمسات الأخيرة على حياته كل يوم، سيكفيه الوقت ويزيد".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

هناك مقولة شائعة تقول: "عش كل يوم وكأنه الأخير". يقولها الكثيرون، ولكن لا يطبقها إلا القلة. ما العقلانية التي تتعلق بتلك المقولة على أية حال؟ لا شك في أن سينيكا لم يكن يدعو إلى نيل القوانين والاعتبارات الحياتية - البحث عن الانغماس في المتع - لأن العالم أشرف على نهايته. والتشبيه الأفضل في هذه الحالة هو الجندي الذي على وشك الذهاب للحرب، ولا يعلم إذا ما كان سيعود أم لا، ماذا سيفعل؟ إنه ينظم أموره، وينهي التزاماته، ويخبر أطفاله أو أسرته بأنه يحبهم، ولا وقت لديه للشجار أو للأمر التافهة. ثم يستعد في الصباح للرحيل - على أمل العودة سليماً مع تهيئة نفسه لاحتمالية ألا يعود. دعونا نعش يومنا بالطريقة ذاتها.

٢ ديسمبر

لا تهتم بي، فأنا أموت ببطء

"دع كل شيء تفعله أو تقوله أو تقصده بيدك كأنه من فعل شخص يُحتَضَر".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هل سمعت من قبل أحدًا يسأل: "ماذا ستفعل لو تبادر إلى علمك غدًا أنك مصاب بالسرطان؟". لقد صُعم هذا السؤال ليُجعلك تفكر في مدى اختلاف الحياة إن أدركت فجأة أنك لن تعيش إلا لبضعة أشهر أو أسابيع. لا شيء أفضل من المرض العضال ليوَقظ الناس.

ولكن إليك الفكرة: لقد تم تشخيص مرضك بالفعل؛ مرضنا جميعًا. كما يقول الكاتب إدموند ويلسون: "الموت هو النبوءة التي لا تكذب أبدًا". لقد ولد كل منا ليموت، وكل ثانية تمر من حياتك لن يمكنك استعادتها أبدًا. وبمجرد أن تعي ذلك الأمر، سيكون له عظيم الأثر على ما تفعل وتفعل وتعتقد. لذا لا تدع يومًا آخر يمر وأنت تجهل حقيقة أنك تُحتَضَر. نحن جميعًا نفعل ذلك. هل يمكن أن يكون هذا اليوم هو اليوم الذي نتوقف عن التظاهر بالعكس؟

٢ ديسمبر

الفيلسوف فنان الحياة والموت

"لا تدعي الفلسفة أنها قادرة على منح المرء أية أملاك خارجية؛ حيث إن هذا الأمر خارج مجالها. ومثل الخشب بالنسبة للنجار، والبرونز للنحات، تعتبر حياتنا المادة الخام المناسبة لفن الحياة".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses* —

الفلسفة ليست مجرد مسمى مقصور على الأكاديميين أو الأثرياء، بل إنها أحد أهم الأنشطة التي يمكن للإنسان الانخراط فيها. إن الهدف منها، كما يقول هنري ديفيد ثورو بعد بضعة آلاف من السنين من إيكيتوس، هو مساعدتنا على "حل مشكلات الحياة، ليس نظرياً فحسب، بل عملياً أيضاً". وتتفق تلك الكلمات اتفاقاً تاماً مع كلمات "شيشرون" الشهيرة: "أن تتفلسف أي أن تتعلم كيف تموت".

إنك لا تقرأ تلك الاقتباسات وتطبق تلك الممارسات الفكرية من أجل المرح. ورغم أنها قد تكون ممتعة وتساعدك على التخفيف من أعبائك، فإن الهدف الحقيقي منها هو مساعدتك على تشكيل حياتك وتحسينها. ولأننا جميعاً لن نحيا أو نموت إلا لمرة واحدة، علينا أن نتعامل مع كل لحظة من حياتنا كما يتعامل النحات الممسك بإزميله لينحت الحجر حتى، في إعادة صياغة لما قاله مايكال أنجلو، نطلق العنان للفن الكامن في الرخام.

إننا نحاول فعل هذا الأمر الصعب - الحياة والموت - قدر إمكاننا. ولكي نفعل هذا، علينا أن نتذكر ما تعلمناه والكلمات الحكيمة التي وصلتنا.

٤ ديسمبر

أنت لا تملك هذا

"كل شيء يمكن منعه عن المرء، أو سلبه منه، أو يُجبر عليه لا يعد ملكاً له - أما الأشياء التي لا يمكن حجبها عن المرء فهي ملكه".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

قال المحاور دانييل أوبراين إنه لا "يملك" مزرعته التي تبلغ مساحتها عدة آلاف من الفدادين في ولاية ساوث داكوتا، فقد كان يعيش فيها بينما سمح له المصرف بدفع ثمنها على أقساط رهن عقاري. وكانت تلك الدعاية انعكاساً لواقع العيش في المزارع، ولكنها تلمح أيضاً لفكرة أن الأرض لا يملكها شخص واحد، وأنها ستبقى بعدما نموت ويموت أبنائنا. وقد اعتاد ماركوس أوريليوس قول إننا لا نملك أي شيء، حتى إن حياتنا نفسها وديعة.

قد نتقاتل ونتصارع ونعمل من أجل الحصول على الأشياء، ولكن، يمكن أن تُسلب تلك الأشياء منا في لمح البصر. وينطبق الأمر ذاته على أشياء أخرى نحب أن نعتقد أنها "ملكنا"، ولكنها في الحقيقة زائلة أيضاً: مناصبنا أو صحتنا أو قوتنا أو علاقاتنا. كيف يمكن أن تكون تلك الأشياء ملكاً لنا رغم أن هناك قوى أخرى - القدر أو الحظ السيئ أو الموت أو غيرها - يمكنها أن تسلبنا إياها دون أن نخطرنا؟

ما الذي نملكه إذن؟ فقط حياتنا - وليس لوقت طويل كذلك!

٥ ديسمبر

فائدة الأفكار الحكيمة

"ضع الموت والنفي نصب عينيك كل يوم، إلى جانب كل شيء آخر يبدو مخيفاً بالنسبة لك - فعبّر فعل هذا، لن تمتلك أبداً أفكاراً عادية ولن تراودك أبداً رغبات مفرطة".
- إيكيتوس، من كتاب *Inchiridion*

يمكن أن تغير الرياح السياسية اتجاهها في أية لحظة، لتحرمك من حريتك، التي كنت ترى أنها أمر مسلم به. أو، بصرف النظر عن كون أو مدى الأمان الذي عشت فيه حياتك، هناك شخص ما قد يسرقك أو يقتلك من أجل بضعة دولارات.

كما كُتِبَ في ملحمة جالجاميش الخالدة:

"إن الإنسان ينكسر مثل عود الخيزران،
والشباب الوسيم أو الفتاة الجميلة -
سيخطفهما الموت مبكراً وهما في ريعان الشباب".

الموت ليس الأمر المفاجئ الوحيد الذي قد نواجهه - فقد تُدمر خططنا لملايين الأسباب. وقد يكون اليوم أكثر سعادة إن تجاهلنا تلك الاحتمالات، ولكن، على حساب ماذا؟

٦ ديسمبر

السيف المتدلي فوق رأسك

“لا تتصرف كما لو كنت ستعيش إلى الأبد؛ فمصيرك يتدلى فوق رأسك. طالما بقيت على قيد الحياة، وبينما تستطيع، كن خيرًا الآن.”

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

هناك قصة قديمة تدور حول أحد رجال حاشية أحد الملوك استخف بمسئوليات الملك، ولكي يثبت الملك خطأه، رتب لكي يستبدل الأدوار مع هذا الرجل ليعرف مدى أعباء الملك. ثم قام الملك بإجراء تعديل آخر: علق فوق المرش سيمًا مربوطًا بشعرة ليُظهر مخاطر وأعباء المُلك إلى جانب الخوف المستمر من الاغتيال، ويطلق على هذه التذكرة المعلقة بالموت والصعوبات اسم سيف داموكليس.

في واقع الأمر، هناك سيف مشابه معلق فوق رؤسنا جميعًا - قد تُسلب منا حياتنا في أية لحظة. ويمكن أن يقودنا هذا التهديد إلى إحدى وجهتين: يمكننا أن نخاف ونرتعد، أو يمكننا استخدامه لتحفيز أنفسنا: لكي نفعّل الخير، ولكي نكون أحيانًا؛ لأن السيف معلق، ولا يوجد شيء آخر ننشغل به. هل تفضل أن يجعلك هذا تعلق في تصرفات أنانية مخجلة، أم تفضل أن تنتظر أن تكون خيرًا في المستقبل؟

٧ ديسمبر

الأوراق التي وزعناها

"تخيل أن الحياة التي عشتها حتى الآن قد انتهت، وانظر، كرجل ميت، إلى ما تبقى كحياة إضافية تعيشها وفقاً للطبيعة. ارتض بما أعطاه لك القدر وتعامل معه وكأنه ملكاً لك، فما الذي يناسبك أكثر من هذا؟".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

نُصاب جميعاً بخوف غير عقلاني من الاعتراف بأننا فانون، ونتجنب التفكير في هذا الأمر؛ لأننا نعتقد أنه سيصيبنا بالاكئاب. في واقع الأمر، عادة ما يؤدي التفكير في كوننا فانين إلى نتائج عكسية - زيادة حماسنا بدلاً من زيادة حزننا. لماذا؟ لأنه يمدنا بالوضوح.

إن قيل لك فجأة إنك لن تعيش إلا لأسبوع واحد، فما التغييرات التي ستدخلها على حياتك؟ وإن مت ثم بُعثت من جديد، فما النظرة المغايرة التي ستنظر بها إلى الحياة؟

عندما تكون - كما قالت شخصية بروسبيرو من أعمال شكسبير - "كل فكرة تالفة تتعلق بقبري"، فلن يكون هناك خوف من أن تعلق في التفكير في الأمور التافهة أو المشتتة. وبدلاً من إنكار خوفنا من الموت، دعونا نتركه يجعلنا أفضل شخصيات ممكنة.

اليوم.

٨ ديسمبر

لا تختبئ من مشاعرك

"أن تقهر حزنك أفضل من أن تخذه".

— سينيكا، من كتاب *On Consolation to Helvia*

فقدنا جميعاً أشخاصاً كانوا مقربين منا - صديقاً أو زميلاً أو والدًا أو جدًا. وبينما كنا نعاني الحزن، بذل شخص حسن النية قصارى جهده لكي يلهم عقولنا عن الحزن أو ليجعلنا نفكر في شيء آخر لبضع ساعات. أياً كان ما يحاول فعله، فتلك المحاولات تعتبر مضللة.

كان المتعارف بين الناس عن أصحاب الفلسفة اليونانية أنهم يكتبون مشاعرهم، إلا أن فلسفتهم كانت تدور في الحقيقة حول تعليمنا مواجهة المشاعر ومعالجتها والتعامل معها على الفور بدلاً من الهرب منها. قد يفريك الأمر بمحاولة خداع نفسك أو الاختباء من المشاعر القوية مثل الحزن - عبر أن تخبر نفسك والآخرين بأنك بخير، إلا أن الوعي والإدراك في هذه الحالة سيكونان أفضل. قد يكون الإلهاء جيداً على المدى القصير - من خلال الذهاب إلى ألعاب المثاقفة، مثلما كان يفعل الرومان في عصرهم، أما التركيز فسيكون أفضل على المدى الطويل.

يعني هذا أن تواجه تلك المشاعر الآن. عالج وحلل ما تشعر به، وامح توقعاتك وأفكارك وشعورك بأن ما حدث معك أمر خطأ. واعثر على الإيجابيات في ذلك الموقف، ولكن ارتض أيضاً بألمك وتقبله، متذكراً أن كل هذا جزء من الحياة - هذه هي طريقة قهر الحزن!

٩ ديسمبر

إضاعة الوقت بسفه

"لو ركز جميع عياقرة التاريخ على هذا الموضوع دون غيره، لما تمكنوا من التعبير الكامل عن حيرتهم في غيابات العقل البشري. لن يرغب أي إنسان في التنازل ولو عن سنتيمتر واحد من ممتلكاته، ويمكن أن يعني شجار صغير مع أحد الجيران الكثير من الدمار، ولكننا نسمح بسهولة للآخرين بالتسلل إلى حياتنا - والأسوأ، أننا عادة ما نمهد الطريق لمن سيسيظرون عليها. لا يعطي أحد أمواله لعابري السبيل، ولكن، كم عدد الذين نسلهم مقاليد حياتنا طواعية. ونتمسك بقوة بممتلكاتنا وأموالنا، ولكننا لا نراعي كثيرًا الوقت الضائع - الشيء الوحيد الذي يجب أن نكون بخلاء جدًا في التعامل معه".

— سينيك، من كتاب *On the Brevity of Life*

هناك، في العصر الحالي، عدد لا نهائي من المشتتات: اتصالات هاتفية ورسائل إلكترونية وزوار وأحداث مفاجئة. وقد لاحظ بوكرتي واشنطن أن "هناك عددًا لا نهائيًا من الأشخاص الذين ينتظرون إضاعة وقت المرء، دون هدف محدد".

أما الفلاسفة، على النقيض، فيعلمون أن حالتهم التلقائية يجب أن تكون حالة تأمل ووعي داخلي. لهذا السبب، يراعون بشدة حماية مساحاتهم الشخصية وأفكارهم من تدخلات العالم الخارجي. ويعلمون أن قضاء بعض الوقت في التأمل يمتلك قيمة أكبر من أية اجتماعات أو تقارير. كما يدركون مدى محدودية وقتنا في الحياة - ومدى سرعة نفاذ مخزوننا منه.

يذكرنا سينيك بأنه رغم براعتنا في حماية ممتلكاتنا المادية، فإننا نتخاذل بشدة فيما يتعلق بتعيين حدودنا الذهنية. يمكن استعادة الممتلكات، فهناك الكثير منها في كل مكان - بعضها لم يمسه بشر بعد، ولكن ماذا عن الوقت؟ إن الوقت هو المورد الوحيد الذي لا يمكن استبداله - ولا يمكننا شراء المزيد منه، ويجب أن نعمل على فقد أقل القليل منه.

١٠ ديسمبر

لا تبع نفسك بثمن بخس

"أقول: لا أسمح لأحد بأن يسلبني يوماً واحداً من دون أن يعرضني تعويضاً كاملاً عن خسارتي".

— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

ينفق الناس قدرًا من المال باستخدام البطاقات الائتمانية أكبر من استخدامهم للمال النقدي. وإن تساءلت من قبل عن سبب نشر شركات البطاقات الائتمانية والمصارف للكثير من الإعلانات عن تلك البطاقات، فهذا هو السبب: كلما زاد عدد بطاقتك الائتمانية، زاد إنفاقك.

هل نعامل حياتنا كما نعامل أموالنا؟ لأننا لا نعلم بالتحديد عدد الأيام التي سنعيشها؛ ولأننا نبذل قصارى وسعنا لكي نتجاهل حقيقة أننا سنموت ذات يوم، فإننا نتصرف بحرية تامة فيما يتعلق بإضاعة أوقاتنا؛ حيث نسمح للناس والالتزامات بفرض نفسها على هذا الوقت، ونادرًا ما نسأل: *ما المقابل الذي سأحصل عليه؟*

يشبه قول سينيكا المأثور أن نتخلص من بطاقتنا الائتمانية ونعود لاستخدام النقود. ويقول إنه يجب أن نفكر مليًا في كل عملية تبادل: *هل أحصل على مقابل جيد لأموالي؟ هل تلك المبادلة رابحة؟*

١١ ديسمبر

الكرامة والشجاعة

"يقول شيشرون إننا نكره المجالدين إن سارعوا بإنقاذ حياتهم بأية طريقة كانت، ونقدرهم إن ازدروا حياتهم".

— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

اعتاد زملاء ليندون جونسون في الفصل أن يقولوا قصصًا محرجة عنه. كان جونسون يمتلك فمًا كبيرًا وكان يشعر بأنه يجب أن يسيطر على الآخرين ويخيفهم. ولكن، وضع كاتب سيرته الذاتية روبرت كارو، أنه عندما كان شخص ما يقف ليوواجه ليندون الصغير، كان يتظاهر بأنه جبان. ففي أحد المواقف، خلال شجار حول إحدى الألعاب، وبدلاً من القتال، ألقي جونسون نفسه على الفراش وبدأ "يركل الهواء بقدميه في جنون... مثل الفتيات". وبدأ يصيح: "إن ضربتني، سأركلك. إن ضربتني، سأركلك".

وفي مرحلة لاحقة من حياته، عمل "جونسون" جاهداً ليتفادى المشاركة في الحرب العالمية الثانية، وعاش مستمتعاً بحياته في كاليفورنيا بينما كان الجنود الآخرون يحاربون ويموتون في الخارج. ثم ادعى في وقت لاحق أنه بطل من أبطال الحرب. وكانت تلك واحدة من أكثر أكاذيبه المخجلة على الإطلاق. لسنا بحاجة إلى عدم الاهتمام بأمننا البدني أو الانخراط في الأفعال العنيفة لنثبت شجاعتنا. ولكن، لا أحد يحترم الجبان، ولا أحد يحب الهارب من تأدية الواجب. ولا أحد يحب شخصاً ما يعلي كثيراً من راحته وحاجاته.

ذلك هو ما يثير السخرية من الجبناء، حيث إنه يهدف إلى حماية نفسه، ولكنه يبتكر أسباباً مخجلة. إن الحفاظ على النفس لا يستحق كل هذا بسبب المقابل الكبير الذي سيدفعه.

كن شجاعاً واحفظ كرامتك.

١٢ ديسمبر

ويستمر الإيقاع

"تجول في قاعة لوحات الماضي، عن الإمبراطوريات والممالك المتعاقبة إلى ما لا نهاية، وسيمكنك أن ترى المستقبل أيضًا، والذي سيثبه الماضي دون أدنى شك، ولا يمكنه أن ينصرف عن الإيقاع الحالي. يظل الأمر على حاله، سواءً طوال ٤٠ عامًا أو إلى ما لا نهاية. ماذا هناك أيضًا لنراه؟"

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

كل شيء يفتنى، ليس فقط الناس، بل أيضًا الشركات والممالك والمعتقدات والأفكار - في نهاية المطاف. لقد دامت الجمهورية اليونانية لمدة ٤٥٠ عامًا. ودامت الإمبراطورية اليونانية، التي يعد ماركوس أوريليوس واحدًا من أباطرتها "الخمسة الجيدين" لمدة ٥٠٠ سنة. وأطول فترة مسجلة - في عصرنا الحديث - عاشها إنسان هي ١٢٢ عامًا. ويزيد متوسط العمر في الولايات المتحدة الأمريكية قليلًا على ٧٨ عامًا، وفي بلدان أخرى، وفي مناطق أخرى، يزيد متوسط العمر أو يقصر عن هذا. ولكن، في نهاية المطاف، نستسلم جميعًا، كما يقول ماركوس، لإيقاع الأحداث - حيث يوجد دومًا إيقاع أخير محدد. لا حاجة بنا لأن نرتضي بهذه الحقيقة، ولكن، لا غاية من تجاهلها أيضًا.

١٣ ديسمبر

إنه مجرد رقم

"أنت لست منزعجًا - أليس كذلك - لأنك تزن وزنًا معينًا وليس ضعفه؟ لماذا إذن لا تدرك أن أمامك فترة معينة لتعيشها ولا أكثر؟ ومثلما ترتضي بوزنك الطبيعي، عليك أن ترتضي بالفترة التي عليك أن تعيشها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditation*

يقولون إن العمر مجرد رقم، ولكنه رقم مهم جدًا بالنسبة للبعض - وإلا. لن تكذب النساء ذكريات أعمارًا تقل عن أعمارهن الحقيقية، ولن يكذب الرجال الطموحون ذكريات أعمارًا تزيد على أعمارهم الحقيقية، ولن ينفق الأثرياء والمهووسون بالصحة مليارات الدولارات في محاولة منهم لتمديد أعمارهم أكثر من ٧٨ عامًا على أمل أن يعيشوا إلى الأبد.

لا يهتم عدد السنين التي يمكننا زيادتها في أعمارنا، بل ما سنفعله بها هو المهم. ولقد عبر سينيكا عن هذا الأمر بصورة رائعة عندما قال: "سيصبح العمر مديدًا إن عرفت كيف تستخدمه". وللأسف، لا يستخدمه غالبية الناس جيدًا - حيث يضيعون الحياة التي مُنحوا إياها. وعندما يفوت الأوان، يحاولون التعويض عما أضاعوه عبر آمالهم الواهية بقدرتهم على إضافة بعض الوقت لأعمارهم.

استخدم اليوم، واستخدم كل يوم، وارضَ بما لديك.

١٤ ديسمبر

ما الذي يجدر بنا معرفته في النهاية

"ستموت في القريب، ولكنك لا تزال غير أمين، وغير هادئ، وخالٍ من الشكوك المتعلقة بأن الأمور الخارجة عن إرادتك يمكنها إلحاق الضرر بك، وتذكر أن الحكمة والتصرف بعدل متماثلان ولا يفارق بينهما".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

مهما فهمنا، كتب ماركوس الكثير من تأملاته في مرحلة متأخرة من حياته، عندما كان يعاني مرضًا عضالًا. لذا، عندما قال: "ستموت في القريب"، كان يتحدث بصراحة مع نفسه عن احتمالية موته. كم كان يشعر بالخوف في تلك اللحظة، فقد كان يدرك جيدًا الاحتمالية الحقيقية للموت ولم يعجبه ما رآه في تلك اللحظات الأخيرة من حياته.

لا شك في أنه تمكن من تحقيق الكثير من الأمور في حياته، إلا أن عواطفه ظلت سبب عدم راحته وألمه وإحباطه. كان يُدرك، مع عدم تبقي الكثير من الوقت بالنسبة له، أن الخيارات الأفضل ستمده بالراحة.

ربما لا يزال أمامك وقت كافٍ - ولكن، يزيد هذا من أهمية المضي قدمًا بينما لا تزال قادرًا على ذلك. إننا نظل منتجات غير كاملة حتى النهاية، كما يعلم ماركوس هذا تمام المعرفة. ولكن، كلما بادرنا بالتعلم، زادت قدرتنا على الاستمتاع بثمار العمل على شخصيتنا - وبادرنا بتحررنا (أو زيادته) من الشك والقلق وعدم التقدير لتمسكنا بالفلسفة اليونانية.

١٥ ديسمبر

طريقة بسيطة لتقييم أيامنا

"من علامات كمال الشخصية، أن تعيش كل يوم كما لو كان يومك الأخير في الحياة، من دون غضب، أو كسل، أو تظاهر".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

لهم يعتقد أصحاب الفلسفة اليونانية أن أحدًا يمكنه أن يكون كاملًا. ولم تكن فكرة أن تكون قائدًا روحيًا – أعلى مراتب الفلسفة – واقعية بالنسبة لهم. كانت تلك هي مثالياتهم "الأفلاطونية".

ولكن، كانوا يبدؤون كل يوم على أمل أن يقتربوا خطوة أخرى من ذلك المعيار. وكان هناك الكثير ليجنوه في أثناء تلك المحاولات. هل يمكنك أن تعيش اليوم بالفعل كما لو كان يومك الأخير؟ هل من الممكن أن نجسد الكمال في شخصياتنا، عبر فعل الصواب دون بذل الكثير من الجهد طوال ٢٤ ساعة كاملة؟ هل يمكننا فعل هذا لأكثر من دقيقة كاملة؟

ربما لن تتمكن من هذا، ولكن إن كانت المحاولة كافية بالنسبة لأصحاب الفلسفة اليونانية، فلا بد من أن تكون كافية بالنسبة لنا نحن أيضًا.

١٦ ديسمبر

الصحة الجيدة الدائمة

"أقول لك، كل ما عليك فعله هو تعلم أن تعيش مثلما يعيش من يتمتع بصحة جيدة... بثقة تامة. أية ثقة؟ الأمر الوحيد الذي يستحق التمسك به، والأهل للثقة، والذي لا يمكن عرقلته أو سلبه منك - خيارك المنطقي".

— إيكيتوس، من كتاب *Discourses*

كما يقول أصحاب الفلسفة اليونانية مرارًا وتكرارًا، من الخطر أن تثق بما لا يمكنك السيطرة عليه. ولكن، ماذا عن خيارك المنطقي؟ حسنًا، حتى هذه اللحظة، لا يزال يقع ضمن نطاق سيطرتك، ولهذا السبب لا يزال أحد الأمور القليلة التي يمكنك أن تثق بها. إنه من بين المجالات الصحية التي لا يمكنك أن تصدر تشخيصًا نهائيًا مفاجئًا عنها (عدا التشخيص الذي نتلقاه جميعًا يوم مولدنا - ذكر أو أنثى). إنه الشيء الوحيد الأصلي الذي لا ينتهي أبدًا - وهو الشيء الذي يهجره مستخدمه، ولكنه لا يهجر مستخدمه أبدًا.

في الاقتباس أعلاه، يوضح إيكيتوس أن العبيد والعمال والفلاسفة على حدٍ سواء، يمكنهم العيش بهذه الطريقة. وقد كان سقراط وديوجين وكليمنس يعيشون بهذه الطريقة - حتى عندما كانت لديهم أسر، أو كانوا يكافحون كطلبة. ويمكنك أنت أيضًا أن تعيش بالطريقة ذاتها.

١٧ ديسمبر

اعرف نفسك - قبل أن يفوت الأوان

"يُنقل الموت كاهل الشخص الذي،

رغم شهرته بين الجميع،

يموت مجهولاً بالنسبة لنفسه".

— سينيكا، من كتاب *Thyestes*

يبدو أن بعضاً من أكثر الناس قوة وأهمية في العالم لا يملكون أي وعي ذاتي. ورغم أن الآخرين قد يعرفون الكثير من الأمور عنهم، قد يبدو أن المشاهير - لأنهم منشغلون جداً أو لأن الأمر يؤذيهم كثيراً - لا يعرفون الكثير عن أنفسهم. قد نتبع الأسلوب نفسه، ونتجاهل قول سقراط المأثور: "اعرف نفسك" - وندرك عادة أننا قد فعلنا هذا على حساب أنفسنا، وبعد سنوات، عندما نستيقظ ذات يوم وندرك أننا نادراً ما طرحنا على أنفسنا السؤال التالي: **من أنا؟ ما الذي يهمني؟ ما الذي أحبه؟ ما الذي أحتاج إليه؟** والآن - في التو واللحظة - ستمتلك الوقت الكافي لتستكشف نفسك، ولتفهم عقلك وجسدك. لذا لا تنتظر، واعرف نفسك قبل أن يفوت الأوان.

١٨ ديسمبر

ما يحل بنا جميعاً

"حدث لكل من الإسكندر الأكبر وسانس بغاله الأمر ذاته عندما ماتا - إما أنهما قد تم استقبالهما في المنطق دائم التجدد، أو تناثرا بين الغبار".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

في العالم الذي نقتل فيه المساواة يوماً بعد يوم، لم تعد هناك تجارب مساواة متبقية. ف عندما لاحظ بنجامين فرانكلين أنه "لا يمكننا أن نجزم بأن هناك شيئاً في هذا العالم حقيقي عدا الموت والضرائب"، لم يتمكن من إدراك أن هناك بعض الأشخاص بارعون جداً في التهرب من الضرائب. وماذا عن الموت؟ لا يزال التجربة الوحيدة التي مر بها جميع من ماتوا دون استثناء. سنواجه جميعاً النهاية نفسها، وسواء كنت تغزو العالم المعروف أو تلمع أحذية من يقومون بالفرز، سيصبح الموت في النهاية هو من سيساوي بينكم جميعاً - درس في التواضع الشديد. لقد تتبع شكسبير وهاملت هذا المنطق وعرضاه في مصطلحات قاسية لكل من الإسكندر ويوليوس قيصر:

"لقد مات القيصر المستبد وتحول إلى تراب،
وقد يُستخدم فيما بعد لسد فتحة تتسرب منها الريح:
نعم، إنها تلك الأرض التي لطلما أبهرت العالم،
هي التي ستبنى جداراً يقينا برد الشتاء".

في المرة القادمة التي ترى فيها نفسك عالياً ولا تُقهر - أو على النقيض، كنت تشعر بالنقص وسوء الحال - تذكر: ينتهي بنا المطاف جميعاً إلى النهاية نفسها. في الموت، لا أحد أفضل من الآخر، ولا أحد أسوأ - تنتهي قصصنا جميعها بالنهاية نفسها.

١٩ ديسمبر

المقياس الإنساني

"فكر في الكون المادي بأكمله وفي مدى صغر حصتك منه، فكر في مدى اتساع الزمن وفي مدى قصر - وضالة - ما تعيشه منه، فكر في مقادير الأمور وفي مدى صغر دورك فيها".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

إن كمية المادة في الكون هائلة - تصل إلى تريليونات الذرات. كم النسبة التي يحتويها جسم الإنسان من تلك المادة؟ يصل عمر الأرض، كما توصل العلم حتى الآن، إلى حوالي ٤,٥ مليار عام، ولا يبدو أنها ستفنى في القريب. أما حياتنا على الأرض، فعلى النقيض، كم ستستمر؟ بضعة عقود؟

إننا نحتاج في بعض الأحيان إلى رؤية الحقائق والأرقام أمامنا حتى نتمكن من الإدراك الكامل لمقياس حياة البشر بالنسبة للمسار الأكبر للأمور.

فكر في هذا الأمر في المرة القادمة عندما تشعر بمدى أهمية نفسك، أو عندما ترى قيام كل شيء وانهاره عند التفكير فيما ستفعله فيما بعد. إن الأمور لا تتسم هكذا، وأنت مجرد شخص واحد من بين كثيرين، وهذا كل ما عليك فعله.

٢٠ ديسمبر

خف من الخوف من الموت

"هل تأملت إذن كيف أن قمة الشرور البشرية - العلامة المميزة للعامة والجناء - لا تتعلق بالموت، بل بالخوف من الموت؟ وأنا أحتك على أن تضبط نفسك لتقاوم هذا الخوف، وأن توجه كامل أفكارك وتجاربك وقراءاتك نحو تلك الوجهة - وستترك الطريق الوحيد المؤدي إلى الحرية الإنسانية".

— إيكيتنوس، من كتاب *Discourses*

من أجل تقوية إرادته قبل أن ينتحر بدلاً من أن يرتضي بتدمير يوليوس قيصر للجمهورية اليونانية، قرأ الفيلسوف اليوناني العظيم "كاتو" بعضاً من حوارات *Phaedo* - أفلاطون، والتي كتب فيها: "الطفل في داخلنا هو الذي يرتجف قبل الموت". إن الموت مخيف؛ لأنه مجهول بالنسبة لنا، فلم يتمكن أحد من العودة منه ليخبرنا كيف يبدو. إننا لا نعلم أي شيء عنه.

ورغم نظرتنا الطفولية الجاهلة إلى الموت، هناك بعض الرجال الحكماء والنساء الحكيمات الذين يمكنهم على أقل تقدير أن يمدونا ببعض الإرشادات. هناك سبب وجيه لعدم خوف أكبر المعمرين في العالم من الموت: لقد توفر لهم الوقت الكافي للتفكير فيه أكثر مما توفر لنا (وأدركوا أن القلق بشأنه أمر لا طائل منه). هناك مصادر أخرى رائعة: ويوميات "فلوريدا سكوت-ماكسويل" الفلسفية التي كتبها خلال مرضها الأخير تحت عنوان *The Measure of My Days*، من بين تلك المصادر. كما أن كلمات سينيكا الشهيرة التي وجهها إلى أسرته وأصدقائه، الذين انكسرت شوكتهم وبدأوا يتوسلون من أجل عدم إعدامه، من بين تلك المصادر أيضاً. وقد نهرهم سينيكا قائلاً: "أين شعارات فلسفتنا، أو الاستعداد الذي قمنا به عبر سنوات من الدراسة لمواجهة الشر القادم؟". في الفلسفة، هناك كلمات ملهمة وشجاعة قالها رجال ونساء شجعان يمكنهم مساعدتنا على مواجهة هذا الخوف.

وهناك أيضًا اعتبار آخر مهم عن الموت نستمدّه من الفلسفة اليونانية: إن كان الموت هو النهاية، فما الذي يجدر بنا أن نخشاه؟ حيث إن كل شيء من مخاوفك إلى مستقبلات الألم إلى القلق وأمنياتك المتبقية، ستتدثر معك. وعندما يبدو الموت مخيفًا، تذكر: أنه يحوي في داخله نهاية الخوف.

٢١ ديسمبر

ما الذي يجب أن تظهره خلال أعوام حياتك؟

"في بعض الأحيان، لا يمتلك المسن دليلاً على أنه عاش طويلاً إلا سته".
 — سينكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

كم من السنوات عشت؟ خذ تلك السنوات واضربها في ٣٦٥، ثم في ٢٤. كم ساعة عشت؟ ما الذي أظهرته خلالها؟

الإجابة التي ستلقاها من الكثيرين هي: ليس ما يكفي. إننا نمتلك الكثير من الساعات لدرجة أننا نأخذها على أنها أمور مسلم بها، وكل ما نحاول استغلال وقتنا فيه هو لعب الجولف، وسنوات طوال نقضيها في العمل، ووقت نضيقه في مشاهدة أفلام سيئة، والكثير من الكتب التافهة التي لا نتذكر أننا قرأناها من الأساس، وربما مرآب مليء بالألعاب. إننا نشبه شخصية رواية رايوند تشاندلر تحت عنوان *The Long Goodbye*، حين تقول: "في معظم الأحيان، أحاول قتل الوقت، ويموت ميتة مريئة".

ذات يوم، ستبدأ ساعاتنا في النفاد، وسيكون من الرائع أن نتمكن من قول: "لقد استغللتها الاستغلال الأمثل"، ليس في صورة إنجازات أو أموال أو مناصب – أنت تعرف وجهة نظر أصحاب الفلسفة اليونانية من كل تلك الأمور – بل في صورة حكمة وبصيرة وتقدم حقيقي في جميع الأمور التي يواجهها البشر صعوبة معها.

ماذا لو تمكنت من قول إنك نجحت في تحقيق أمر ما مستغلاً ذلك الوقت الذي كنت تمتلكه؟ ماذا لو تمكنت من إثبات أنك تمكنت من العيش حقاً لعدد كبير من السنوات – لم تلغها فحسب، بل عشتها جيداً؟

٢٢ ديسمبر

أثبت ادعاءاتك

"من المهين بالنسبة للمسن، أو الذي يعتبره الناس مسنًا، ألا يمتلك معرفة عدائك التي توجد في مفكرته. قال زينو هذا... ما الذي تقوله أنت؟ وكينشس قال هذا... ما الذي ستقوله أنت؟ إلى متى ستظل مجبرًا على تقبل إدعاءات الآخرين؟ تحمل المسؤولية وأثبت ادعاءاتك - واجعلها أمرًا تحمله الأجيال القادمة في مفكراتها".

— سينيكَا، من كتاب *Moral Letters*

متأملًا في مفكرته فكرة الخلود، شكَا رالف والدو إيمرسون من لف الكتاب ودورانهم حول موضوع ما صعب عبر الاعتماد على الاقتباسات، حيث كتب: "أنا أكره الاقتباسات. أخبرني بما تعرفه أنت".

ولقد تحدث سينيكَا عن الفكرة ذاتها قبل ٢٠ قرنًا من رالف. من السهل أن تقتبس، وأن تعتمد على كلمات الآخرين الحكيمة، خاصة إن كانوا من الشخصيات العظيمة.

ومن الصعب (بل والمخيف) أن تغامر بمفردك وتعبّر عن أفكارك الخاصة. ولكن، كيف تعتقد أن تلك الاقتباسات الحكيمة والصادقة لتلك الشخصيات العظيمة قد نشأت في المقام الأول؟

إن تجاربك الخاصة قيمة، فقد كدست حكمتك الخاصة أنت أيضًا. لذا أثبت ادعاءاتك، واكتب شيئًا يستمر لعصور قادمة - عبر الكلمات، وعبر كونك نموذجًا يُحتذى به أيضًا.

٢٣ ديسمبر

ما الذي تخشى فقدانه لهذه الدرجة؟

"أنت تخشى الموت. ولكن، أخبرني، هل ترى أن حياتك تلك تمثل أي شيء عدا الموت؟".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

يخبرنا سينيكا بقصة رائعة عن رجل يوناني فاحش الثراء، كان العبيد يحملونه على محفة لينتقل من مكان لآخر. وفي إحدى المرات، وبعدما حُمل من حوض الاستحمام، سأل ذلك اليوناني: "هل جُلسْتُ بعد؟". تدور فكرة سينيكا في هذه القصة حول: ما نوع تلك الحياة المشيرة للشفقة التي تعيشها وأنت منفصل عن العالم لدرجة أنك لا تعلم إذا ما كنت قد جلست على الأرض أم لا؟ كيف يُدرك المرء إذا ما كان حيًّا من الأساس؟

يخشى معظمنا الموت. ولكن، قد يثير هذا الخوف، في بعض الأحيان، السؤال التالي: ما الذي تحميه بالتحديد؟ ويجيب الكثيرون: ساعات من مشاهدة التلفزيون والنميمة والأكل وضياع الإمكانيات والعمل في وظيفة مملة، وتطول القائمة إلى ما لا نهاية. ولكن، تعتبر تلك هي الحياة في أضعف صورها! هل تستحق التمسك بها بقوة والخوف من فقدانها؟ لا يبدو أنها تستحق.

٢٤ ديسمبر

بلا معنى... مثل الشراب الجيد

"أنت تعلم مذاق الشراب، ولا فارق بين أن تشرب منه مائة زجاجة أو ألف زجاجة لتمر بمثانتك - فأنت لا شيء سوى مصفاة".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

قري في هذا الاقتباس تعبيرًا آخر مهينًا، يأتي تلك المرة من سينيكا، والذي طبقًا لما اشتهر به من ثراء فاحش، كان يتناول أفضل أنواع المشروبات. قد تزعج فكرته تلك أي شخص حوَّله نجاحه ومجده إلى مدمن على الشراب (رغم أن الفكرة نفسها يمكن تطبيقها على كل من مدمني الطعام ومهووسي التكنولوجيا والموسيقى وغيرهم).

ورغم كون تلك المتع مثيرة للمرح والمتعة، فإنه يجب عدم الإفراط فيها. إنك لن تحصل على جائزة في نهاية حياتك لأنك استهلكت أكثر أو عملت أكثر أو أنفقت أكثر أو جمعت أكثر أو تعلمت عن مختلف وجهات النظر أكثر مما فعل أي شخص آخر. أنت مجرد أنبوب، حاوية استوعبت تلك الأشياء أو تعاملت معها لفترة مؤقتة.

فإن وجدت أنك تتوق إليها، فإن التأمل سيساعدك على التقليل من هذا التوق ولو قليلاً.

٢٥ ديسمبر

لا تشعل طرفي الشمعة

"يجب أن يحصل العقل على الاسترخاء - وسينهض وقد تحسنت حالته وزادت حدة تركيزه بعد فترة كافية من الراحة. ومثل الحقول الخصب التي يجب ألا تُزرع المرة تلو الأخرى دون راحة - حيث ستفقد خصوبتها إن لم تسترح - لذا، فإن الطرق المتواصل على سندان الأفكار سيتسبب في إنهاك القوة الذهنية. ولكنه سيستعيد قوته إن حُرر واسترخى لفترة من الوقت. إن العمل المتواصل يورث الروح العقلانية نوعاً من الكآبة والضعف".

— سينيكا، من كتاب *On Tranquility of Mind*

لا يمكن للمرء أن يقرأ كتابات ماركوس أوريليوس وسينيكا ولا يذهل من مدى اختلاف شخصية كل منهما عن الآخر. فقد كانت لكل منهما نقاط قوته وضعفه. أيهما كنت قد تفضل أن يتولى مسئوليات إمبراطورية بأكملها؟ ربما كان ماركوس. ولكن، من كنت قد تفضل من بينهما كإنسان؟ ربما سينيكا. من بين الأسباب التي جعلتنا نرى أن سينيكا أفضل كإنسان هو أنه امتلك المقومات الضرورية لتحقيق التوازن بين الحياة والعمل. وفي حين قد تقرأ في كلمات ماركوس أنه خائر القوى ومرهق، كان سينيكا دائم الحيوية والانتعاش والنشاط. وربما كانت فلسفته عن الراحة والاسترخاء - عند مزجها مع دراساته الواسعة وغيرها من طقوس الفلسفة اليونانية - هي المسئولة عن ذلك. إن العقل مثل العضلات، قد يُصاب بالشد أو الإجهاد أو حتى الضرر. كما أن صحتنا الجسدية تُستنزف أيضاً بواسطة الإفراط في الالتزام، وقلّة الراحة والعادات السيئة. هل تذكر القصة الطويلة عن جون هنري - الرجل الذي تحدى الآلة؟ لقد مات من فرط الإرهاق في النهاية. لا تنس هذا. واليوم، قد تواجه أموراً تختبر صبرك، وتتطلب الكثير من التركيز والوضوح، أو تتطلب طفرات مبتكرة. الحياة عبارة عن رحلة طويلة - أي أنها مكونة من الكثير جداً من اللحظات. هل سيمكنك أن تتعامل معها إن أشعلت كلا طرفي الشمعة، أو إن كنت تسيء لجسدك وتجهده؟

٢٦ ديسمبر

الحياة ستكون طويلة إن أدركت كيفية استغلالها

"لا يتعلق الأمر أبدًا بمدى قصر فترة حياتنا، ولكن، يتعلق بإصاعتنا الكثير منها، إن الحياة طويلة بالقدر الكافي، وبها معايير كافية لتحقيق الإنجازات العظيمة إن استغلناها بالطريقة المناسبة. ولكن، إن سكبناها في بالوعة الرفاهية والإهمال، وإن لم نوظفها من أجل أهداف جيدة، فسنرى في النهاية أنها مرت وانتهت قبل أن نلاحظ ذلك. وبالتالي، حياتنا ليست قصيرة، بل نحن من يجعلها قصيرة".

— سينكا، من كتاب *On the Brevity of Life*

لا يعلم أحد كم سيعيش من سنوات، ولكن، يمكننا، للأسف، أن نكون على يقين من أمر واحد: سنضيع القسم الأكبر منها. أضع حياتك في الجلوس دون عمل، أضعها في مطاردة الأهداف الخطأ، أضعها عبر رفض قضاء الوقت الكافي لتسأل نفسك عن الأمور المهمة بالفعل في حياتك، إننا نشبه، في الكثير من الأحيان، أولئك الأكاديميين مفرطي الثقة الذين انتقدهم بتراركا في مقاله الكلاسيكي عن الجهل - نوعية الأشخاص الذين "يضيعون قواهم باستمرار على الاهتمام بأمور خارجة عن إرادتهم ويبحثون عن أنفسهم فيها"، ولا يدركون أنهم يفعلون ذلك.

لذا، اليوم، إن وجدت نفسك قد تسرعت وقلت العبارة التالية: "لا أملك الوقت الكافي"، فتوقف وفكر للحظة. هل هذه هي الحقيقة، أم أنك قد ألزمت نفسك بالكثير من الأمور غير الضرورية؟ هل أنت كفاء بالفعل، أم أنك أضعت الكثير من الوقت في حياتك؟ يقضي المواطن الأمريكي العادي في المتوسط حوالي ٤٠ ساعة سنويًا في الزحام المروري، بما يعادل شهرًا كثيرًا على مدار حياته. وبالنسبة "للزحام المروري"، يمكنك فعل الكثير من الأنشطة خلال الزحام، من الشجار مع الآخرين أو مشاهدة التلفزيون إلى أحلام اليقظة. إن حياتك طويلة - فاستخدمها الاستخدام الأمثل.

٢٧ ديسمبر

لا تدع روحك تسبقك

"من المولم في الحياة أن تستسلم الروح أولاً ويظل الجسد رافضاً للاستسلام".
— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

رغم امتيازاته الكبيرة، كان ماركوس يعيش حياة قاسية. قال المؤرخ الروماني كاسيوس ديوان ماركوس "لم يواته الحظ الحسن الذي كان يستحقه، فلم يكن جسده قويًا، كما أنه واجه الكثير من المشكلات خلال فترة حكمه". فمن جانب، كان مريضًا جدًا لدرجة انتشار شائعة تفيد بأنه قد مات - وزادت الأمور سوءًا عندما استغل أكثر قادته الموثوق بهم تلك الشائعة لينصب نفسه الإمبراطور الجديد.

ولكن، خلال تلك الصعوبات الكثيرة - سنوات الحرب ومرضه العضال وابنه المضطرب - لم يستسلم ماركوس قط، ويمثل هذا نموذجًا ملهمًا بالنسبة لنا في العصر الحالي إن شمرنا بالتعب أو الإحباط أو واجهنا الكوارث. كان ذلك الرجل يمتلك جميع أسباب الشعور بالفضب والمرارة، والذي كان يمكنه أن يتخلى عن مبادئه ويعيش في دعة وراحة، والذي كان يمكنه أن ينحى مسؤولياته جانبًا وأن يركز على صحته دون غيرها.

ولكنه لم يفعل، بل ظلت روحه قوية حتى بعد أن وهن جسده. لم يستسلم، حتى أسلم روحه إلى بارئها - عندما مات في فيينا في عام ١٨٠ ميلاديًا.

٢٨ ديسمبر

عن كونك أهلاً للتذكر

"كل شيء يستمر ليوم واحد، مَنْ يتذكر الأمر وما يتم تذكره".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

سكن في شارع ٤١ متجهًا نحو مكتبة مدينة نيويورك العامة الرائعة الجمال، بتماثيل الأسود الحجرية المهيبة التي تحيط بمدخلها. ففي أثناء سيرك في "رواق المكتبة"، ستمر بلافتة ذهبية مثبتة بالإسمنت، مكتوب عليها مجموعة من الاقتباسات عن أعظم الكتاب على مدار التاريخ. هناك أحد الاقتباسات عن ماركوس أوريليوس يقول: "كل شيء يستمر ليوم واحد، مَنْ يتذكر الأمر وما يتم تذكره".

صُممت المكتبة بواسطة شركة جون مارفن كاربير، أحد أشهر المهندسين المعماريين في القرن العشرين. تضم المكتبة مجموعة من مؤلفات أشهر الكتاب واهداءات فاعلي الخير على غرار صامويل تيلدن وجون جايكوب أستور وجيمس لينوكس، مع حفر أسمائهم على الحجر. واليوم، تعود حقوق التسمية إلى مدير الصناديق الوقائية ستيفن إيه شوارتزمان. حضر افتتاح المكتبة في عام ١٩١١ الرئيس وليام هوارد تافت والمحافظ جون ألدن ديكس، وعمدة مدينة نيويورك وليام جاي جاينور. وُصمت اللوحات التي سترها في طريقك بواسطة الفنان جريج ليفيفر.

يجعلنا هذا الاقتباس المؤخوذ عن ماركوس نفكر: كم من هؤلاء الأشخاص سمعنا عنه من قبل؟ كان الأشخاص الذين أسهموا في إنشاء المكتبة بعضًا من أشهر الأشخاص في العالم، كان كل منهم مبدع في مهنته، وكان بعضهم أثرياء ثراءً فاحشًا. حتى في "رواق المكتبة"، هناك الكثير من أسماء المؤلفين في المكتبة الذين لا يعرف عنهم القراء المعاصرين شيئًا. لقد ماتوا منذ زمن بعيد، وكذلك من تذكرهم من أشخاص.

ونحن جميعًا، ومن بيننا ماركوس - الذي مر من أمامه الكثيرون دون أن يلتفتوا إليه - نستمر ليوم واحد فقط على الأكثر.

٢٩ ديسمبر

اشكر

"من بين الأمور التي يجب أن نجربها بأنفسنا أن نشعر بالامتنان قدر الإمكان. فالامتنان أمر سيفيدنا، مثلما تفيدنا العدالة، والتي نعتقد أنها تخص الآخرين، ولكنها ليست كذلك؛ حيث إن الامتنان يعود إلينا مضاعفًا".

— سينيكا، من كتاب *Moral Letters*

فكر في جميع الأمور التي يمكنك أن تشعر بالامتنان لوجودها اليوم: ربما كونك على قيد الحياة، أو أنك تعيش في عصر يعمه السلم، أو أن صحتك جيدة وتمتلك وقتًا كافيًا لقراءة هذا الكتاب. ماذا عن الأمور البسيطة؟ أن يبتسم شخص ما في وجهك، أو المرأة التي فتحت لك باب المتجر، أو تلك الأغنية التي تحبها، أو الملقم الجيد.

إن الامتنان شعور معد؛ حيث إنه إشعاع إيجابي يعم الجميع.

وحتى إن كان اليوم هو يومك الأخير في الحياة - إذا كنت تعلم مسبقًا أن حياتك ستنتهي بعد ساعات - هل ستظل هناك الكثير من الأمور لتمتن بوجودها؟ في اعتقادك، كم ستحسن أحوالك إن تعاملت مع كل يوم بهذه الطريقة، وإن سمحت لها بأن تستمر من الصباح وحتى المساء وأن تمس كل جانب من جوانب حياتك؟

٣٠ ديسمبر

التغلب على الحياة

"إن كنت ترغب في أن تتحمل التجارب بعقل هادئ، فاسلب من الحظ العاثر قوته وعبئه".

— سينيكا، من كتاب *Hercules Oetaeus*

الأشخاص الذين تكن لهم الإعجاب، أولئك الذين يبدو أنهم يتعاملون جيداً مع المحن والصعوبات، ما القاسم المشترك بينهم: حسهم بالتوازن، أم نظامهم الحياتي. في طابور قصير، أوفي وسط التعرض للانتقاد، أو بعد التعرض لمأساة محزنة، أو خلال الأوقات العصيبة؛ يحافظون على رباطة جأشهم.

ليس لأنهم أفضل منك، ولا لأنهم أكثر ذكاءً، بل لأنهم تعلموا سراً صغيراً. يمكنك أن تتغلب على أي موقف عبر التفكير فيه بعقل هادئ، عبر وضعه في اعتبارك وتأمله بصورة مسيئة.

ولا ينطبق هذا على المحن اليومية فحسب، بل أيضاً على أقوى التجارب الحتمية على الإطلاق: الموت، والذي قد يأتي غداً، والذي قد يأتي بعد ٤٠ عاماً، وقد يأتي بسرعة ودون ألم، أو قد يأتي بعد عذاب وألم. وعندئذ، لن يكون مساعدنا الأكبر في تلك المحنة معتقداتنا، ولا الكلمات الحكيمة التي قالها الفلاسفة، بل سيكون عقلنا الهادئ الرزين.

٣١ ديسمبر

أسرع بإنقاذ نفسك

"توقف عن التجوال بلا هدف. من غير المرجح أن تقرأ مفكرتك الخاصة، أو التاريخ القديم، أو المقطعات الأدبية التي جمعتها لتقرأها عندما تشيخ. اهتم بالهدف من الحياة، ونح جانبًا الآمال الجوفاء، وأسرع بإنقاذ نفسك - إن كنت تهتم بنفسك من الأساس - وافعل هذا بينما تستطيع ذلك".

— ماركوس أوريليوس، من كتاب *Meditations*

إن الهدف من جميع قراءتنا ودراساتنا هو أن نساعد أنفسنا خلال البحث عن الحياة الجيدة (والموت). في مرحلة ما من حياتنا، سيكون لزامًا علينا أن نتحى كتبنا جانبًا وأن نبدأ العمل، بحيث، كما يقول سينيكا، "تتحول الكلمات إلى أفعال". هناك قول مأثور قديم يقول: "ما يقدمه الدارسون قد يكون مفسدة للجنود". لذا فإننا نريد أن نكون دارسين وجنودًا - جنودًا في معركة ذات هدف. هذا ما عليك فعله فيما بعد. لذلك امض قدمًا، وامض نحو داخلك. وقراءة كتاب آخر ليست هي الحل، لكن الحل هو الخيارات والقرارات الصائبة. من يعلم كم تبقى لك من وقت، أو ما ينتظرك في الغد؟

البقاء على الفلسفة اليونانية

نأمل أن هذا الكتاب قد استمر معك لعام كامل (ولكننا سنصدّقك القول أنك إن قرأت الكتاب من دون التقيد بالتواريخ، سنكون مسرورين جدًا). ماذا بعد إذن؟ نأمل أنك ستلتزم بالفلسفة اليونانية وتجعلها ممارسة يومية في حياتك. ولهذا السبب، أنشأنا موقع DailyStoic.com – وهو موقع مليء بالكثير من اللقائات مع ممارسي الفلسفة اليونانية ومقالات وتمارين وبريد يومي يمكنك من الحصول على المزيد من حكمة تلك الفلسفة في بريدك الوارد كل يوم. يمكنك الدخول في موقع DailyStoic.com على الفور أو إرسال رسالة إلكترونية إلى البريد الإلكتروني التالي hello@DailyStoic.com لتحصل على باقة مميزة من الإضافات الخاصة بالفلسفة اليونانية، بما فيها الكتب التي عليك قراءتها فيما بعد، والمزيد من المواد التي لم نتمكن من ضمها إلى هذا الكتاب. نأمل أن نراك على الموقع قريبًا.

نماذج من ممارسات الفلسفة اليونانية المتأخرة ومسرد للمصطلحات والفقرات الرئيسية

يرسم فكر الفلسفة اليونانية من القرن الثاني، كما ظهر في مؤلفات إبكتيتوس وماركوس أوريليوس، صورة زاهية عن عمل الفلسفة فيما يتعلق بتقديم الترابط الذاتي والتقدم على طريق الفضيلة، كما ظهر ذلك الفكر كمقترح في أعمال بيير هادوت وإيه. إيه. لونغ (انظر تلك الاقتراحات في قسم القراءات الأخرى)، وقد تمكنا من تطوير وتشكيل أنظمة إبكتيتوس الثلاثة في جدول يعرض الطبيعة التقدمية للوصف الفلسفي اليوناني المتأخر للتعامل مع أنفسنا ومع أفعالنا في هذا العالم، ويجمع هذا الجدول الموضوعات أو مجالات الدراسة الثلاثة ومستويات التدريب الثلاثة التي اقترحها إبكتيتوس ويظهر كيف ترتبط (كما لاحظ هادوت في أعماله) بالسعي لتحقيق الفضيلة كما عبر عنها ماركوس أوريليوس. وقد نتج ذلك الجدول نفسه من تلك الفقرات الرئيسية في كتابات إبكتيتوس:

"هناك ثلاثة مجالات يجب أن يتدرب عليها المرء الذي يرغب في أن يكون حكيمًا وخيرًا: يتعلق المجال الأول بالرياضات والنفور - أن المرء قد لا يفوت دلالة الرغبات أو ينخدع بما يعاكسها. ويتعلق المجال الثاني بالدوافع نحو التصرف أو عدم التصرف - وبالواجب، بصورة أكثر شمولاً - أن المرء يمكنه أن يتصرف عن عمد لأسباب جيدة وليس بطيش. ويتعلق المجال الثالث بالتحريص من الخداع وبالهدوء وكامل مجال الأحكام، وتقبل عقولنا لمدركاته. من بين تلك المجالات، سيكون المجال الأول هو الرئيسي الأكثر ضرورة لأنه يتعلق بالشغف، حيث لا تظهر المشاعر القوية إلا عندما تفشل رغباتنا ونفورنا".

— إبكتيتوس، من كتاب *Discourses*

"لهذا السبب، يحذرنا الفلاسفة من الرضا بالتعلم البحت، وأن نضيف إليه الممارسة والتدريب. وبمرور الوقت ننسى ما تعلمناه وينتهي بنا المطاف بفعل النقيض تمامًا، وتصبح أراؤنا مناقضة تمامًا لما كان يجدر بنا أن نؤمن به".

— إبيكتيوس، من كتاب *Discourses*

لقد وضعنا المصطلحات الرئيسية لكل مستوى من الجدول. وهناك تقدم نحو الأعلى يخرج من الخداع والآراء الزائفة والخطأ – عبر التحكم في النزعات – وصولاً إلى المزيد من الأحكام والمعرفة (الترايبط الذاتي)، كما أن هناك تقدمًا عبر مستويات التدريب (الدراسة والممارسة والتدريب الشاق) وعبر إصلاح العادات والتصرف بطريقة لائقة وتحسين الأحكام وتوجيهها نحو عيش الفضائل. وسوف نقدم لكم مسردًا أخيرًا للمصطلحات الرئيسية الموجودة في الفلسفة اليونانية والفقرات بعد الجدول.

نموذج لممارسات الفلسفة اليونانية المتأخرة

أنظمة الفعل الثلاثة

أجزاء الشخصية الثلاثة	١. التعلم/الدراسة	٢. الممارسة	٣. التدريب
٢. الإرادة: القبول/الرفض، التحرر من الخداع، الهدوء	المنطق: ما نملكه، من أجل الصالح العام والأمانة.	الأحكام والحقيقة.	الحكمة.
٢. الفعل: الدفاع نحو الفعل/ رفض الفعل. التصرف عن قصد وليس بتهور.	الأخلاق: ما نملكه ويصب في الصالح العام.	الواجب والأفعال المناسبة.	التمدانة والشجاعة.
١. الإدراك: الرغبة/التفوق. محو الآراء الزائفة والشغف.	الطبيعيات: ما نملكه، وما لا نملكه، وما لا يهمنا.	العادات والنزعات.	السيطرة على النفس

Adiaphora، الأمور غير المهمة، والتي لا تكون جيدة أو سيئة من وجهة نظر الحس الأخلاقي المطلق. هي فكر الفلسفة اليونانية، جميع الأمور التي تقع خارج نطاق خيارنا المنطقي لا تكون مهمة. ومن وجهة النظر النسبية، بعض الأمور الخارجة عن نطاق تحكمنا تعتبر إما أموراً جيدة مفضلة أو غير مفضلة. يقول ماركوس إن الأشخاص الذين يتصدون لتقديم خيارنا العقلاني، رغم أن هذا عادة ما يفعله خوفنا الفطري، سيصبحون أيضاً غير مباينين بنا. ظهر هذا المصطلح ١٧ مرة في كتاب إبيكتيوس تحت عنوان *Discourses* ومرة واحدة في كتابه *Enchiridion*. انظر كتاب *Discourses* وظهر في كتاب ماركوس ٦ مرات، (أموري غير المهمة لا تهم الآخرين، والعكس صحيح).

Agathos، الهدف الجيد أو المناسب للرجية. يتمسك إبيكتيوس بالموقف الفلسفي اليوناني الكلاسيكي عندما يقول إن الخير (والشر) لا يتواجد إلا في داخلنا، وليس في خارجنا (من كتاب *Discourses*)، حين كتب: "لقد سن الحكماء هذا القانون الذي ينص على: إن أردت بعض الخير، فأحصل عليه من نفسك"، "أحم الخير في داخلك في كل ما تفعل".

Anthrôpos، الإنسان، أو البشر عموماً. بالنسبة لإبيكتيوس (*Discourses*)، الأمر الأهم هو أننا جميعاً بشر تشرف قوة خيارتهم العقلانية على كل شيء وبحرية تامة. يمتلك "الإنسان الجميل" الفضائل (*Discourses*). ويجب علينا أن نكون "إنساناً موحداً" (من كتاب *Discourses*) أو ما يطلق عليه "هادوت" اسم الترابط الذاتي (*The Inner Citadel*). واستخدم ماركوس هذا المصطلح متصلاً بالتأكيد على ما يجب أن يكون عليه اهتمامنا وعلتنا المناسبين.

Apatheia، الهدوء من دون شغف، وصفاء الذهن. يعني هذا المصطلح التحرر من الشغف. إبيكتيوس: *Discourses* (تكرر هذا المصطلح ٧ مرات كاسم و١١ مرة كفعل)، وتكرر مرتين في كتاب *Enchiridion*. واستخدم ماركوس هذا المصطلح كفعل ٤ مرات. وفي المرة الوحيدة التي استخدمه فيها كاسم، قال إنه كلما اقترب المرء من صفاء الذهن، زادت قوته.

Aphormê، التضادي أو النضور أو نزعاً عدم التصرف. هذا هو المصطلح الدال على المجال الثاني من مجالات التدريب الثلاثة التي ذكرها إبيكتيوس، والذي ظهر عدة مرات في كتاب *Discourses*. ولم يستخدم ماركوس هذا المصطلح بهذا المعنى.

Apotynchanô، الفشل في الربح أو إصاية الهدف أو تحقيق الإنجاز، فقدان المرء لهدفه أو إخطاؤه. ظهر هذا المصطلح ٢٤ مرة في مؤلفات إبيكتيوس. يقول ديوجينيس اللايرتي إن زينو عرف "الرجية" كفشل في امتلاك ما نتوق لامتلاكه (*Lives of the Eminent Philosophers*, ١، ١١٢، ٧). لم يظهر هذا المصطلح في كتابات ماركوس. وهو يشير ويشير هذا المصطلح إلى تجربة تعد مصدرًا للاضطرابات في الحياة.

Aproëgmena، الأشياء غير المفضلة، غير مهمة من الناحية الأخلاقية البحتة، ولكن الأمور ذات القيمة السلبية النسبية والأمور غير المحببة بطبيعتها، مثل المرض. لم يظهر هذا المصطلح في أعمال إبيكتوس أو ماركوس، ولكننا نعلم من أعمال ديوجينيس اللايرتي أنه كان من بين المصطلحات الشائعة في التعاليم اليونانية التي وصلتنا من زينو وكريسيبوس عبر بوسيدونيوس في كتاب (*Lives of the Eminent Philosophers*). ولقد حاكى "شيشيرون" استخدام زينو لتلك المصطلحات وقدم مكافئاً لاتينياً لمصطلحي (*reiecta/praeposita*) (*On the Ends of Good and Evil and Academica*). لم يتبع سينيكا استخدام "شيشيرون" لهذا المصطلح ولكنه استخدم مصطلحي (*commode/incommode*) (المميزات والعيوب). "هناك أمور في الحياة تعد مميزات وأخرى تعد عيوباً - وجميعها خارجة عن إرادتنا". (*Moral Letters*). وجعل "شيشيرون" من هذا المصطلح فئة ثانوية من مصطلحي (*reiecta/praeposita*) (*On the Ends of Good and Evil*).

Aretê، الفضيلة، الخير، والتميز البشري، مصدر القيمة المطلقة. يلحظ هادوت أن الفضائل الرئيسية الأربع التي تحدث عنها أفلاطون لا تظهر جلية بالكامل في عروض أريانوس التي قدمها إبيكتوس (*The Inner Citadel*)، ولكنه امتلك في كتابات ماركوس، الذي حاكى معنى إبيكتوس تمامًا، معنى أوضح وعلاقة أقوى بما أطلق عليه هادوت: "قوانين الروح الثلاثة" (انظر الجدول). يقول ديوجينيس اللايرتي "إن الفضائل الأربع الرئيسية كانت ضرورية بالنسبة لأصحاب الفلسفة اليونانية (*Lives of the Eminent Philosophers*): السيطرة على الذات، العدالة، الشجاعة، الحكمة. قال كريسيبوس إن اختبار الحكمة ولو للحظة واحدة يساوي دهرًا كاملًا من اختبار الفضيلة (بلوتارش *Moralia*). قال "موسونيوس روفوس": "يولد الإنسان بنزعة فطرية نحو الفضيلة" (*Lectures*). وذكر ماركوس أنواع الفضيلة الأربعة في ١، ٢، ٣، ١٢، ٥ وثلاثة منها (من دون الشجاعة) في ٦٢، ٧، ٢٢، ٨، ١٥، ١٢. ونقدم تلك الفضائل هنا على أنها هدف التقدم الأخلاقي الذي يوجه نحوه كامل أنشطتنا في الحياة. يقول ماركوس إنه يجب علينا أن ندع فضائلنا تشع حتى نموت نحن. وجمع إبيكتوس بين العدالة والسيطرة على الذات معًا في حوار حول الفضيلة حيث استخدم معنى أخف من المصطلح بما يعني "العزاج المعتدل" (والذي عارضه فيما بعد بمصطلح غير المنضبط)، وكان مصطلحه المنضبط عن السيطرة على الذات هنا (وفي أعماله الأخرى، والذي يظهر مع الحكمة) هو السيادة، أو فرض السيطرة عليها (والذي عارضه بعد ذلك بمصطلح خارج عن السيطرة). وقد استخدم سينيكا الكلمة اللاتينية *virtus* وقال: "الفضيلة هي الخير الوحيد"، ولا تقل عن كونها "أحكامًا حقيقية وراسخة" (*Moral Letters*).

Askêsis، الممارسة والتمرن، والتدريب المنتظم المصمم لتحقيق الفضيلة. يرى إبيكتوس ثلاثة مجالات للتدريب (*Discourses*) - المذهب الشهير المتعلق بالموضوعات الثلاثة، والتي يرى المنتقون أنها كانت مساهمة إبيكتوس الفريدة في الفلسفة اليونانية المتأخرة (انظر كتاب لونغ تحت عنوان *The Inner Epictetus: A Stoic and Socratic Guide to Life*، وكتاب هادوت تحت عنوان *The Inner*

Citadel). قبل إبيكتيوس، أكد سينيكا على تقسيم الفلسفة الذي تم منذ وقت طويل إلى ثلاثة أجزاء، والتي يدعواها "الأخلاق والطبيعية والعقلانية". (*Moral Letters*). ونجادل بأن إبيكتيوس يرى أيضًا ثلاثة مستويات من الانضباط والانتقال من التعلم/الدراسة (المصطلح الذي تكرر ٧٩ مرة) إلى الممارسة (المصطلح الذي تكرر ٥٤ مرة، انظر كتاب *Discourses*، حيث يقول: تعلم الممارسة وواظب عليها) وصولاً إلى المزيد من التمارين الشاقة (المصطلح الذي ظهر ٤٠ مرة)، للمزيد عن مستويات الانضباط الثلاثة، انظر. بالنسبة لـ إبيكتيوس، لا تخرج تشبيهات الممارسة والتدريب عن تلك المتعلقة بالمصارعة وألعاب القوى (انظر الرياضي الذي يُقهر: الرياضي الحقيقي أثناء التمارين الشاقة) إلى رياضة *panakration* (٦، ١٠، ٧-٣) وفي النهاية "التدريب الشتوي الشاق" للجنود (٣٢، ٢، ١، ٣٥، ٨، ٤-٣٧). وحيث إن تلك المجالات الثلاثة للتدريب والمستويات الثلاثة للانضباط تتداخل مع بعضها البعض، ستجد أن هناك نظامًا هرميًا واضحًا في تصرفات الروح، التي تتبع من الرغبة مرورًا بالأفعال وصولاً إلى القبول، ومن إحراز تقدم كبير في أفعالنا في العالم، ومن الدراسة إلى الممارسة إلى التدريب الشاق، نحو الفضيلة (انظر الجدول). بالنسبة إلى ماركوس، الدائم المسخرية من الدراسة المجردة والكتب وعروض التعلم، نادرًا ما كانت تلك الكلمات تظهر في كتاباته؛ حيث كان يبدو أكثر اهتمامًا بالتوجه المباشر نحو اختبار الأمور في الحياة اليومية عبر اتباع ما يمليه علينا منطقتنا المرشد. بهذه الطريقة، كان يتفق كثيرًا مع تحذير إبيكتيوس الشهير المتعلق بالتحدث عما تعلمته من دون استيعابه (انظر *Discourses*). بالنسبة إلى ماركوس، الهدف من كل هذا هو استخدام منطقتنا للاختبار العملي لمضائل السيطرة على النفس والشجاعة والعدالة والحكمة، مع عدم إهمال صلتها مع موضوعات إبيكتيوس (انظر الجدول).

Ataraxia، السكينة والتحرر من الاضطراب الناتج عن الأحداث الخارجية. تلك هي ثمار اتباع الفلسفة، طبقًا لـ إبيكتيوس (*Discourses*). وظهر هذا المصطلح ١٤ مرة في كتاب *Discourses* ومرتين في كتاب *Enchiridion*، انظر *Discourses* (تقريب أريان على هذا الجزء). وظهر لمرة واحدة في كتاب ماركوس (٩، ٣١، ليس هنا).

Axia، القيمة الحقيقية للأشياء، والقيمة النسبية لتفضيل الأشياء والأشخاص ومعنى السمعة أو ما يستحقه المرء. يظهر هذا المصطلح ١٨ مرة في كتاب ماركوس. يقتبس ماركوس من إبيكتيوس هذا المفهوم خلال حديثه عن كيفية استخدام قوة القبول في هذا المجال المتعلق بنزاعاتنا (٢٧، ١١). بالنسبة لـ إبيكتيوس، يتكرر هذا المصطلح ٢٩ مرة في كتاب *Discourses* ومرتين في كتاب *Enchiridion* (٣٦، ليس هنا). انظر كتاب *Discourses*، على العموم، تدور الفكرة حول أننا أيضًا عادة ما نستبدل الأشياء ذات القيمة الكبيرة بالأشياء الأقل منها قيمة، الفكرة التي تعود إلى تعاليم "ديوجين من سينوب"، مؤسس المدرسة التشاؤمية، كما وصفه "ديوجينيس اللايرتي" (*Lives of the Eminent Philosophers*).

Daimon، الروح المقدسة لدى البشر، ذكاؤنا الفردي، يمتد كريسيبوس أن الحياة السعيدة والسلسلة، ستنج عن هذا "عندما تتوافق جميع شئون الحياة بصورة ما مع التناغم بين الروح الفردية وإرادة خالق الكون". (*Lives of the Eminent Philosophers*, ٨٨، ١، ٧). يغيرنا إبيكتيوس بالأ نطق أبدًا لأننا لن نكون بمفردنا على الإطلاق: الخالق دائمًا معنا (*Discourses*، ليس هنا).

Diairesis، التحليل، التقسيم إلى أجزاء. يُستخدم هذا المصطلح عند التفرقة بين الأمور الخاضعة للثقة اختيارنا والأمور غير الخاضعة لها.

Dianoia، الفكر، الذكاء، الفرض، مجمل أفكار العقل. يقول هاينز: "لا يتأثر بتقلبات الروح".

Dikaiosunē، العدالة والإنصاف. قال ديوجينيس اللايرتي إنه بالنسبة لأصحاب الفلسفة اليونانية، كان هذا المصطلح يعني: "التناغم مع القانون والعمل على الجمع بين الناس" (*Lives of the Eminent Philosophers*, ٩٩، ٧، ليس هنا). إنها واحدة من الفضائل الأربع الرئيسية (مثل، السيطرة على النفس والعدالة والشجاعة والحكمة). استخدمت الكلمة ١٧ مرة في كتاب ماركوس، دائمًا بالمعنى الذي ذكره. ديوجينيس اللايرتي، حيث تظهر مع بنية الفضائل. وظهرت الكلمة مع إبيكتيوس، عندما تحدث عن "المادال" كنوع من الأشخاص يجب أن نتوق لأن نصبح عليه.

Dogma : الآراء والمعتقدات التي تبدو للمرء، من الناحية الفلسفية، عقيدة أو مفاهيم أو أحكامًا أثبتها المنطق والتجربة. يقول هاينز: "ما تبدو كأحاسيس للجسد ونزعات بالنسبة للروح، العقيدة هي الذكاء". كان إبيكتيوس يهدف إلى الصورة غير المجربة من العقيدة عبر صياغتها في صرة آراء مكتوبة أو لقيمة لها يجب اجتثاثها من جذورها بواسطة خيارنا العقلاني (*Discourses*) قبل أن تد مر القلعة الداخلية. يظهر المصطلح لأكثر من ١٠٠ مرة في كتابات إبيكتيوس (انظر كتاب *Enchiridion*، حيث يقول إن الأشياء ليست ما يصيبنا بالاضطراب، بل أحكامنا/اعتقادنا بشأنها)، وظهر ٢٢ مرة في كتاب ماركوس (بالأخص، حيث تحدث عادة عن تصحيح مبادئنا). كما استخدم كل من ماركوس وإبيكتيوس كلمة *krima* عن الحديث عن القرارات والأحكام (ماركوس، *Meditations*، إبيكتيوس، *Discourses*).

Dokimazein، كتابة المقالات، الاختبار، الفحص الدقيق. يعد هذا الفعل من الأعمال المهمة لفهم فلسفة إبيكتيوس (تكرر ١٠ مرات في كتاب *Discourses* ومرة واحدة في كتاب *Enchiridion*)، ولكن لم يستخدمه ماركوس قط. تحمل الكلمة معنى الصائخ، الشخص الذي يختبر المبادئ الثمينة ويصوغها لتأكيد جودتها. هي واحدة من أكثر الفقرات الجديرة بالذكر التي كتبها إبيكتيوس، قارن بين حاجتنا لاختبار انطباعاتنا المتعلقة بالأمور الواقعة والعمليات، وكيف يمكن للتاجر الماهر أن يكتشف العملة المزيفة من صوت ارتطامها بالطاولة مثلما يمكن للموسيقى أن يحدد النغمة الشاذة في المقطوعة الموسيقية (*Discourses*). انظر أيضًا التمارين التي قدمها للتعامل مع الانطباعات (*Discourses* *Enchiridion*). ومثلما يجب أن تخضع الانطباعات الحسية للاختبار، يجب أن تخضع أحكامنا أيضًا

للاختبار (العقيدة) الدقيق حتى يمكننا تأكيد جودتها (استخدم المصطلح بواسطة كل من إبيكتيوس وماركوس).

Doxa، الاعتقاد، الرأي.

Ekkklisis، **النفور، الابتعاد عن شيء ما**. الكلمة المناقضة من *orexis*، ولكنها دائماً ما تظهر معاً. هذا هو المستوى الأول من التماسك الذاتي (انظر الجدول). يحذرنا إبيكتيوس من أنه يجب علينا، فيما يتعلق بالنفور، أن نحذر من تطبيقه فقط على مخاوفنا وليس على مخاوف الآخرين (انظر *Discourses* ٨١، ١، ٤-٨٢ ف، ليس هنا). حيث تظهر الكلمة ٥٣ مرة في كتاب *Discourses*. في استمارة رائمة عن مباراة مصارعة، يخبرنا ماركوس بأنه يمكننا أن نتجنب الأشخاص الذين قد يضررون لنا شيئاً من دون أن نندري. ومثلما فعل إبيكتيوس، يحثنا ماركوس على قصر نفورنا على تلك الأمور التي يمكننا السيطرة عليها فقط. انظر *orexis*.

Ekpyrôsis، **دورة احتراق الكون (الولادة والبعث)**. تعود تلك الفكرة الأساسية في الفيزياء والكونيات الموجودة في الفلسفة اليونانية إلى هيراكلييتوس (ماركوس ٣، ٣، ليس هنا). يوازن أصحاب الفلسفة اليونانية بين تلك النار والمتلق المتفلفل في كل شيء (*logos spermatikos*).

Eleutheria، **الحرية، التحرر**. يقول العامة إن الأحرار وحدهم من يمكن تعليمهم، إلا أن أتباع الفلسفة اليونانية يقولون إن المتعلمين وحدهم هم من يكونون أحراراً. (*Discourses* ٢١، ١، ٢٢-٢٣). ظهر ذلك المصطلح، متضمناً الصورة الوصفية، أكثر من ١٠٠ مرة في كتاب *Discourses*، واستخدمه ماركوس كاسم ٥ مرات (٥، ٩).

Eph'hêmin، **الأمور التي تعود لنا، ما يمكننا السيطرة عليه، استخدامنا الصحيح للانطباعات والنزعات والحكام**. يبدأ كتاب *Enchiridion* (أو كتيب) إبيكتيوس بتلك العبارة الأشهر بين كل ما كتبه الفلاسفة في الفلسفة اليونانية. يقول إبيكتيوس إنه عندما نرغب في أمر ما خارجاً عن إرادتنا، يصيبنا القلق (*Discourses*). إن أحكامنا عن الأمور التي تعود إلينا تحدد مدى حريتنا.

Epistêmê، المعرفة الحقيقية المحددة، التي تفوق وتتخطى *Katalêpsis*.

Ethos، **العادات أو التقاليد**. انظر أيضاً *hexis*. في الممارسات الخاصة بالفلسفة اليونانية المتأخرة، هناك تركيز كبير على العادات. كانت تهدف أفكار موسونيوس روفوس عن التعليم إلى الاهتمام بالانشئة والبيئة المحيطة والعادات التي تختلف من شخص لآخر (*Lectures*). وتعمق إبيكتيوس في ذلك التركيز على العادات أكثر حين قال: "حيث إن العادات واحدة من المؤثرات القوية، وحيث إننا اعتدنا اتباع دوافعنا من أجل تحقيق مصالحنا ولتجنب الأمور الخارجة عن إرادتنا، يجدر بنا أن نضع عادة مضادة لهذا، وحيث إن المظاهر دائماً ما تكون خادعة، علينا استخدام القوى المضادة لتدريبنا" (*Discourses*).

٦، ١٢، ٣). كما يتحدث عن أهمية استخدام العادات المضادة المناقضة في ٤، ٢٧، ١. ظهر المصطلح ١٧ مرة في كتاب *Discourses* لـ إبيكتيتوس. واستخدم ماركوس المصطلح ٤ مرات.

Eudaimonia، السعادة والازدهار والرفاهية. يقول إبيكتيتوس إن الله خلق البشر ليكونوا سعداء وهادئين ومستقرين (*eustathein, Discourses*). ظهر المصطلح ١٢ مرة في كتاب *Discourses* ومرة واحدة في كتاب *Enchiridion*. يتمسك إبيكتيتوس بأن هذا المصطلح لا يتوافق مع التوق لما لا نملك (*Discourses* ١٧، ٢٤، ٢). ويظهر مرتين في كتاب ماركوس (٧، ٦٧) فيما يتعلق "بالحياة" التي يقول عنها، إنها تعتمد على أقل الأمور الممكنة (انظر أيضاً ١٧، ٧). استخدم ماركوس كلمة أخرى مكافئة لهذا المصطلح عند تحدّثه عن "السعادة في الحياة" (١٢، ٢، لم تظهر تلك الكلمة هنا على الإطلاق).

Eupatheia، الشغف أو العاطفة الجيدة (على النقيض من pathos)، ناتج الأحكام الصحيحة وأفعال الفضيلة. يقول "ديوجينيس اللايرتي": "يؤكد أصحاب الفلسفة اليونانية ثلاث حالات عاطفية جيدة: البهجة والحدز والتمني... البهجة هي الشوة العقلانية... والحدز هو التجنب العقلاني... والتمني هو التزعة العقلانية... وتحت التمني، يدرجون فعل الخير والبر والود والحب، وتحت الحدز، يدرجون الاحترام والتواضع، وتحت البهجة يدرجون السعادة والمتعة والمسور" (*Lives of the Eminent Philosophers*).

Hamartanô، ارتكاب الخطأ أو الإثم أو عدم تحقيق الغايات. ظهر هذا الفعل ٢٨ مرة في أعمال إبيكتيتوس و٣٥ مرة في أعمال ماركوس. كذلك فعل *hamartia* - الفضل، الإثم، الخطأ، الإضرار بالأخر - ظهر ٢ مرات في أعمال ماركوس، عندما تحدث عن رؤية أخطاء الآخرين من وجهة نظر أخطائنا نحن. وعادة ما استخدم إبيكتيتوس "موسونيوس روفوس" الكلمة المناقضة لتدل على المثالي أو المنزه عن الخطأ *anamartêtos*، والذي، على الرغم من استحالة وجوده، يجب ألا تتوق لتحقيقه (انظر كتاب *Discourses*، وكتاب *Lectures*). منذ ظهر كتاب أرسطو *Poetics*، ظل المفهوم يعبر عن عيب جسيم أو قرار خطأ يؤدي إلى ضرر مأساوي. ولقد ابتعد أصحاب الفلسفة اليونانية عن أية أفكار مأساوية من جانب، ومن الجانب الآخر، أية أفكار تتعلق بالخطيئة الأصلية - جميع الخطايا نتاج العادات السيئة والآراء العامة المعيبة والأحكام الخطأ. قصد بالفلسفة أن تساعدنا على التخلص من الخطايا الوجودية المتركمة من أرواحنا.

Hêgemonikon، المنطق المسيطر أو المرشد، المبدأ المسيطر. يقول "إيه، إيه، لونغ" إن المصطلح يعني "المناسب للسيطرة"، وقد تم اقتباسه من إسقراط الخطيب الأثيني، واستخدمه أصحاب الفلسفة اليونانية الأوائل للتعبير عن الجزء الفكري من الروح المنفصل عن الحواس (*Greek Models of Mind and Self*، ص ٨٩). يلاحظ "لونغ" أنه بحلول عصر أصحاب الفلسفة اليونانية المتأخرين، كان إبيكتيتوس قد طبق هذا المصطلح على أرواح الحيوانات أيضاً، والتي تنتقد إلى العقلانية (*Epictetus: A Stoic and Socratic Guide to Life*، ص ٢١١). وقال إنه يعني "إجمالي الأفكار الذهنية المهيمنة". يدعو "هادوت" الجزء الأعلى أو المرشد من الروح. واستخدم ماركوس المصطلح

Hypolēpsis. انظر ماركوس حيث تحدث عن كيف يمكن لمزاعنا أن تدمرنا؛ لذا، علينا التخلص منها. كما يقول إن "كل شيء يتغير طبقاً لفرضياتنا"، ويجب علينا أن نتمسك بقدرتنا على الفهم أو تكوين الآراء، المقدسة (٢، ٩). ظهر المصطلح ٨ مرات في كتاب إبيكتيوس *Discourses*، حيث يقول إننا نتمسك بأراء معاكسة لتلك التي يجدر بنا التمسك بها)، وظهر ٣ مرات في كتاب *Enchiridion* (انظر ٢٠، حيث تحدث عن أن آراءنا أو فرضياتنا هي التي تغذي غضبنا).

Kalos، جميل، بالمعنى الأخلاقي، فبيل، فضيل. المصطلح المكافئ الذي استخدمه سينيكا عادة هو *honestum*.

Katalēpsis، الفهم الحقيقي، الخداع الواضح، والعقيدة الراسخة الضرورية للتصرف الصحيح. ترجم هادوت المصطلح بكلمة "الإدراك" أو "التمثيل الموضوعي". يعد هذا المصطلح من المصطلحات الدائمة التي استخدمها إبيكتيوس والذي يمارض الفكرة التشككية التي تقول إنه لا يوجد شيء نعرفه بكل تأكيد. يقول إبيكتيوس أن التقدم الحقيقي يدور حول قبول الأمور التي يمكننا فهمها (*Discourses*). استخدم ماركوس المصطلح لإطراء شخصية أنطونيوس وتعمسه "لفهم الأمور بالطريقة الصحيحة"، وكذلك في ٤، ٢٢، حين قال إن كل نزعة يجب أن تخضع لمزاعم العدالة والحفاظ على وضوح معتقداتنا.

Kathêkon، الواجب، والتصرف الصحيح نحو تحقيق الفضيلة. يقول ديوجينيس اللايرتي أن زينو كان أول فيلسوف يستخدم هذا المصطلح فيما يتعلق بالتصرف من منطلق التصرف كما لو كنت ممثلاً (*Lives of the Eminent Philosophers*، زينو). يقول ماركوس إن كل واجب في الحياة هو ناتج إجمالي الأفعال التي تستحق انتباهاً منهجياً (٦، ٢٦).

Koinos، شائع، قاسم مشترك. كما لاحظ هاينز، ظهر هذا المصطلح ومشتقاته أكثر من ٨٠ مرة في كتاب ماركوس، ويعتبر جزءاً محورياً من أفكاره وتوجهاته الأخلاقية. وتم تأكيد مفاهيم المجتمع والشراكة والزمالة والجيرة والتعاون بشكل كبير في مصطلحات تتراوح ما بين (٥، ١٦) والتصرف من أجل الصالح العام في اللحظة الحالية في (٩، ٦) إلى الكلمة التي صاغها بنفسه، والتي تتعلق بمشاعر الآخرين (١، ١٦). في ٦، ٣٠، يخبرنا ماركوس: "الحياة قصيرة - وشارها هب الشخصية الجيدة والتصرفات نحو تحقيق الصالح العام". انظر أيضاً طقوسه الصباحية لنذكر أنفسنا بأننا "خلقنا لنعمل مع الآخرين". ظهر مصطلح متعلق بهذا المصطلح في كتابات ماركوس و"إبيكتيوس" وهو كلمة *allêlôn*، والتي تركز على كيفية خلقنا "من أجل بعضنا البعض" أو "لصالح بعضنا بعضاً". (٢٦ مرة لدى ماركوس، خاصة في ٥، ١٦ و ٦، ٢٨ و ٢٠ مرة لدى إبيكتيوس، أشهرها ٢، ٢٠).

Kosmos، كامل النظام الشامل، العالم، الكون.

Logos, Logikos، المنطق أو التعقل، المبدأ المنظم للكون. *Logos spermatikos* هو المبدأ المتجدد للكون، والذي يبذل ويستعيد كل شيء (انظر ماركوس).

Nomos، القانون، التقاليد.

Oiēsis، الخداع، خداع الذات، الوهم، الرأي أو الأفكار المتكبرة. يقول إبيكتوس إن هناك أمرين يجب أن يتم اجتثاثهما من داخل كل إنسان: خداع الذات وانعدام الثقة/الخوف. إن الخداع والفرور والآراء الزائفة هي الأمور التي يجب محوها، إلى جانب الشف. رأى إبيكتوس حركة من الإدراك المسبق إلى الإدراك وصولاً إلى قناعاتنا شديدة الرسوخ، وجميع تلك الأمور يمكن أن تخضع إلى الخطأ. أطلق هيراكليطوس على خداع الذات "المرض الفظيع" (ديوجينيس اللايرتي، *Lives of the Eminent Philosophers*, ٧، ٩). وقدّم أصحاب الفلسفة اليونانية ممارساتهم من أجل التغلب عليه.

Oikeiōsis، امتلاك الذات، التوافق مع حاجات المرء أو الحاجات الخاصة. ظهر هذا المصطلح مرة واحدة فقط في كتابات إبيكتوس كاسم (*Discourses*)، بما يتفق مع الحفاظ على الذات، رغم أنه ظهر في مناقشات "الاهتمام المشترك". كما استخدمه ماركوس لمرة واحدة، وانتقل بوضوح إلى الطرف المعاكس من المعنى - حرفياً، معنى "الاهتمام بالآخرين" أو الزمالة البشرية، ومنطقنا المسيطر هو ما يمكننا من الحفاظ على التوافق مع الطبيعة والتأثير في تلك المواءمة. وكانت الأشكال الفعلية والوصفية "للمواءمة" وأن تكون "موائماً أو متكيفاً" أكثر شيوعاً لدى كل منهما.

Orexis، الرغبة والميل نحو شيء ما. العكس من مصطلح *ekklisis*. كان يعني في أعمال "أرسطو" كلمة "الرغبة" وكان قاسماً مشتركاً مع الحيوانات ونوع مختلف من الخيار الهادف، والذي يتضمن كلاً من المنطق والفاية. يقول إبيكتوس، إذا كنا نرغب في التحرر، فيجب ألا نرغب في شيء يملكه شخص آخر (*Discourses*, ١٨، ٤، ١، ٢٢). تعد الرغبة الموضوع الأول من الموضوعات الثلاثة، أو مجالات التدريب التي تؤدي إلى الترابط الذاتي. ظهرت الكلمة ٥٦ مرة في كتاب *Discourses* و٧ مرات في كتاب *Enchiridion*. وظهرت ٥ مرات في كتاب ماركوس، ومرة واحدة في الحديث عن المبادئ التي تعتبر مصدرًا للرغبات والأفعال وأن تقتصر فقط على الأمور الخارجة عن إرادتنا. يعني الفعل من هذا المصطلح، التوق إلى، محاولة الوصول إلى، وإعادة ما يظهر وفي الكثير من الحالات يحدث مع "عدم تقويت الدلالة". انظر *apotynchanō* و *hamartanō*.

Ousia، المادة أو الوجود، الشيء الذي يُستخدم كبديل للمادة. تحدث ماركوس بحرارة عن تشبيه المادة "بالنهر دائم التدفق، والذي يتغير نشاطه باستمرار ويتسبب في التحول المستمر إلى ما لا نهاية وبالتالي لا شيء يبقى على حاله". اقتباساً من هيراكليطوس (*Lives of the Eminent Philosophers*)

Paideia، **التدريب والتعليم والتدريس**. *Askeô*، *manthanô*، *meletaô* (انظر الجدول) جميع أجزاء التدريس كما وضعها إبيكتيوس في كتاب *Discourses*. تمد الأنظمة اليومية محورية لكي تكون في نظر الفيلسوف متعلمًا، والمتعلمون وحدهم هم المتحررون. إن العمل من أجل تخطي إدارتنا المسبق هو الهدف من التعلم.

Pathos، **الشغف أو العاطفة**، عادة ما يكون مفرضًا وقائمًا على الأحكام الزائفة. حدد هاينز الشغف على أنه "نتاج" اتباع *hormê* الذي يؤدي إلى العمل على النقيض من الطبيعة. تنقسم أنواع الشغف الأربعة إلى فئتين: (١) الأمور التي لا نملكها في الحاضر أو نتوقعها في المستقبل، وتشمل الرغبة والخوف، و (٢) الأمور التي تجذب المرء حاليًا وتتضمن المتعة والحزن. عرض إبيكتيوس موقف الفلسفة اليونانية بوضوح كبير في كتاب *Discourses*: "لن يمكنك أن تؤمن بالحرية عبر تلبية رغبات القلب، بل عبر محوها". يقول "ديوجينيس اللايرتي" إن "زينو" قد عرف الشغف/العواطف على أنها حركات غير عقلانية أو طبيعية في الروح، أو كـ *hormê* مفرض (*Lives of the Eminent Philosophers*، ١١٠، ٧). رغم ما يُشاع عنهم بشكل خاطئ، احتفى أصحاب الفلسفة اليونانية ببعض أنواع الشغف ولكن في حدود التنقل: البهجة والحذر والتمني (*Lives of the Eminent Philosophers*).

Phantasia، **الانطباع والمظاهر والإدراك**. يقول إبيكتيوس إن الله منحنا قوة واحدة تحكم جميع القوة الأخرى - "القدرة على الاستخدام الأمثل للمظاهر". كما يقول إن المهمة الأهم والأعظم للفلاسفة هي اختيار المظاهر وتمييزها. كما استخدم تشبيه التيارات الكاسحة، والمعارك والتدريبات الشاقة للرياضيين من أجل القيام بأعمالنا للتمسك بمظاهرنا في مقابل الانطباعات. "مهمة الشخص الجيد والتميز هي التعامل مع انطباعاته بما يتفق مع الطبيعة". تكرر هذا المصطلح أكثر من ٢٠٠ مرة في كتاب *Discourses* و٩ مرات في كتاب *Enchiridion*. وظهر المصطلح حوالي ٤٠ مرة في كتاب ماركوس *Meditations*. كما قدم ماركوس تمرينًا رائعًا يتعلق بعدم إخبار نفسك بأي شيء يتخطى الانطباعات الأولية.

Phronêsis، **الحكمة العملية**، واحدة من الفضائل الأربعة الرئيسية. استخدم ماركوس هذا المصطلح مرات عدة، حيث قال: "الحكمة والتصرف ليسا شيئًا واحدًا وليسا متماثلين". وفي ٩، ٥، حيث قال: "لا شيء أروع من الحكمة نفسها". انظر *arête*.

Physis، **الطبيعة**، النظام الطبيعي للأشياء والأجناس والأنواع، السمات. قال كل من ماركوس وإبيكتيوس مرات عدة إنه يجب علينا استخدام مبدئنا المسيطر للحفاظ على تناغمنا مع الطبيعة (*Discourses*).

Pneuma، **الهواء، التنفس، الروح**، مبدأ في طبيعة الفلسفة اليونانية. يضطرب جزء من الروح بفعل الرغبات والتفوق، الأمر الذي يطلق عليه هاينز اسم الجزء الأدنى من الروح المنفصل عن العقل.

وعرض إبيكتيوس في كتاب *Discourses* صورة جديرة بالذكر لطبيعة الفلسفة اليونانية حيث تحدث من حركة وعاء مضطرب من الماء وتشبيهه بطبيعة وجود الأشياء.

Proëgmena، الأمور المفضلة، اللامبالاة من المنطلق الأخلاقي، ولكن بقيمة إيجابية نسبياً، الأمور المرغوبة بصورة طبيعية، على غرار الصحة. النقيض من *aproëgmena*.

Prohairesis، الخيار العقلاني أو المتعمد، إرادتنا الحرة للاختيار، نطاق الاختيار. يعود المصطلح إلى كتاب *Ethics* من تأليف أرسطو، وتمت ترجمته إلى "الخيار الهادف". كما ترجمه إيه. إيه. لونغ، في محاولة منه للتحرر من المفاهيم الأخلاقية المعاصرة، إلى "الإرادة". وهو مصطلح نراه غريباً عن المفاهيم اليومية - فقد ظل يُترجم طوال أجيال سابقة على أنه "الهدف الأخلاقي" (دبليو. إيه. أودفاذر، جورج لونغ، وآخرون). إننا نتجنب تحميل المصطلح المعنى الأخلاقي للعادات المسيحية أو المعنى المعاصر للإرادة، حيث اصطبغ بهذين المعنيين بشدة منذ أعمال شوبنهاور و نيتشه. رأى إيه. إيه. لونغ أن هذا المصطلح هو المصطلح المفضل لدى إبيكتيوس والذي يفرق بين البشر والحيوانات (والذي حمل أيضاً معنى المبدأ المسيطر في قراءته لإبيكتيوس، *Epictetus: A Stoic and Socratic Guide to Life*، ص ٢١١)، وهو أمر لا يمكن للطبيعة المساس به (*Discourses*). استخدم المصطلح ٦٩ مرة في كتاب *Discourses* و ٦ مرات في كتاب *Enchiridion*. لقد استخدم ماركوس المصطلح ٥ مرات بمعناه السلبي، أي الخارج عن إرادتنا، و ٢ مرات بمعناه الإيجابي أي الخيار الهادف. تعد تلك هي العلامة الفارقة لنظام إبيكتيوس، في حين يميل ماركوس أكثر نحو المبدأ المسيطر.

Prokopè، التقدم أو التحسن، في الطريق نحو تحقيق فضيلة السيطرة على النفس، والشجاعة والعدالة والحكمة. انظر كتاب إبيكتيوس *Discourses* في تعقيبه على "التقدم" ظهرت الكلمة ١٤ مرة في كتابات إبيكتيوس كما يذكر أن الأشخاص غير المناسبين يمكنهم الحد من تقدمنا، طبقاً لإبيكتيوس، وبيكرنا موسونيوس روهوس بالمثل (*Lectures* خسارة أرواجنا).

Prolèpsis، المفهوم الرئيسي، أو المفهوم المسبق، الذي تملكه جميع الكائنات العاقلة. يتحدث إبيكتيوس عن الاحتفاظ بتلك المفاهيم جاهزة مثل الأسلحة المشحونة (*Discourses*) حيث تحدث عن العمل على مفاهيمنا المسبقة والمعنى الحقيقي للتعلم.

Pronoia، المعرفة المسبقة والبصيرة والعناية الإلهية. يقول إبيكتيوس إننا قادرون على الاحتفاء بالعناية الإلهية إن كنا نتمتع بصفتين: رؤية الأمور بكل وضوح والامتنان (١، ٦، ١). ويتحدث ماركوس عن الثقة بأن المستقبل بيد الله وحده. لقد ظهرت الكلمة ١٠ مرات في أعمال إبيكتيوس، و٢ مرة في أعمال ماركوس.

Prosoché، الانتباه والرعاية واليقظة. انظر *Discourses* بشكل خاص ١، ١٢، ٤، ٢١. يقول إبيكتيوس إن هذا المصطلح مطلوب مع الأمور التي تجعلنا نتعرف عن مسارتنا. استخدم ماركوس

المصطلح مرة واحدة في سياق كتاب *Meditations* عندما تحدث عن الوقت القصير الذي نملكه في الحياة لكي لا نغير الأمور التي تستهلك اهتمامنا أي انتباه.

Psychê، الحالة الذهنية، الروح، الحياة، مبدأ الحياة. ظهر هذا المصطلح ٤٢ مرة في كتاب *Discourses*، واستخدمه ماركوس ٦٩ مرة في كتاب *Meditations*. استخدم ماركوس صورة رائمة مثل خلالها الروح العقلانية ككرة في ١٢، ١١ (ليس هنا)، ورأى إبيكتيوس المصطلح كوءاء من الماء ٢٠، ٢٢. واستخدم سينيكا مصطلح *animus*، الروح العقلانية. كان أصحاب الفلسفة اليونانية ماديين؛ لذا، كانت للروح نفسها مادة.

Sophos، الحكيم، الفضيل، المثالية الأخلاقية لممارسة الفلسفة اليونانية.

Sympatheia، التعاطف، النفور من الأجزاء نحو الكمال العضوي، الاعتمادية التبادلية.

Synkatathesis، القبول، تقبل الانطباعات والمفاهيم والأحكام وتمكين الفعل من الحدوث. انظر اقتباس ماركوس لـ إبيكتيوس (في صورة فعل) وكيف اتصل هذا المصطلح بمصطلح الفهم الحقيقي، وأيضاً، يخبرنا ماركوس كيف أن جميع حالات قبول الانطباعات عرضة للخطأ. هذا هو المستوى الثالث من الترابط الذاتي، فيما يتعلق بالإرادة والحكم وما نختار رفضه (انظر الجدول). يظهر المصطلح ٨ مرات في صورة اسم و٢١ مرة في صورة فعل في كتابات إبيكتيوس.

Technê، الحرفة، الفن من منطلق المهنة أو الوظيفة. يقول ماركوس إن حرفتنا هي أن نصبح بشراً خريين (٥، ١١). لقد استخدم إبيكتيوس تشبيه الحرف والمهنة مراراً وتكراراً، خاصة لتركيز الانتباه على المواد المناسبة لملئنا كبشر.

Telos، الهدف النهائي أو الهدف من الحياة.

Theôrêma، المبدأ أو المنظور العام، حقيقة العلم، يُستخدم بالتبادل مع العقيدة في النقاش حول مخزون العقل من الأحكام.

Theos، القوة المبدعة التي نظمت الكون ومنحت البشر العقل وحرية الاختيار. مثلما يدور علم اللاهوت، على الرغم من إظهار تعددية الآلهة الخاصة بثقافتهم، وإرجاع مرجعياتهم لمختلف الآلهة، كان أصحاب الفلسفة اليونانية المتأخرون موحدين، ومعتقدين بوجود إله واحد كما أنهم كانوا ماديين، أي أن الشرارة الإلهية في داخلنا - وأرواحنا - كانت تحمل سمات مادية. ولد إبيكتيوس في فريجيا، وكان يمتلك تصوراً رائعاً وشخصياً عن القوة الإلهية. صاغ "إيه. إيه. لونغ"، أكثر من درسوا فلسفة إبيكتيوس، تلك الفكرة حين قال: "سواءً كان إبيكتيوس يتحدث عن زيوس أو القدر، كان متمسكاً بشكل راسخ بفكرة أن الكون قد تم تنظيمه بواسطة قوى عليا يظهر إبداعها جلياً في أروع صورته في البشر". (*Epictetus: A Stoic and Socratic Guide to Life*، ص ١٢٤). اعتقد لونغ أن إبيكتيوس

يحاول إعادة إحياء حس كلينس (خليفة زينو) الديني القوي. يقول إبيكتيتوس إنه يجب علينا أن نربط خيارنا بإرادة الله (*Discourses*، ٨٩، ١، ٤). ويميل ماركوس إلى الإشارة إلى القوى العليا بطريقة أكثر تعددية (انظر ١، ١، ٩)، ولكنه يتفق مع آراء إبيكتيتوس، خاصة عندما يقول: "عظم قدرتك على الفهم"، تلك الهبة الإلهية التي تتطلب طاعة الله (٩، ٢). أشار سينيكا أيضًا عدة مرات إلى السلطة العليا بصيغة الجمع، ولكن اتفق ثلاثتهم على أنه يجب علينا أن نتقبل القدر وأن نسمى لتصحيح أخطائنا بدلاً من إلقاء اللوم على الآخرين. (*Moral Letters*).

Tonos، التوتر، مبدأ هي الطبيعيات الخاصة بالفلسفة اليونانية يتعلق بالمحاسبة والنزور، طريقة لرؤية ما يرفع الفضيلة ويدني من الروح.

كلمة عن الترجمات والمراجع والمصادر

تمت جميع التراجم المدرجة في هذا الإصدار بمساعدة مصدرين رئيسيين لا غنى عنهما: الأول هو الكنز الذي لا مثيل له في مكتبة لويب الكلاسيكية (إصدارات جامعة هارفارد)، والتي تعتبر المصدر الرئيسي للنصوص اللغوية الأصلية على مدار أجيال. واليوم، إلى جانب الإصدارات الرائعة المطبوعة بالأخضر والأحمر التي أحبها الكثيرون، أصبحت النصوص اللاتينية الكاملة متوافرة عبر الاشتراك، مع قدرات بحث مذهلة بكلتا اللغتين، وكذلك باللغة الإنجليزية للقارئ العادي على موقع www.loebclassics.com. وقد جدت أن تلك الخدمة بمثابة هبة من السماء فيما يتعلق بتنظيم عملي وإدارته. وفيما يتعلق بالمفردات، أثبتت المصادر على موقع www.persues.tufts.edu أنها ذات قيمة كبيرة، حيث قدمت، إلى جانب القدرة البحثية الكبيرة، روابط لقاموس ليندل وسكوت (الإغريقي) الرائع وقاموس لويس وشورت (اللاتيني)، إلى جانب إحصائيات مقارنة عن استخدام المفردات لدى مختلف الكتاب في مختلف العصور. كما استخدمت بصورة مكثفة الإصدارات المطبوعة لكلا القاموسين (من إصدارات جامعة أوكسفورد) لترجمة الفقرات المستعصية وللحصول على مصادر النصوص التي لم تتوافر على شبكة الإنترنت (موسونيوس روفوس). لا شك في أنني قد استعنت بالتراجم الرائعة لمترجمي مكتبة لويب دلبيو. إيه. أولدفاذر، سي. آر. هاينز، ريتشارد إم. جومير، جون دلبيو. باسور وآخرين. وفيما يتعلق بالفيلسوف إبيكتيتوس، استمعت بالاستعانة بأعمال توماس وينتورث هاجينسون، أحد خريجي جامعة هارفارد المتفوقين، وجورج لونج (يمكن العثور على أعمال كل منهما مطبوعة أو على موقع www.persues.tufts.edu). كان هناك عدد من الترجمات الحديثة لماركوس أوريليوس التي استمعت وريان من بينها بأعمال جورج هايز المنظومة (مودرن

ليبراري)، ومن أجل المزيد من الترجمة الحرفية الحديثة، خاصة من أجل زيادة دقة المصطلحات الفلسفية، لا يوجد ما يضاهاى ترجمة "روبن هارد" (إصدارات جامعة أوكسفورد).

فيما يتعلق بالتراجم، كان الهدف هو تسهيل وتبسيط واستكمال أعمال هؤلاء المفكرين في الفلسفة اليونانية الراحلين قدر الإمكان. وفيما يتعلق بالمصطلحات الأكثر أهمية في الفكر الفلسفي اليوناني وتطورها في كتابات إبيكتيتوس وماركوس، ركزت جهودي على التطابق وتجنب المفارقات التاريخية في أثناء توضيح أوجه الاختلاف في التأكيدات أو الاستخدام الضروري. وبعيداً عن المصطلحات الرئيسية، تم إعداد التراجم بهدف الإبقاء عليها حرفية قدر الإمكان، مع بعض التحرر المستخدم عند الحاجة لتوضيح نقطة أو لتجنب الصور والعبارات المكررة. وأقدم جزيل الشكر إلى أماندا سي. جريجوري على مراجعتها لمسرد المصطلحات والتراجم.

تعود جميع المصادر والمراجع، عدا تلك المشار إليها، إلى النصوص الأصلية كما عثرت عليها على موقع www.persues.tufts.edu، وتعود معظم المصادر المتبقية إلى نصوص مكتبة الويب (إصدارات عبر الإنترنت والتي تختلف في بعض الأحيان عن الإصدارات المطبوعة فيما يتعلق بترقيم الصفحات). وقد أتت المقاطع من أعمال موسونيوس روفوس من أحد إصدارات النص الإغريقي في كتاب كورا لوتز، الصادر في عام ١٩٤٧ تحت عنوان *Musonius Rufus Lectures and Fragments* (جامعة يال)، والذي حصلت عليه من مطبعة تعيد طباعة الأعمال القديمة في الهند (ولكنها لم تطبع سوى جزء المحاضرات، ولم تطبع المقدمة أو الفقرات إلى جانب الكثير من الملاحظات النصية). ولقد تحدثت إلى مدير دار نشر جامعة يال عن إمكانية إعادة نشر هذا الكتاب، الذي تتم مراجعته في أثناء كتابة هذه السطور.

قراءات أخرى مقترحة

بالإضافة إلى الإصدارات الكلاسيكية من مكتبة لويب والمصادر الموجودة على موقع www.persues.tufts.edu والترجمات الأخرى المطبوعة سألقة الذكر، هناك أيضًا عدد من الأعمال الحديثة الاستثنائية التي نشرها الأكاديميون المعاصرون والتي يجب عليك قراءتها:

- Hadot, Pierre. *The Inner Citadel: The Meditations of Marcus Aurelius*, translated by Michael Chase (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2001).
- _____. *What Is Ancient Philosophy?* Translated by Michael Chase (Cambridge, MA: Harvard University Press, new edition, 2004).
- Long, A. A. *Epictetus: A Stoic and Socratic Guide to Life* (New York: Oxford University Press, 2004).
- _____. *Greek Models of Mind and Self* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2015).
- Nussbaum, Martha. *The Therapy of Desire: Theory and Practice in Hellenistic Ethics* (Princeton, NJ: Princeton University Press, reissued 2009).
- Robertson, Donald. *The Philosophy of Cognitive Behavioural Therapy* (London: Karnac Books, 2010).

من تأليف ريان هوليداي أيضًا



